# الفيصل

مجلة ثقافية شهرية -العددان ٣٧٥-٣٧٦ - رمضان-شوال ١٤٢٨هـ / سبتمبر- أكتوبر ٢٠٠٧م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 375-376- Sep./ Oct. 2007

العولمة.. تجليات وظلال

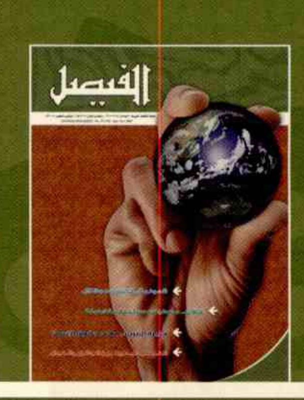
جازان.. معطيات سياحية متكاملة

جزيرة العرب.. مهد حقوق الإنسان

القصص البحرية بين الواقع والخيال




إصدارات دار
«الوراقون»
تأملات طفلة
في شجرة الحياة
شاه زمان محمد شمس
اليمن بعين بحرينية
Yemen in Bahraini Eyes
روح الجزيرة
١٩٩٦ - ٢٠٠٦
hands




## الغلاف

### العولمة.. تجليات وظلال

العولمة في مضمونها «الموضوعي» حالة تاريخية ناتجة من تطور عام للبشرية ككل، أسهمت فيها جميع حضاراتها وشعوبها، ومن ثم فالعولمة هي الموضوعية، وليست قرينة للعولمة الأمريكية التي هي نمط من الهيمنة سوف يتعاظم رفض العالم له.




**إدارة التحرير**

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

**هيئة التحرير**

حسين حسن حسين
محسن بن حمد الخرابة
نايف بن مارق الضيط
حوى النبي علي صالح

**الإخراج الفني**

الوليد إبراهيم دينار

**المراسلات للتحرير والإدارة**

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

**الاشتراك السنوي**

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد. ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات.
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

**الإعلانات**

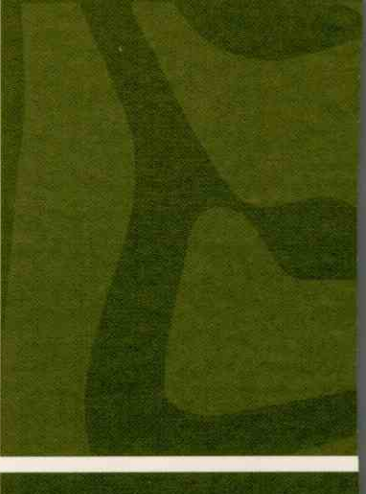
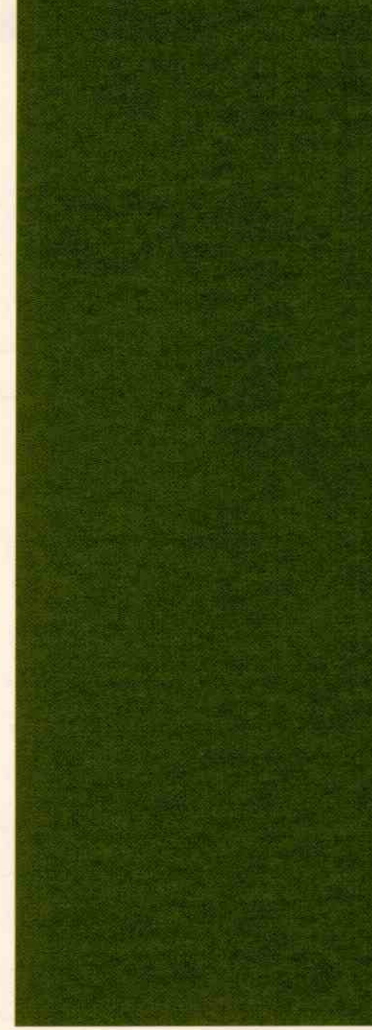
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

**رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد**

الوطنية ٤١/٢٤٥٠
ردمد ٠٤١١ ـ ٨٥٢٠

**الناشر**

دار الفيصل الثقافية

## ضوابط النشر

يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.

لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.

يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.

في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.

لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.

المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.

يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.

نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».

يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

## السعر الإفرادي

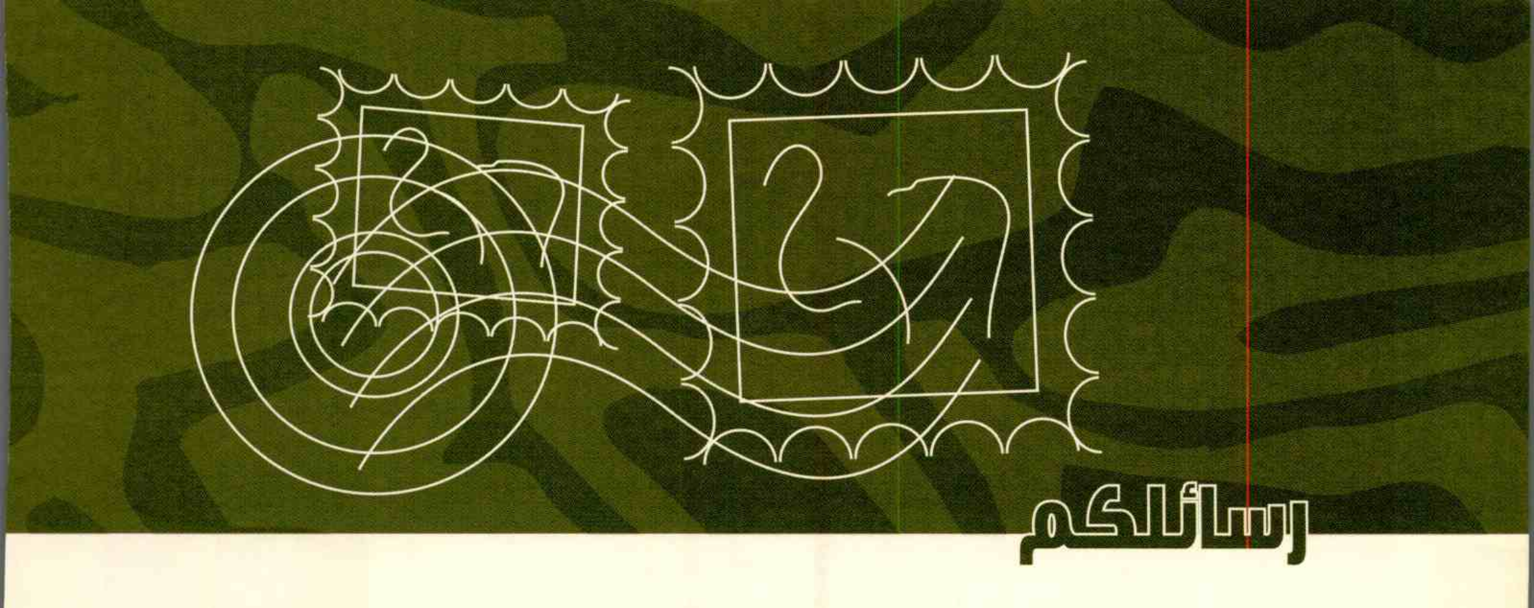
السعودية ١٠ ريالات. الكويت ٠٨٠ فلس. الإمارات ١٠ دراهم. قطر ١٠ ريالات. البحرين دينار واحد. عُمان ريال واحد. الأردن ٥٧٠ فلس. اليمن ١٠٠ ريال. مصر ٤جنيهات. السودان ١٥٠ دينارًا. المغرب ١٠ دراهم. تونس ١,٢٥٠دينار. الجزائر ٨٠ دينارًا. العراق ٨٠٠ فلس. سورية ٤٥ ليرة. ليبيا ٨٠٠ درهم. موريتانيا ١٠٠ أوقية. الصومال ٢٠٠٠ شلن. جيبوتي ١٥٠ فرنك. لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية. الباكستان ٢٠ روبية. المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

## الموزعون

السعودية - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع - هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥- فاكس ٣٣٩١٠٩٦- ٢٠٢...، سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٢٨٢١٢ فاكس ٢١٢٢٥٣٢- ١١- ٠٠٩٦٣، تونس - الشركة التونسية للصحافة - ٣نهج المغرب - ص.ب ٧١٩- فاكس ٧١٤٠٠٣٢٣/ هاتف ٩٣٢٢٤٩ - ٧١ - ٠٠٢١٦، قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ - فاكس ٤٦٦١٨٦٥ - ٠٠٩٧٤، الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢ - ٦ - ٠٠٩٦٢، البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٥٣١٢٨١ - ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢ - فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ - ٤ - ٠٠٩٧١، الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩ - ٠٠٩٦٥، المغرب، الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ - ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ - ٣ - ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧





# رسائلكم

## شباب دائم

لو كتبنا تاريخ الإصدارات الصحفية الثقافية في العالم أجمع لكانت البداية - من هنا - من «الفيصل» لماذا وكيف؟!؛ لأن مجلة «الفيصل» هي أساس النبتة وبذرتها التي قامت عليها زروع الصحافة الثقافية الحديثة في العالم العربي، وتشكل عليها وجدان القارئ الثقافي العربي وعقله، وأدخلت المستحدثات والمستجدات والتكنولوجيا الحديثة في الطباعة الفاخرة، التي تخدم جميع أطراف هذه المنظومة، في وقت لم تكن هناك أرضية تستوعب هذه الأفكار الجديدة. لقد أخذت «الفيصل» بيد القارئ العربي إلى فكر ثقافي متطور، يخدم كل الذين يريدون أن ينهلوا من بحور الثقافة المحترمة وأبعادها؛ من أجل خدمة الثقافة العربية والنهوض بها، فكانت «الفيصل» المرجع الرئيس الذي يلجأ إليه كل باحث عن حلول لمشكلات جميع أنواع الثقافة في وطننا العربي الكبير، من الخليج إلى المحيط.

هكذا كانت بداية «الفيصل» صحافة ثقافية راقية، تخدم عقول القارئ فاحترمها الجميع، لأنها قامت على مبدأ مهم، هو الذي جعلها تصمد أمام جميع العواصف، مبدأ يقوم على خدمة القارئ العربي الثقافي، وإعطائه مادة دسمة تشبع رغباته الثقافية المتنوعة..

يا مجلة الفيصل أنت الأساس، وأنت التاريخ، فلابد أن يحتفي بك التاريخ.. يا مجلة الفيصل لم تسع يومًا إلى شهرة، أو أضواء، ولكن كان لك البريق والضوء والشعاع، الذي ينير طريق الثقافة الصحيح، القائم على العمل الجاد الناجح.. إحدى وثلاثون شمعة يا مجلة الفيصل وأنت مازلت في ريعان الشباب، تقدمين كل جديد، كل إبهار، وكل جمال.

وسيبقى تاريخ «الفيصل» مع الصحافة الثقافية ومع الناس جميعهم دليلاً على أن «الفيصل» جمعت وحوت كل هذا العمر؛ من أجل إسعادنا، فلابد لنا أن نسجل تاريخ هذه المجلة المحترمة عبر تاريخ الزمن، ونوثقه، ونحترمه، ونحتفي به. فهذا الاهتمام، وهذه الحفاوة هي التي ستبقى دليلاً على مكانة هذه المجلة في قلوب قرائها الكرام، وتكون نافذة تطل منها الأجيال المقبلة، وتكون لهم حجة وسنداً من أجل الرقي بالثقافة العربية في السنين المقبلة إن شاء الله، إننا نملك من الحب والتقدير ما يمكننا لندرك قيمة مجلة ثقافية وعطاءها واحترامها، مجلة اسمها «الفيصل»، أعطت كثيراً وكثيراً، ومازالت تعطي، لذلك كانت تاريخاً يحتفي به التاريخ، كل سنة وأنت طيبة يا مجلة «الفيصل»، وإلى مزيد من النجاح.

والسلام عليكم ورحمة الله،،

علاء سالم مهران

أسيوط - موشا - مصر



## التحرير:

نشكر لك هذه المشاعر الطيبة التي تعكس مدى ارتباطك بمجلتك «الفيصل»، وآملنا أن نكون عند حسن ظن جميع الإخوة القراء، ولك التحية.

## مصطلحات المسابقة!

المتتبع نتائج مسابقة الفيصل الشهرية سيلاحظ أن ٩٥٪ من الفائزين من سورية هم من حلب.

السؤال: هل أحد أعضاء لجنة المسابقة من حلب؟.

وإذا أطلعت على أسئلة مسابقات الفيصل ستجد أن الأسئلة تدور حول مصطلحات في الديانات: الفارسية، البوذية، اليهودية، ومصطلحات أخرى لا تمت إلى الثقافة بأي صلة، ولها أكثر من أجابة، وواضع السؤال يعرف إجابة واحدة ولا يقبل غيرها. أسئلة المسابقة لا ترتبط بالثقافة والتاريخ الإسلامي بصلة.

محمد إبراهيم

دمشق - سورية

## التحرير:

نشكر لك تواصلك، ونحترم رأيك كثيراً، ونقول لك: إن تصورك بأن ٩٥٪ من الفائزين من سورية ليس صحيحاً أبداً، ونطمئنك بأنه لا يوجد عضو من حلب في لجنة المسابقة، بل لا يوجد عضو سوري في هذه اللجنة، والمصطلحات التي أشرت إليها قد تكون جزءاً من أسئلة أعداد قليلة من المجلة، والأسئلة المتعلقة بالثقافة العربية والإسلامية واردة في كل الأعداد تقريباً.

وعموماً نشكر لك ملاحظتك.

## إعجاب

إنه لمن دواعي سروري أن أتقدم إلى سيادتكم الموقرة برسالتي هذه راجية من المولى العلي القدير أن تصلكم وتتقبلوها مني بصدر رحب.

من خلال هذه الرسالة أود تقديم إعجابي الكبير بمجلتكم بما سمعت عنها، وعن الأعمال القيمة التي تقومون بها؛ من أجل نشر العلم والتقنيات الحديثة بين أوساط المجتمع العربي. أتمنى لكم النجاح والتوفيق والاستمرار في أعمالكم الجليلة. أدامكم الله وأعطاكم الصحة والعافية.

وأخيرًا تقبلوا مني فائق التقدير والاحترام.

كميلية عبشة

ولاية ورقلة - الجزائر

## التحرير:

نشكر لك هذا الإطراء، ونتمنى أن تكون المجلة عند حسن ظن قرائها الكرام.



# جازان

## معطيات سياحية متكاملة

إدريس علي سلمان الودعاني

جازان - السعودية

تعد السياحة من أهم صناعات العالم، منذ أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين، وهي صناعة مركبة الخدمات، كثيفة العمالة (١).

ولا تقف أهمية السياحة في دعم الاقتصاد، بل تتعدى ذلك إلى إسعاد المواطنين بطريق مباشر، بما تستهدفه في النهاية من رفع مستوى المعيشة، وتحقيق الرفاهية للمواطنين.

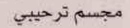
وتتمتع منطقة جازان ـ الواقعة في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية، والمطلّة على البحر الأحمر بطول ٢٧٥كم ـ بأنماط من المغريات السياحية، وعوامل الجذب، التي تجعلها ذات طابع مميز، وهذا الأمر يمكن معه تطوير تلك العوامل؛ لجذب السياح وإشباع رغباتهم.

فإضافة إلى موقعها المميز، لكونها منفذ الجزء الجنوبي الغربي من المملكة على البحر الأحمر، تتميز بالتنوع التضاريسي بين الجزر البحرية التي أهمها جزر فرسان، والمناطق الساحلية التي تمثل ٨٤٪ من جملة مساحة المنطقة بمتوسط عرضه ٣٠كم إلى ٥٠كم، وفي الشرق تمتد سلسلة من الجبال من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي تشكل ١٦٪ من مساحة المنطقة يراوح ارتفاعها بين ٩٠٠م و١٨٠٠م. وتبلغ مساحة المنطقة ١٤ألف كم مربع، وتضم ٣١ محافظة، وعدد السكان عام ٢٠٠١م (١.٢) مليون نسمة، وتكثر في المنطقة الأودية التي تنحدر من رؤوس الجبال الشرقية، في حين تتميز البيئة البحرية بغناها بالأحياء المائية، والأسماك، والشعاب المرجانية.

ونعني بمقومات الجذب السياحي Components of tourism attraction لأي إقليم أنها عبارة عن مركب متكامل من الخصائص الجغرافية والبشرية والمؤسسات السياحية، ويعد هذا المركب القاعدة الصلبة التي تهيئ الفرصة لقيام الحركات السياحية وتطورها(٢).

وتعرف السياحة بأنها تفاعل إنساني يتضمن أنشطة يقوم بها أشخاص يمكثون في أماكن خارج مقرات إقامتهم وبيئاتهم المعهودة، لمدة لا تزيد على عام، بهدف إنجاز أعمال، أو المتعة والاستجمام، والاطلاع، والاسترخاء، والتجوال.

إننا حين نكتب عن السياحة في جازان المنطقة نجد أساسيات السياحة بها في تكامل تنفرد به، ويمكن تحديد المقومات والخصائص الجغرافية، وموارد الجذب السياحي في منطقة جازان من خلال تقسيمها إلى قسمين أساسيين، هما: مقومات طبيعية، ومقومات بشرية على النحو الآتي:


مجسم ترحيبي

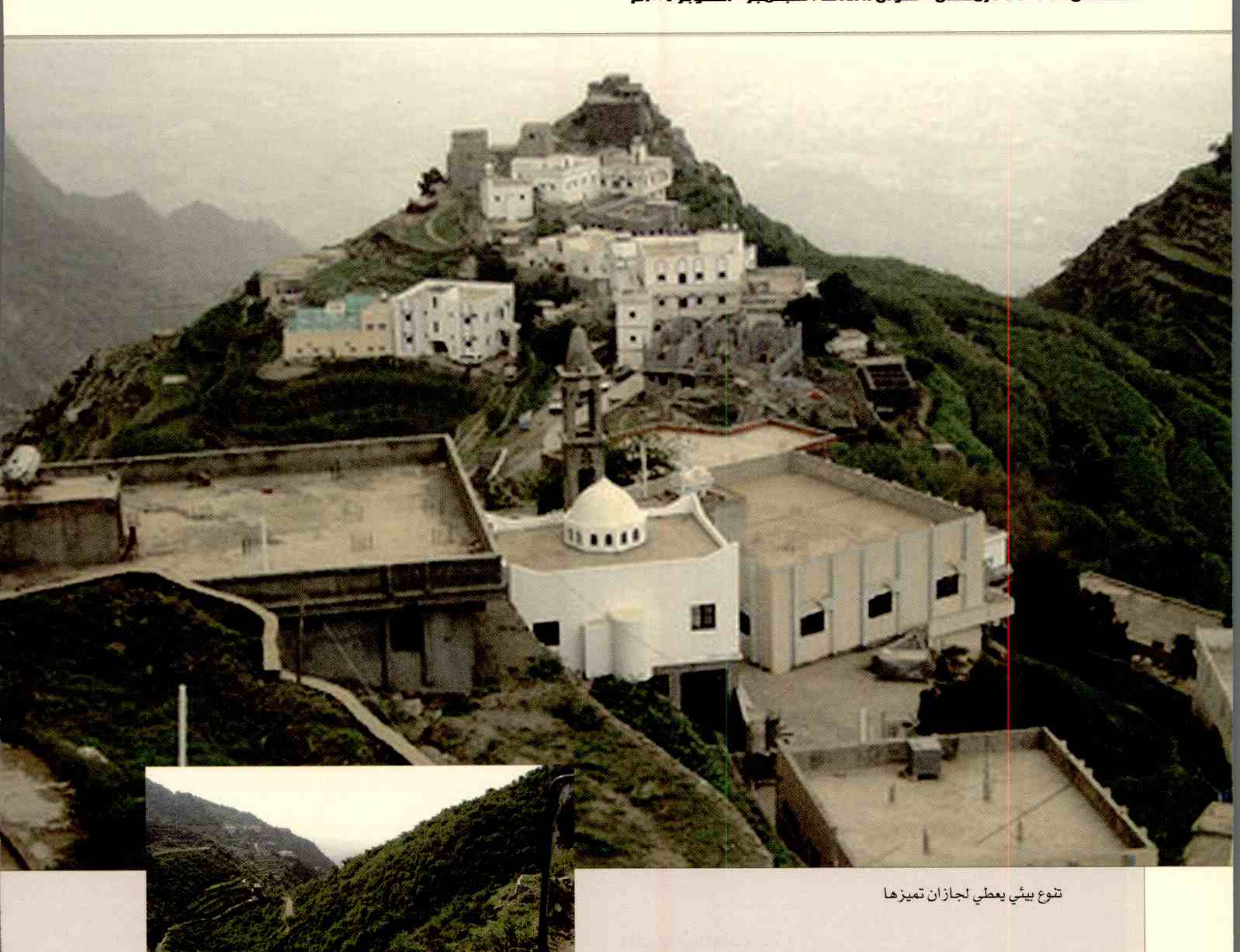


## المقومات الطبيعية

تشمل المقومات الطبيعية كلاً من الموقع، والتضاريس، والأحوال المناخية ـ الينابيع والعيون الحارة، والنباتات، والحياة الفطرية، وفيما يأتي توضيح لكل عنصر:

## الموقع

لقد أتاح الموقع لهذه المنطقة فرصة ظهورها كميناء رئيس، إضافة إلى أهمية موقعها إقليميًا وتجاريًا، حيث تتحكم في جزء مهم من الممر الإستراتيجي للبحر الأحمر، وقد كانت جازان همزة وصل بين التجارة البرية والبحرية للمنطقة



تنوع بيئي يعطي لجازان تميزها

الجنوبية، كما كانت محطة استراحة للحجيج القادمين من اليمن؛ وذلك بحكم موقعها على الطريق الذي يربط بين اليمن ومكة المكرمة. ويحف بواجهتها البحرية نطاق شبه متصل من الشعاب المرجانية يصل أقصى اتساع له عند أرخبيل جزر فرسان، التي تقع على محور ملاحي مهم للتجارة العالمية عبر البحر الأحمر، وخليج عدن، والمحيط الهندي. وتعدّ جازان منفذ الناحية الجنوبية الغربية للمملكة، وبها أكبر ميناء في المنطقة الجنوبية. في حين تعد جزر فرسان من أهم الجزر بالمملكة التي يمكن أن تقام المنتجعات السياحية، وهذا ما يتيح

إقامة عدد من المهرجانات والمسابقات الرياضية البحرية. وتعد المنطقة من أغنى مناطق الصيد في البحر الأحمر، إذ تنتج ٥٠٪ من إنتاج الأسماك، الذي يمكن معه إقامة مسابقات الصيد، فضلاً عن تمتع النطاق الجبلي بمناخ معتدل، وارتفاع شاهق، إذ تغطيه الغابات، وتتناوب فيها القمم مع الأودية العميقة والمدرجات الجبلية الساحرة. إضافة إلى طبيعة الصخور النارية ذات الألوان المتباينة. ولعل من أبرز عوامل الجذب التباين الحراري بين هذه الجبال ومنطقة السهل الساحلي، خصوصًا في فصل الصيف الذي يعد أكثر فصول السنة طردًا للسكان من منطقة تهامة.

ويتضح مما سبق أهمية موقع المنطقة وحيويته محليًا، في إطار خريطة المملكة العربية السعودية، وإن بدت في موقع ناء متطرف إلا أن هذا الموقع قد نأى بها عن مواقع الاكتظاظ السكاني الشديد، والتلوث الصناعي الممتد في وسط المملكة وشرقها. كما جعل لها أهمية تجارية لاستيراد السلع وتصديرها إضافة إلى وقوع المنطقة بالقرب من منطقة أبها ذات النشاط السياحي، وهذا ما يجعلها منفذًا للسياح إلى القرى السياحية البحرية كمنتجعات شاطئية.

**التضاريس**

لعل من أهم مميزات المنطقة التنوع التضاريسي فهي تجمع بين السهل الساحلي المنبسط، والجبال المرتفعة الشاهقة، والجزر البحرية الساحرة. ولهذا تمثل أشكال السطح في المنطقة عنصر جذب فعالاً، وأرضية طيبة لقيام السياحة وتطورها. وتطل الجبال بقمم عالية على سهل تهامة، وأهمها، من الشمال إلى الجنوب: جبل رغفة (١٨٠٩م)، وجبل أم الهدى (٢١٣٥م). وجبل القهر (١٩٤٧م)، وجبل الريث (٢٠٠٠م)، وجبل هروب (٢٢٩٢م)، وجبل الطرف (٢٣٠٧م)، وجبل الحشر (٢٠٦٤م)، وجبل فيفا، وبني مالك وغيرها. وهذه الجبال مازالت بكرًا لم تمسها يد الحضارة بعد.

ويمتد السهل الساحلي من أقدام الجبال الشرقية من مستوى ٥٠٠م متجهًا غربا إلى مستوى صفر في الشاطئ البعيد off shore، ويتميز هذا السهل بتنوع المظاهر التضاريسية، فينقسم من الشرق إلى الغرب إلى الوحدات التضاريسية الآتية: (المرتفعات الساحلية، القباب الملحية، الحرات، التلال الرملية، السبخات، والشواطئ، والشعاب المرجانية، والجزر البحرية). كما ينتشر على خط الساحل ألسنة رملية وشروم ومراس بحرية، فضلاً عن الرؤوس والخلجان. ويعد لسان رأس طرفة على ساحل صبيا أحد أهم الظاهرات البحرية في سواحل غرب المملكة، إضافة إلى انتشار المراسي في النطاق الساحلي الممتد من مدينة جازان إلى الحدود اليمنية نتيجة لغناه بتداخلات الساحل ووجود

**كانت جازان همزة وصل بين التجارة البرية والبحرية للمنطقة الجنوبية، كما كانت محطة استراحة للحجيج القادمين من اليمن**

**أهم مميزات المنطقة التنوع التضاريسي، فهي تجمع بين السهل الساحلي المنبسط، والجبال المرتفعة الشاهقة، والجزر البحرية الساحرة**

الخلجان. أما الجزر فهي ذات شواطئ خلابة وذات رمال بيضاء يزيد عددها على ٩٠ جزيرة، تصلح لإقامة مسابقات الغوص، ومشاهدة الشعاب المرجانية، والتمتع بصيد الأسماك، وإقامة المسابقات البحرية المختلفة، كالتجديف، والغوص، وغيرهما.

ويزيد من جمال (اللاندسكيب) الطبيعي انتشار الأودية المتجهة غربًا من رؤوس الجبال الشرقية، وهذا ما يجعل المرور عبر هذه القطاعات - خصوصًا وقت غزارة الأمطار - نزهة واستجمامًا، نتيجة لانتشار البلايا المختزنة للمياه في بطون الأودية، وانكشاف أجزاء من رسوبيات قيعانها، وأهم هذه الأودية من الشمال إلى الجنوب: عتود، والسر، وبيش، وصبيا، وضمد، وجازان، وأملح، وخلب، وتعشر، وحرض. وقد أنشئ سد وادي جازان وما تطور عنه من انتشار بحيرة صناعية صارت مقصدًا سياحيًا بالغ الأهمية في بيئة جافة، تصنف الآن ضمن المناطق الرطبة وذات التنوع الإحيائي في المملكة، كما أدى وجود العين الحارة على مقربة من هذه البحيرة إلى دعم الجذب السياحي.

ولهذا تعد المنطقة غنية بعناصر الجمال الطبيعي، وكلما تعددت الظواهر الجيمورفولجية وتنوعت، زادت عملية الجذب السياحي (٣).

أما عن الجزر فتتميز بالسواحل الصخرية والرملية، التي تتفاوت فيها عمليات النحت والإرساب مع وجود النباتات الساحلية. كما تنتشر ظاهرة الجروف الحادة، والجروف القائمة الزاوية، إضافة إلى الجروف النشيطة active cliffs في السواحل الغربية لجزيرة فرسان الكبرى، والصغرى، إضافة إلى الجروف الغاطسة، والكهوف المحمية، التي تعد عامل جذب مهمًا للسيّاح في ظل ما تتمتع به فرسان من إشعاع شمسي. كما تزدهر معسكرات الغطس على شواطئ خليج جنابة؛ وذلك لصفاء المياه بها، التي يقصدها السياح حتى من أوربا الغربية (٤).

وتمتاز سواحل المنطقة بعوامل جذب سياحي، منها اتساع مساحة الظهير أمام الواجهة البحرية، واتساع الشواطئ التي تزيد على ٢٠ مترًا برمالها الناعمة، كما توجد ظواهر الحافات الرملية الشاطئية، كما في منتجع بيش الساحلي.

ومن خلال العرض السابق نجد أن تنوع التضاريس، وتعدد الظواهر في المنطقة، إضافة إلى التوزيع الجغرافي المتوازن نسبيًا، تجعل من المنطقة مصدر جذب سياحي.

## البناء الجيولوجي للمنطقة

يمكن القول: إن البناء الجيولوجي، وما يحويه من صخور مختلفة، رسوبية ونارية، ومن بازلت وجرانيت، وصخور متحولة كالكوارتز، إضافة إلى التقاطيع الصخرية والجروف، والأشكال الجميلة والفريدة، التي تبدو بها الصخور والتي تدعو إلى التفكر، كل ذلك يجعل منطقة الدراسة موردًا طبيعيًا مهمًا للسياحة، وهذا ما يمكن السائح من الاستمتاع بمشاهدة أنواع الصخور المختلفة، وطبقاتها المتعددة، لكن المؤسف أن المرحلة الحضارية الحالية لا تتيح استغلال هذا المورد؛ لغياب الوعي الجيولوجي، وهوايات ترويج الجبال القائمة على خلفيات عملية وتربوية (٥). وكل ما يوجد من معارض جيولوجية هي

**يوجد في منطقة جازان متحف للتراث الشعبي يضم أدوات أثرية قديمة وفنونًا إسلامية تعود إلى العصور: الأموي، والعباسي، والمملوكي، والعثماني**

ضمن أنشطة مدرسية غير متاحة للسياح ومحدودة، ولكي يتم تفعيل هذا المورد ليصبح عامل جذب سياحي، يتم عن طريق إقامة متحف جيولوجي تحت إشراف الجهات المنظمة للتنشيط السياحي ومتابعتها، وتشجيع رياضة التسلق، وتسهيل الوصول إلى هذه المناطق.

**الأحوال المناخية**

المناخ من أهم العوامل الطبيعية التي تؤثر تأثيرًا كبيرًا في الأنشطة السياحية، وأقوى عناصر المناخ تأثيرًا في السياحة درجة الحرارة، انخفاضًا وارتفاعًا، ثم نسبة سطوع الشمس، ثم الرياح وسرعة حمولة الأتربة، والرطوبة النسبية، والتساقط. كما تؤثر هذه العوامل في نفقات البناء، وأماكن الإيواء، والتجهيزات، كأجهزة التكييف (٦). وبحكم موقع منطقة الدراسة فهي تقع ضمن المنطقة الحرارية، وإن اختلفت باختلاف الظروف الطبوغرافية والموقع بالنسبة إلى اليابسة والماء.

ويظهر الاختلاف الحراري بين منطقة السهل الساحلي والمنطقة الجبلية شرقًا صيفًا وشتاءً حيث ترتفع الحرارة على مدار العام في السهل الساحلي، ويزيد المعدل الشهري على ٢٥ درجة مئوية، وتقترب الحرارة صيفًا من ٤٨ درجة مئوية، والمدى الحراري لا يتعدى ١١ درجة، في حين تنخفض شتاءً. إلا أنه لا يظهر فصل بارد على الإطلاق في هذا النطاق (٧). كما ترتفع في النطاق السهلي قيم الرطوبة، إذ يصل أعلى معدل لها ٩٩٪ شتاءً، وتهب في فصل الخريف والصيف الرياح الغربية الموسمية المثيرة للعواصف الرملية التي تزيد من قسوة المناخ، وتقل الأمطار في هذا النطاق إذ معدلها السنوي إلى ٥٠ ملم، وتزداد كلما اتجهنا جنوبًا.

أما في النطاق الجبلي فتنخفض فيه درجات الحرارة، ولا يزيد معدلها السنوي صيفًا على ٣٤ درجة مئوية، كما تنخفض قيم الرطوبة في حين تسقط أكبر كمية مطر على مستوى المملكة تراوح بين ٤٠٠ و ٦٠٠ ملم.

ومن خلال العرض السابق يتضح أن الاختلاف الحراري بين النطاقين السهلي والجبلي هو عامل جذب وطرد في آن واحد، في حين تستقبل المرتفعات كثيرًا من السياح صيفًا، وينعكس الأمر في فصل الشتاء، إذ تستقبل السواحل كثيرًا من السياح؛ وذلك للدفء النسبي، والجو المعتدل. فنجد مثلاً أن متوسط درجات الحرارة صيفًا في صبيا ٣٤ درجة في حين تصل في جبل فيفا الواقع في النطاق الجبلي إلى ٢٨ درجة مئوية. كما يبلغ المتوسط شتاءً (٢٥ - ١٨ درجة) في كل من صبيا وفيفا على التوالي، كما يمثل الاختلاف في كمية الأمطار عامل جذب لما توفره أمطار الجبال من غطاء شجري، ووفرة نباتية ذات جذب سياحي.

ويفضل أكثر من نصف سكان المنطقة في أثناء فصل الصيف والخريف الانتقال إلى المناطق المرتفعة لقضاء أطول وقت ممكن من ساعات اليوم للسياحة والاستجمام. ولا يمكن إغفال كمية التساقط التي تكون ذات نسب عالية في فصلي الصيف والخريف، حيث يكون لها دور في خفض نسبة عدم الشعور بالراحة في المناطق السهلية بشكل عام في فصل الصيف. لهذا تعد المناطق الجبلية الأنسب مناخًا والأريح جوًا للسياح. كما يمكن القول: إن التباين المناخي في

**تعد منطقة جازان غنية بعناصر الجمال الطبيعي، وكلما تعددت الظواهر الجيمورفولجية وتنوعت، زادت عملية الجذب السياحي**

النطاقين السهلي والجبلي يجعل هناك تكاملاً في جوانب الجذب السياحي.

### الينابيع والعيون الحارة

يطلق اسم العيون، أو الينابيع Springs على تلك المناطق التي تتدفق منها المياه طبيعيًا من غير أي تدخل من الإنسان، وتظهر العيون لأسباب متعددة تتعلق بجيولوجية المنطقة التي تظهر فيها العيون (٨).

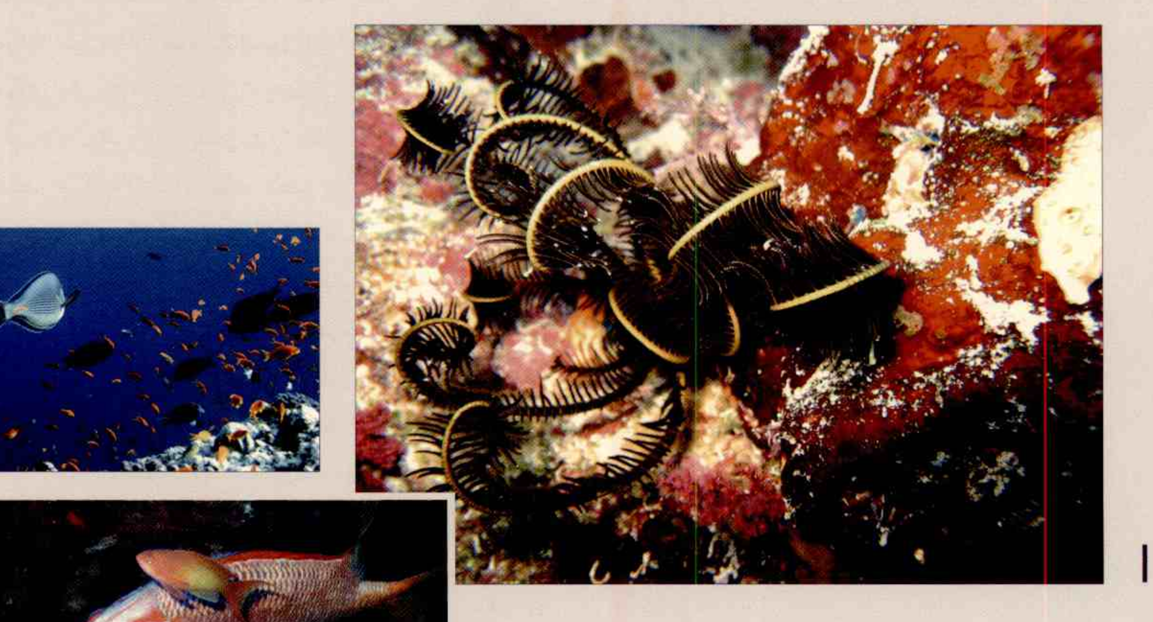
وتتميز منطقة جازان بوجود عيون ناتجة من حركات الصدوع والإنكسارات التي تعرضت لها المنطقة، وأهمها الينابيع الحارة، وسميت بالحارة؛ لأن المياه التي تتدفق منها مرتفعة الحرارة، تصل في بعض الأحيان إلى درجة الغليان. وتحدث هذه الظاهرة لتماس المياه الجوفية مع الصخور الساخنة تحت سطح الأرض.

وهناك ثلاثة عوامل يجب توافرها لانبثاق الينابيع الحارة، تتمثل في وجود مصدر جيد ومستمر من المياه الجوفية، ووجود شقوق وتصدعات وفواصل تمتد من سطح الأرض إلى داخل الطبقات، إلى أعماق بعيدة باتجاه باطن الأرض، حيث ترتفع درجة الحرارة مع زيادة العمق، ووجود صخور حارة قريبة نسبيًا من سطح الأرض.

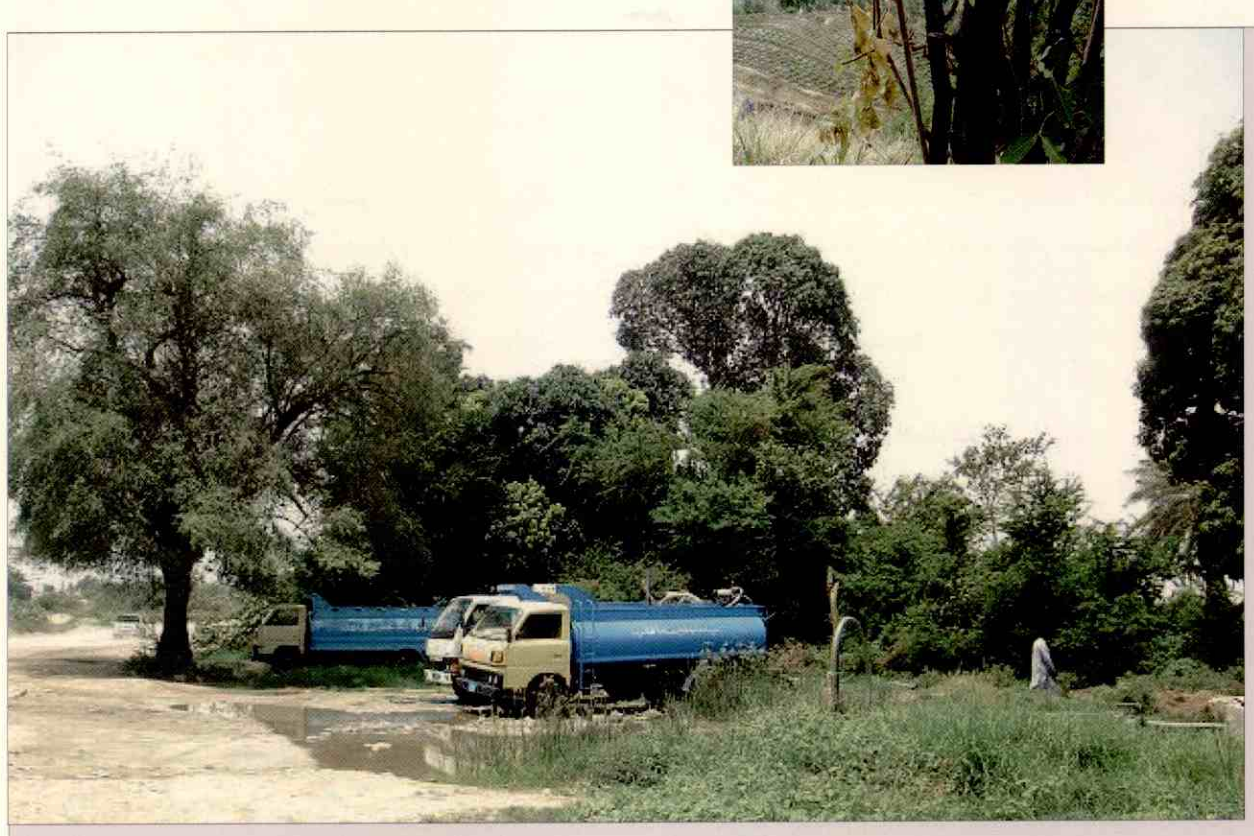
وتحتوي عيون جازان الحارة على عدة عيون منها: العين الحارة بالخوبة، والعين الحارة بوادي جازان، والعين الحارة ببني مالك، وتراوح إنتاجية هذه العيون بين ١٦٣م مكعب/ يوم و٣٢٧م مكعب/ يوم، كما تراوح درجة حرارتها بين ٥٠ْم و٧٠ْم.

وتمثل الينابيع الباطنية الحارة نطاق جذب لكثير من الناس للاستشفاء بها، وهناك نحو ثمانية عشر ينبوعًا حارًا جنوب غرب المملكة في السهل الساحلي للبحر الأحمر.

وقد تكونت هذه الينابيع بسبب الأنشطة الجيولوجية التي حدثت في باطن الأرض، مثل الأنشطة البركانية،







الغطاء النباتي ساعد على تنوع الحيوانات والطيور البرية

والتحركات الباطنية في القشرة الأرضية، مما ينتج منه ارتفاع المياه الحارة إلى سطح الأرض، مكونة ينبوعًا حارًا مستديمًا يؤدي بدوره إلى تكوين منطقة رطبة دائمة تحيط به.

وقد أكدت الدراسات أن هذه المناطق غنية بالتنوع الإحيائي والنباتي والحيواني، إلى جانب أهميتها كمناطق ذات جمال طبيعي أخاذ، وذات قيمة سياحية كبيرة يمكن إذا أحسن استغلالها بشكل مستديم أن تكون أحد روافد الدخل الوطني.

ونتج من ارتفاع غاز ثاني أكسيد الكربون بهذه العيون أن جعل لها قدرة كبيرة على إذابة بعض المواد المعدنية. لهذا من الطبيعي أن تكون مياه العيون الحارة معدنية (أي تحتوي على كثير من العناصر المعدنية المذابة). ولهذا نجد أن أغلب العيون الحارة إما كبريتية، وإما سيليكية، أو جيرية بها أملاح الكلور، أو الماغنيزيوم.

وكلما زادت المياه الجوفية في هذه المناطق ارتفعت درجة حرارتها، وتظهر على السطح مباشرة إذا ما وجدت في التكوينات الصخرية العليا التي تمتد فوق سطح الأرض في صورة عيون شديدة الحرارة.

ويلجأ إلى هذه العيون المصابون بالأمراض الجلدية، والحساسية، والروماتيزم؛ للاغتسال فيها؛ وذلك لاحتوائها على مواد معدنية كبريتية ذات مفعول طبي أثبت نجاح علاجها، علاوة على اكتساب كل عين من هذه العيون لونًا مختلفًا عن الأخرى، إضافة إلى اختلاف درجة ملوحة كل عين. وبعد الدراسة العلمية التي أجرتها جامعة الملك عبدالعزيز على خواص هذه العيون أكدت الدراسات أن الملوحة تراوح بين ٥ جرامات لكل كجم ماء في بعض منها، وتتدرج إلى أن تصل إلى أكثر بقليل من ١٠٠ جرام لكل كجم ماء. وهذا يقدر بأكثر من ضعف ملوحة مياه البحر في المنطقة.

وأشار الفريق العلمي إلى أن كثافة الكتلة الحية في هذه الآبار تتناقص بازدياد الملوحة، إلى أن تنعدم تقريبًا في المياه شديدة الملوحة. ومن مظاهر هذه الحياة وجود الطحالب الخيطية المعروفة باسم (انترموفا)، وطحالب خضراء مزرقة، وغيرها من الأنواع. ويعزى اختلاف الألوان إلى أن هذه الطحالب تحررت كيميائيًا من رسوبيات المنطقة، فقد وجد - أيضًا - أن مناطق العيون مغطاة بطبقة رسوبية لينة ذات محتوى عضوي مرتفع، مما يوحي بنشاط بكتيري لا هوائي (٩).

إضافة إلى العيون المالحة توجد أيضًا عيون باردة، وتوجد هذه العيون عند أقدام الجبال الساحلية، وتمتاز بمائها النقي حيث يخلو من جميع الشوائب، أو العوالق وهي سائغة وعذبة وكثير من السكان يفضلونها على المياه المعدنية (الصحية).

وتكثر في منابع هذه العيون البحيرات، وأغلبها يكون مستمرًا طوال العام حيث لا تتأثر بالسيول، أو الجفاف؛ لأنها تخرج من التشققات والفوالق الصخرية.

ومن أشهر هذه العيون: عين المدمع وتنبع مياهها من أسفل جبل العبادل من ناحيته الغربية، وتصب في نفق تشكل طبيعيًا من دون تدخل بشري حتى يصل إلى بحيرة ذات عمق كبير تصب المياه فيها، ونتيجة لتقعر سطح المنطقة، ونمو الأشجار، ووجود الخوانق الكبيرة أدت إلى قلة وصول أشعة الشمس إلى داخل هذه الخوانق، فظهرت المياه الخارجة شديدة البرودة، حيث ينحدر جريان الماء من هذه الصخور.

وتنتعش كثير من الحياة الفطرية، والطحالب الحية، والنباتات المتنوعة في تلك المناطق، وتشكل مأوى لكثير من الحيوانات الفطرية، والأعشاب الفريدة. وقد أثر رعي الغطاء الشجري في هذه المناطق وقطع أغصان الأشجار بها في أثناء الجفاف في تغير النظام البيئي وتخلخله، وساعد على زيادة تبخر المياه منها، كما أثر إلقاء الملوثات بالقرب منها في قلة المرتادين لها خاصة مناطق العيون السهلة، في حين تمثل بقية العيون الجبلية مصدر جذب رئيسًا للاستشفاء، وقد أدى سوء الاستغلال إلى التهديد بردم بعضها وطمره، مثل العين الحارة غرب العارضة، في حين قل مستوى كثير من هذه العيون بشكل ملحوظ.

## النباتات والحياة الفطرية

يرتبط توزيع النبات بعامل الارتفاع، فتزداد كثافة الغطاء النباتي كلما ارتفعنا. كما توجد الغابات على السفوح، إضافة إلى كثير من مواقع واحات الأودية ومسارات السيول. وتتمثل الغابات الجبلية في النباتات المتساقطة الأوراق، والأشجار الدائمة الخضرة. وتتألف المجموعة الشجرية في الأغلب من أشجار العرعر، والعتم، والبلوط، والتاجا، كما توجد أشجار البن والأكاسيا المختلفة، كالسلم والسمر والعرفج، إضافة إلى بعض الطرفيات، كالطرف والأثل، ويوجد السدر والأراك في الأودية الأكثر حرارة، إلى جانب نخيل الدوم، وبعض الأشجار شبه الاستوائية، وأنواع كثيرة من الأشجار الخشبية.

وقد أدى الغطاء النباتي إلى كثرة الحيوانات والطيور البرية (الموارد الحيوية البيولوجية)، حيث يوجد في النطاق الجبلي النمور والفهود، والأرانب الجبلية، والجرابيع، والقرود، والزواحف، وأنواع متعددة من الطيور والعصافير، ولهذا تعد الجبال مصيفًا جميلاً لتنوعها النباتي والحيواني،

**يطلق اسم العيون، أو الينابيع على تلك المناطق التي تتدفق منها المياه طبيعيًا من غير أي تدخل من الإنسان**





الآثار التاريخية في حضن الطبيعة

**يرتبط توزيع النبات بعامل الارتفاع، فتزداد كثافة الغطاء النباتي كلما ارتفعنا. كما توجد الغابات على السفوح**

وهذا ما يجعلها موردًا سياحيًا مهمًا يجب استغلاله.

وتعدّ منطقة الشاطئ من أغنى مناطق الصيد على البحر الأحمر، وأهم مصايد الأسماك في النطاق الشاطئي (جازان، المافيا، السهي، الموسم) إضافة إلى جزر فرسان التي هي من أهم مراكز صيد الأسماك في المنطقة الجنوبية، ويوجد في الأحواض الضحلة بين الشعاب مغاصات أصداف اللؤلؤ، كما تتركز مصايد الأسماك في الجزر الغربية من الشاطئ مثل (فرافر، وآمنة، والجعفري) لطبيعة القاع الطيني، وبها مصايد الروبيان.

وينمو كثير من النباتات الساحلية على الشاطئ؛ لوجود سواحل محمية من الأمواج بفعل الشعاب المرجانية، حيث توجد نباتات الشورى التي يراوح طولها بين متر وثلاثة أمتار، وتعد ثروة طبيعية نادرة، وذات قيمة بيئية واقتصادية وتشغل النباتات ١٦٪ من شواطئ الجزر، ونتيجة لأهمية الجزر، وتنوع الغطاء النباتي والحيواني بها، فقد أنشئت محمية فرسان والنخيل، كما تتميز بأنواع كثيرة من الحيوانات كالغزال الآدمي، ويكثر بها طيور البجع والنورس والطيور المهاجرة. كما تعد مناطق الحياة الفطرية المفتوحة من أهم مناطق الجمال الطبيعي الساحرة التي تجتذب أعدادًا غفيرة من السياح سنويًا في الآونة الأخيرة.

## المقومات البشرية

تتنوع خصائص الموارد البشرية Human resources للسياحة من مكان إلى آخر وتعد جزءًا من العوامل الأساسية التي تقوم عليها السياحة، ومن أهم المقومات البشرية للسكان؛ لأنهم العنصر المهم في كل مشروعات التنمية، وهو المتحكم في عنصر التخطيط من أجل زيادة الإنتاج، وتعني الزيادة السكانية مع ارتفاع مستوى المعيشة زيادة الطلب على الخدمات، ومن ضمنها السياحة. كما تؤدي خصائص السكان وتكوينهم الديمغرافي والاجتماعي والديني دورًا مهمًا في نشأة التسهيلات السياحية وتطورها، وقد بلغ عدد السكان في المنطقة عام ٢٠٠١م (١٫٠٨٣٫٠٢٢) نسمة تصل نسبة الذكور إلى ٤٨٫٤٪ في حين تصل نسبة الإناث إلى ٥١٫٦٪ من جملة السكان في المنطقة، ويمثل سكان الحضر ٤٧٪ في حين يمثل سكان الريف ٥٣٪، وكل هؤلاء السكان يتميزون بتنوع المغريات السياحية المختلفة، كما يتميزون بعادات وتقاليد وأنماط

## تعد أنواع الرقصات والفنون في منطقة جازان ذات مدلولات متعددة، ومع مرور الوقت أصبحت تمارس للتسلية

سلوكية مختلفة تعد من عوامل الجذب السياحي، كما يؤدي ارتفاع متوسط العمر (١٥ ـ ٦٤) إلى زيادة الطلب على السياحة والترويح لتمتع فئة الشباب بالحيوية والقدرة على السفر، وفئة الكبار بالاستقلال المالي.

### الآثار التاريخية عامل جذب سياحي

تودي الآثار دورًا كبيرًا بوصفها عامل جذب بشري، وتلقى المناطق التاريخية والأثرية اهتمامًا متزايدًا من السياح في كثير من مناطق العالم، ويتسم الإرث التاريخي في منطقة جازان بالتعدد والتنوع والتفرد، فهو يرجع إلى عصور مختلفة، تمثل رمزًا تاريخيًا وسياسيًا واقتصاديًا وحضاريًا للمنطقة، تتنوع بين القلاع والبيوت والمساجد التي تحوى أعمدة وصخورًا وكتابات ونقوشًا وزخرفات خاصة، تشكل في مجملها رمزًا لحقب زمنية أثرية في التاريخ القديم للمنطقة، ومن هذه الآثار في المنطقة ما يأتي:

- تعد مدينة عثر، الواقعة غرب محافظة صبيا ١٦كم على ساحل البحر الأحمر من أشهر المواقع الأثرية، ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر الميلادي كإحدى أسواق العرب المشهورة. وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ضرب بها سليمان بن طرف الحكمي أمير المخلاف الدينار العثري، ونقل حكومته إليها لتصبح عاصمة المخلاف.
- وفي وادي خلب توجد منطقة تسمى الخصوف، يرجع تاريخها إلى ما قبل الإسلام وتعرف محليًا باسم مهد الحصون.
- قرية الشرحة هي إحدى المدن الأثرية على البحر الأحمر قبالة بلدة الموسم، يرجع تاريخها إلى القرن الرابع الهجري، وقد ذكرها ابن خرداذبة، والبشاري، وياقوت الحموي، وابن بطوطة. وقد طمرت الرمال كثيرًا من أجزائها، وهي الآن محاطة بشبك لحفظ حدودها ومعالمها.
- ويتبع لمركز ديحمة بلدة تسمى السهي، يرجع تاريخها إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة وتبعد ٤٠كم جنوب مدينة جازان، وتشغل مساحة ٩٠٠ × ١٠٠٠م. وهي من أهم المواقع الساحلية في جازان، وتتبع مركز ديحمة، والأنقاض الموجودة بها مشكلة من القواقع البحرية مختلطة بمجموعات كثيفة من كسر الأواني الفخارية.
- توجد في مدينة جازان قلعة تسمى قلعة الدوسرية مشيدة على الطراز التركي، وتقع بالقرب من حاكمة أبي عريش، وقد ذكرت في أحداث القرن الرابع الهجري. في حين توجد بين بلدتي الريان والكواملة في وادي جازان بلدة أثرية تدعى (المنارة) يوجد بها آثار وأوان فخارية مبعثرة بكثافة، وتشغل مساحة تقدر بـ ٢كم٢، ويرجع تاريخها إلى القرن السادس الهجري.
- ويوجد بين وادي نخلان ووادي صبيا موقع أثري كبير يحتوي على فخار مصقول أسود مزخرف بالنقوش المحززة، وبقايا من أحجار الرحى يسمى (المغلة) وتبلغ مساحته ٢٠٠م في ٥٠٠م تبعد ١٥كم عن الساحل.
- في حين توجد في شرق صبيا إطلالة قصور ومباني أسرة الأدارسة، التي حكمت المنطقة مدة من الزمن.
- ويوجد في محافظة أبي عريش قلعة تدل على قدم عهدها،





لجبال جازان طبيعة خاصة تمنحها جاذبيتها

جاء ذكرها في كتاب العقيق اليماني في أحداث سنة ٩٨٩هـ، وسنة ٩٩٠هـ، وقد قام الحاكم التركي في المنطقة سنة ٩٩١هـ ببناء القلعة وإصلاحها، وظلت عامرة إلى نهاية الدولة العثمانية الأولى سنة ١٠٣٦هـ، وكان يطلق عليها دار النصر بأبي عريش. كما يوجد في محافظة أبي عريش جامع أثري يسمى بالجامع الأعلى، وقلعة أثرية تعرف بقلعة دار الفن ذات شكل معماري فريد.

وفي شرق بلدة حاكمة توجد مدينة تاريخية تعرف باسم جازان الأعلى، وتسمى - أيضًا - بدرب النجا، ولا يعرف من تاريخها القديم سوى أنها اتخذت قاعدة من قبل أمراء الغوانم، وأمراء الشطوطو، الأمراء القطبيين، وقد وصف تحصيناتها الشاعر ابن هتيل في القرن السابع الهجري، وكذا الشاعر الجراح بن شاجر في القرن التاسع الهجري (١٠).

أما في جزر فرسان فقد وجد في وادي مطر صخور كبيرة عليها كتابات حميرية، إلى جانب قلعة في جبل لقمان

**يؤدي انتشار الأمراض في المنطقة، وضعف الرقابة الصحية إلى إحجام السياح عن التعامل مع مثل هذه المرافق السياحية**

الذي يحوي أنقاضًا لقلعة قديمة، وبالقرب منها توجد بعض المقابر. وتوجد في منطقة غرين ثكنات عسكرية تركية في جزيرة قماح تسمى (العرضي) وكثير من البيوت الأثرية والمساجد ذات البناء المعماري الفريد في قرية القصار.

ويوجد في النطاق الجبلي منارات وقلعات وحصون ذات طابع معماري مميز، وهي قرية أثرية ترمز لحضارة عريقة، وتاريخ فريد، مثل قرية: قيار، وقرية عثوان، وجبال بني مالك، وقرية الغمدة في جبل سلا.

ويوجد في منطقة جازان متحف للتراث الشعبي يضم أدوات أثرية قديمة وفنونًا إسلامية تعود إلى العصور: الأموي، والعباسي، والمملوكي، والعثماني، وبعض الأدوات التي تعود إلى العصر الحجري. كما توجد كسر من الحجر الصابوني الذي يعود تاريخه إلى ما قبل الإسلام. كما توجد مواقع أخرى تعود إلى عصور حديثة، كبلدة المفلة بمساحة ٢٠٠ × ٥٠٠م بين وادي نخلان ووادي صبيا، وبيوت الأدارسة شمال شرق صبيا، وقلعة أبي عريش، وقد جاء ذكرها في كتاب العقيق اليماني في حوادث سنة ٩٨٩هـ.

### العمران عامل جذب سياحي

يعد التبعثر والانتشار من أهم سمات العمران في المنطقة، وفي النطاق الجبلي يظهر العمران متداخلاً مع المدرجات الزراعية التي تفترشها الأشجار المثمرة، وهذا ما يعطي شكلاً جماليًا رائعًا يعد من أهم عوامل الجذب السياحي في القطاع الجبلي. كما أن أغلب المباني يظهر من الصخور المحلية نفسها، خصوصًا صخور الجرانيت التي تعطيها ألوان الطبيعة السائدة نفسها.

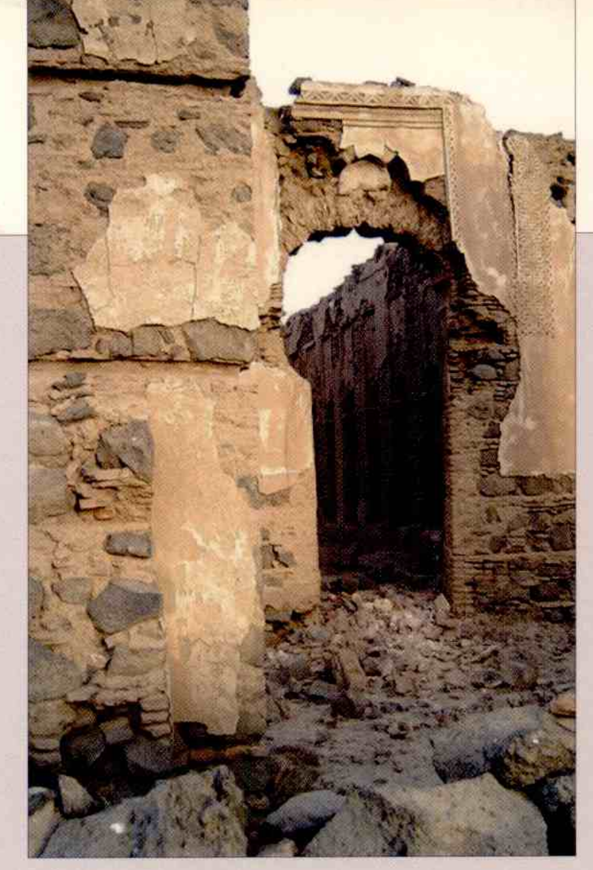
بل إن النمط البدائي الذي تتخذه هذه المباني يعد من أهم المظاهر الحضارية القديمة المتناثرة على منحدرات الجبال جذبًا للرؤية. وكثيرًا ما تجاور المباني والمنازل القديمة مبان ذات نمط عمراني حديث، وهذا يعطي إحساسًا بالتجاوز الزمني لنمط استقرار الإنسان على هذه المنحدرات.

من أطلال جازان

### المدرجات الجبلية

يعد النشاط الزراعي على المنحدرات الجبلية مصدر جذب مهمًا لكون هذا النشاط له تفاعل مباشر مع المعطيات الجيومورفولوجية للمنطقة، وتتم الزراعة على حواف الأودية، وعلى المنحدرات الحرة، إضافة إلى مدرجات بطون الأودية، حيث يتم تحويل المدرجات إلى مناطق زراعية تقدم إنتاجًا زراعيًا وافرًا بالنسبة إلى

**توجد في شرق صبيا إطلالة قصور ومباني أسرة الأدارسة التي حكمت المنطقة مدة من الزمن**



السكان. ويأتي ضيق المنحدرات تكيفًا مع شدة الانحدار، حيث يتفاوت عدد المدرجات ومساحتها من منحدر إلى آخر، إضافة إلى اتساعها، أو ضيقها، ومساحتها؛ وذلك حسب درجات الانحدار، ولهذا تظهر المدرجات الجبلية في صورة هندسية منتظمة تعطي جمالاً أخاذًا لهذه المنحدرات، وبخاصة حينما تتم زراعتها.

### الأسواق والمراكز التجارية

تعد الأسواق من أهم الوسائط لتطوير الحركات السياحية في أي منطقة، وإذا كانت الأسواق متعددة ومتنوعة فإن ذلك سيؤثر بشكل إيجابي في ارتفاع أعداد مرتاديها من السياح، ولا تجذب الأسواق المشترين القادرين على الدفع فقط، بل تجذب آخرين نتيجة تخفيض الأسعار، مما يتيح فرصًا لجذب أعداد أكبر من السياح.

وفي منطقة جازان توجد بعض الأسواق الأسبوعية التي مازالت تحتفظ بطابعها التاريخي القديم، ويوجد في مدينة جازان نفسها أكثر من خمس أسواق تجارية كبيرة، في حين يوجد في المنطقة أكثر من ١٢ سوقًا. كما يوجد في المنطقة بشكل عام ٢٦ سوقًا دورية (١١) ذات أسعار رخيصة. إضافة إلى أن هذه الأسواق مصدر تصريف للصناعات المحلية والزراعية وأنواع الأعشاب العطرية والملابس الشعبية، التي تجذب المستهلكين والسياح، كما تجذب التجار من خارج المنطقة (١٢). ويفضل الأسواق الشعبية ذوو الدخل المحدود من السياح؛ وذلك لانخفاض أسعارها، وتنوع سلعها، وانتشار الباعة المتجولين فيها.

### الطرق والممرات

مع ظهور وسائل النقل الحديثة تحولت بعض الطرق القديمة التي كانت تسلكها الماشية إلى طرق معبّدة مسفلتة وترابية، وهذا ما ساعد على ربط كثير من القرى بعضها ببعض، وسهل تواصل المحافظات فيما بينها، ومما يلاحظ أن الطرق، بشكل عام قديمة وحديثة، هي - بلا شك - موارد تجذب السياح إلى المنطقة، وتمثل أهمية كبيرة في التنمية السياحية. فالسائح يحتاج إلى وقت كاف لقضاء أطول وقت ممكن في الاستمتاع بالمناظر الطبيعية، وهذا يتطلب طرقًا ممهدة.

إن كثيرًا من القرى والمراكز في المنطقة تربطها طرق ترابية، وخصوصًا في القطاع الجبلي، وكثير من أودية المنطقة. وكثيرًا ما تكون هذه الطرق مصدرًا للاستمتاع

**من مظاهر عدم الوعي السياحي، عدم الاهتمام بالنظافة العامة، خصوصًا في مناطق الجذب السياحي**

والاستجمام حين السير بها، خصوصًا عقب سقوط الأمطار، وعادة ما تكون مكتظة بالمتنزهين على جوانبها المكسوة بالبساط الأخضر، والأشجار المزهرة.

وهناك كثير من مشروعات السفلتة لبعض هذه الطرق لم تنفذ، في حين لو تم تنفيذها سوف يؤدي ذلك إلى دعم حركة السياح والتنشيط السياحي في هذه المناطق.

### الفنون الشعبية

تعد أنواع الرقصات والفنون في المنطقة ذات مدلولات متعددة، ومع مرور الوقت أصبحت تمارس للتسلية، وتتميز جازان بعدد من الرقصات الشعبية، في حين تتنوع بين السهل والجبل. كما أن أهالي جزر فرسان لهم - أيضًا - الرقصات الخاصة بهم، وتعد رقصة السيف والعرضة والمعشى من أشهر الرقصات في النطاق السهلي، في حين تمثل الزامل والطرح أشهرها في القطاع الجبلي.

وإلى جانب الترحيب يوجد كثير من المناسبات التي تحمل أسماء مختلفة يمارس فيها السكان ألعابًا شعبية مثل: العرضة، والدورية، والمربخة، والهصعة، وغيرها. وفي حال تنظيم هذه الفنون في مهرجانات شعبية، إلى جانب معرض للأزياء التراثية للرجال والنساء تكون بطبيعة الحال مورد جذب سياحي فريد.

### الصناعات التراثية

تحوي المنطقة عددًا من الصناعات التراثية، أهمها الصناعات الطينية والصخرية التي تستخدم في عمل الأواني المنزلية. إضافة إلى الصناعات القائمة على الموارد النباتية مثل: استخدام الدوم في عمل الفرش والحبال، وصناعة الأبواب، والنوافذ إضافة إلى الصناعات القائمة على الموارد الحيوانية، مثل: دباغة الجلود، والزيوت الحيوانية، وغيرها. وتعد الصناعات الفخارية التي تصنع منها الأواني المنزلية بأنواعها من أهم الصناعات في المنطقة. كما تنتشر الصناعات المتعلقة بأدوات الحرث والزراعة وبعض الألبسة التي تحمي المزارع من الشمس كالمظلة والقوبع، وصناعة بعض معدات النقل على ظهور الحيوانات، كالخي للجمل، والشد للحمار، وغيرهما. ومن الصناعات ما يتعلق بتخزين المياه سواء للشرب أو الاستعمال، وهي متنوعة، فبعضها يصنع من الفخار أو الخشب أو الجلود، إضافة إلى صناعة أدوات الزراعة، مثل المحراث، وصناعة الأحذية.

كل هذه الصناعات تمثل موردًا سياحيًا مهمًا في عملية التنشيط السياحي؛ لكن - يا للأسف - إن هذه الصناعات لم تفعَّل بالشكل المناسب، بل أخذت تفقد شعبيتها بسبب البدائل في الصناعات الحديثة.

وتحوي المنطقة تراثًا هائلاً من الصناعات والفنون الجميلة يتمثل بقاياها في وجود رسوم ونقوش ومصنوعات تراثية وحصون وقلاع؛ مما يشجع على نجاح الاستثمار السياحي وجذب السياح، إذ أقيمت المتاحف التي تحفظ تراث المنطقة، وتبرز الجوانب الفنية والتشكيلية، كلون من تعايش الإنسان مع البيئة وتفاعله معها. فكثير من المعالم الأثرية والسياحية مجهولة، ولم تحظ بالاهتمام المناسب بها.

### الوسائط السياحية

المرافق السياحة والمنشآت والتسهيلات التي أقامها السكان، كالفنادق والشقق المفروشة، والمطاعم والمنتجعات، والقرى السياحية والمتنزهات، والمراكز الترفيهية والملاعب، وقاعات الاحتفالات، تمكن من القيام بصناعة سياحية متطورة، وتهدف هذه المنشآت إلى جذب أعداد كبيرة من السياح. ويوجد في مدينة جازان ٦ فنادق، منها فندقان من الدرجة الممتازة. ويوجد في المنطقة بشكل عام ٢٢ مركزًا للشقق المفروشة تتوزع على محافظات المنطقة، في حين يوجد في جزر فرسان فندقان. كما تحتوي المنطقة على







تراث شعبي غني في جازان

عدد من المطاعم الفاخرة والشعبية، تأتي في مقدمتها في المدينة مطاعم الأسماك، وتنتشر المقاهي الشعبية الشاطئية السياحية، مثل قرية الحريقة في الشقيق، ومرجان السلوى في جازان. وتوجد في المنطقة ألوان من الفنون الشعبية المختلفة ذات المدلولات المتعددة، بين السهل والجبل، وقد حازت جوائز كثيرة، وشاركت في معظم المهرجانات في اليابان، وفرنسا، وأمريكا، ومهرجانات الجنادرية للتراث. كما تقام بها الليالي الأدبية والفنية الرائعة، وقد قال شاعرها ومؤرخها العقيلي في قصيدته الرائعة:

جازان إني من هواك لشاكي
فتنصتي لهزارك وفتاك
اصغى إلى همسات قلب طامح
متوثب الإلهام والإدراك
مشبوب أرجاء الشغاف يلوح من
خلل الأضالع كالسراج الذاكي

ومن العرض السابق يتضح مدى الإمكانات السياحية، سواء الأثرية، أو الطبيعية، التي تتمتع بها المنطقة، إلا أن الملاحظ مع وجود إمكانات العرض السياحي

**تحوي منطقة جازان تراثًا هائلاً من الصناعات والفنون الجميلة يتمثل بقاياها في وجود رسوم ونقوش ومصنوعات تراثية**



الإهتمام بالنشاط البحري يسهم في دعم المقومات السياحية

في المنطقة وتنوعه إلا أنه لا يزال هناك ضعف في الإقبال السياحي على المنطقة. ويعود ذلك إلى عدة عوامل منها:

. غياب الدعاية، وضعف التسويق السياحي، فليس هناك مصدر مطبوع عن المنطقة، ولا ذكر لها في وسائل الإعلام على مستوى المنطقة والدولة، ومع وجود موقع على الإنترنت لجبال فيفا إلا أنه لا يفي بحق المناطق الجبلية الأخرى، التي تنافس جبل فيفا في سحارة اللاند سكيب الطبيعي، ومن المعلوم أن السياحة صناعة ذات خاصية طبيعية تتصف بالحساسية الشديدة، وتتطلب السياسات التسويقية لها، التي تتطلب الشمولية والاستمرار والتنوع.

. انخفاض الوعي السياحي A wareness of tourism العام لدى سكان المناطق الجبلية، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب، منها: ارتفاع نسبة الأمية، وعدم اهتمام وسائل الإعلام بالتنمية السياحية. ومن المعلوم أن تنامي الحركة السياحية في أي منطقة يرتبط بصورة طردية بتنامي الوعي السياحي لدى السكان. ومن مظاهر عدم الوعي السياحي، عدم الاهتمام بالنظافة العامة، خصوصًا في مناطق الجذب السياحي، وسوء استخدام المواقع والمقومات السياحية.

ومع ما يمتاز به النطاق الساحلي من مميزات إلا أنه يعاني - أيضًا - مشكلات تعوق عملية السياحة، وهي:

. لا توجد علامات وإشارات إرشادية على الطرق توجه نحو الشواطئ الجميلة، إضافة إلى عدم وضوح الطرق الصحيحة المؤدية إليها، إضافة إلى ضعف الخدمات على الطريق، وبخاصة محطات الوقود. كما أن الطرق الموصلة إلى الشاطئ تفتقر إلى أساسيات الطرق السياحية، أو أنها طرق مفردة وضيقة كطريق شاطئ الشقيق، وطريق ساحل طرفة، كما لا توجد عليها بقالات تموين، كما تتحول بعض الطرق المعبدة المسفلتة بها إلى طرق ترابية غير واضحة، قد تشكل خطرًا على مرتاديها، كما يؤدي بعد الشاطئ وعدم وجود طرق واضحة إلى انخفاض الطلب السياحي.

. يعد انتشار الأمراض في المنطقة، وضعف الرقابة الصحية والبلدية على المطاعم والمطابخ الشعبية، وما ينتج منه من حالات التسمم التي تتناولها الصحف المحلية بين حين وآخر، ويؤدي انتشار مثل هذه الظاهرة إلى إحجام السياح عن التعامل مع مثل هذه المرافق السياحية.

. يعد ارتفاع الحرارة والرطوبة في النطاق الساحلي في أغلب شهور السنة عاملاً مهمًا في إيجاد نوع من عدم الارتياح، ويزيد من قسوة المناخ حدوث العواصف الترابية (الغبرة)، وهذا ما يزيد من حالة عدم الارتياح، وما لذلك من تأثير مباشر في السياحة.

## مقترحات للنهوض بالسياحة

- تشجيع الاستثمار السياحي، وبخاصة في مجال الخدمات الفندقية، فتكاليف الإنشاء في القطاع الجبلي تفوق عدة مرات نظيرها في المناطق الساحلية. كذلك يجب العمل على تذليل الصعاب أمام الاستثمار السياحي، وتحسين مستوى البنية الأساسية، من طرق، وصرف صحي، واتصالات، وخدمات صحية، وتشمل تنمية البنية الأساسية، وإكمال النقص، وسد العجز فيها، فضلاً عن تحسين المستوى المتاح من شبكات الكهرباء والطرق والاتصالات.
- تنويع عملية العرض السياحي، وعدم تركيزه في سياحة الاستجمام، وتنظيم المسابقات في جميع الرياضات المائية، ولا سيما شواطئ جزر فرسان، وتنظيم رحلات بحرية سياحية إلى الجزر.

- تنظيف الشواطئ من الملوثات الطبيعية والبشرية، والتوعية الثقافية للزوار بأهمية المحافظة على نظافة البيئة.
- الاهتمام بوسائل النقل المختلفة وتوفيرها، وتنشيط عملية العروض السياحية، وإقامة المهرجانات، وتوسيع خدمات الاتصال، وتدعيم شبكات الهاتف الجوال، وإنشاء بحيرات اصطناعية لتنمية السياحة؛ بإضافة مساحات جديدة من الشواطئ على حساب السبخات والأراضي الرطبة.
- إنشاء بعض (الكافتيريات والكازينوهات) على قمم الجبال، إضافة إلى المطاعم والمخيمات السياحية.
- تنمية سياحة الحياة الفطرية خاصة في جزر فرسان؛ وذلك لغناها بالتنوع الإحيائي، إضافة إلى تنوع الحياة الفطرية، فضلاً عن اتخاذها محطة ضرورية لأسراب الطيور المهاجرة من أوربا، وهذا ما يجعلها مزارًا سياحيًا رائعًا لذوي الاهتمامات العلمية والثقافية، فضلاً عن السياح عشاق الجمال الفطري.
- الاهتمام بالآثار، وإعادة ترميمها وصيانتها، وفرض حراسة كافية، وتوفير حماية قوية لها لمضاعفة الجذب السياحي، وإبراز معالمها من خلال عملية التسويق السياحي.
- إبراز تنوع الأنماط السياحية في المنطقة، إذ إنها تضم سياحة رياضية، وسياحة آثار، وسياحة علاجية، وسياحة مراقبة الطيور وصيدها، وسياحة السفاري، لأن المنطقة بها جميع المقومات للأنماط السياحية المختلفة.

## الهوامش و المراجع


١. إبراهيم علي غانم (٢٠٠٣م)، المعطيات السياحية لمرسي مطروح، المجلة الجغرافية العربية، العدد ١٤، الجمعية الجغرافية المصرية، القاهرة، ص٤٩٥.

٢. عبدالرزاق سليمان أحمد داود (٢٠٠٢م) تطور السياحة في مدينة جدة دراسة في الجغرافيا السياحية، الجمعية الجغرافية السعودية، الرياض، ص١٧.

3- Mcintosh. w: (tourism - Principles. Practices. Philoso Phies) ohio.

٤. عاطف معتمد عبدالحميد (٢٠٠٤م) المقومات الطبيعية للسياحة في منطقة جازان جنوب غرب المملكة، منظور جيومورفولوجي، بحث غير منشور، مقدم لندوة السياحة في المملكة العربية السعودية، ربيع الأول ١٤٢٤هـ، ص١٩.

٥. القحطاني وآخرون، ١٤١٧هـ، ص١٧٩.

٦. محمد صبحي عبدالحكيم، حمد لبيب (١٩٩٥م) جغرافية السياحة، الطبعة الأولى، الأنجلو المصرية، القاهرة، ص٤٩.

٧. عبدالرحمن صادق الشريف (١٩٨٤م) جغرافية المملكة العربية السعودية، الجزء الثاني، إقليم جنوب غرب المملكة، دار المريخ، الرياض، ص١٤٤.

٨. عبدالحفيظ محمد سعيد سقا (١٩٩٥م) الجغرافية الطبيعية للمملكة العربية السعودية، مكتبة دار زهران، جدة، ص١٢٨.

٩. الغرفة التجارية الصناعية بجازان، مجلة تجارة جازان، مايو (١٩٩٠م) السنة الرابعة، العدد الثامن، شوال ١٤١٠هـ. جازان، ص٥٢.

١٠. محمد أحمد العقيلي (١٤١٥هـ) المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية منطقة جازان، المجلد الأول، الطبعة الثالثة، شركة العقيلي وشركاه، جازان، ص٣٥.

١١. هي التي لا تنعقد يوميًا في مكان واحد، بل تقوم على أساس دوري تتبادل فيه عدة مواقع وظيفة السوق.

١٢. محمد عبدالكريم حبيب (١٩٩٩م) الأسواق الدورية في منطقة جازان، دراسة تحليلية في التنظيم المكاني والدور الاقتصادي، الجمعية الجغرافية السعودية، العدد ٣٥، الرياض، ص٤٥.



# العولمة.. تجليات وظلال

بركات محمد مراد
القاهرة - مصر

لقد حاول صمويل هانتنغتون -المحاضر في جامعة هارفارد بأمريكا - تجاوز «فلسفة النهايات»، التي اكتملت عند «فوكوياما» بحتمية الليبرالية كمصير للشعوب، إلى حتمية «صدام الحضارات» التي هي آخر طور، أي الحلقة النهائية في سلسلة تطور الصراع، إذ يرى أن التاريخ لن ينهض، وأن الصراع الحقيقي لن يختفي، وإنما سيكتفي كل منهما بتغيير مصادره، واتجاهاته، وتبديل أشكاله وآلياته، بالتحول من صراع دول ومجتمعات وطبقات إلى صراع ثقافات وحضارات.

ويرى هانتنغتون أن التصادم، وكذا حركات الصحوة الدينية جاءت لتملأ الفراغ الناتج من ضعف الانتماء القومي، ومن هنا نشأت الحركة الأصولية في أغلب الديانات المسيحية الغربية، وفي اليهودية، وفي البوذية، والهندوسية، وأخيرًا في الإسلام. والرجوع إلى الأصل لدى أغلب الشعوب كرد فعل ضد الهيمنة الغربية، ومن هنا جاءت صيحة الرجوع إلى الآسيوية في اليابان، والهندوسية في الهند، والإسلام في الشرق الأوسط. وحتى في روسيا يتم حاليًا مناقشة مسألة إلحاق روسيا بالغرب وتغريبها وظهور تكتلات اقتصادية جديدة، إلا أن هذه التكتلات تحتاج إلى مواسم حضارية مشتركة كشرط أساسي لنجاحها، وما كتاب «صدام الحضارات» إلا النهايات المفتوحة على الممكنات (١).

**حركات الصحوة الدينية جاءت من ضعف الانتماء القومي، ومن هنا نشأت الحركة الأصولية في أغلب الديانات**



علاقات القوة لا يمكن تجاهلها

## مفعول إيجابي

وبعبارة أخرى لقد أعطت مقولة هانتنغتون (صدام الحضارات) مفعولها الإيجابي في جميع البلدان الخائفة على ثقافتها وتراثها من التحديات المستقبلية، التي لم تستطع حتى الآن أن تجد لها مشروعًا تحديثيًا قابلاً للحياة، مع مرور أكثر من قرنين من الزمن على بداية التحدي الحضاري.

إن مقارنة ما أحدثته مقولة - صدام الحضارات - في العالم الإسلامي من جهة، وفي جنوب شرق آسيا من جهة أخرى، تؤكد بالملموس - كما يقول الباحث حفناوي بعلي (٢) - أن اليابان والصين والكوريتين قد عرفوا كيف يردون على الإيديولوجيا بالعلم، أي بالإيغال في عملية التحديث الذاتي، وليس بالتغريب، وذلك على قاعدة اللحاق بالغرب وتجاوزه، وعلى عكس الكلام الإيديولوجي الذي لا تسانده قوى عالمية ذات صدقية على أرض الواقع كما هو الحال في الدول العربية والإسلامية (٣).

وقد دفع هذا بعض الكتاب والمفكرين إلى احتكار النظام العالمي الجديد والعولمة للولايات المتحدة الأمريكية، بينما اندفع بعض آخر ينكرون عليها ممارستها، إلى حد إنكار أن العالم يشهد ظاهرة العولمة أصلاً، حتى ظهر في كتابات بعض منهم «فخاً» كما ذكرها هانس بيتر مارتن

وهالد شومان أو كما ظهرت «صناعة الجوع» في رأي بعض ثالث، وهكذا فهي ليست إلا هيمنة قيم الغرب الأوربي والأمريكي وقواه، التي تجلت أخيرًا في الأحداث المأساوية للشعب الفلسطيني، الساعي إلى تحرير أرضه وإقامة دولته، بالانحياز السافر إلى إسرائيل، وإعطاء الضوء الأخضر لها؛ لتدمير السلطة الفلسطينية، والقضاء على المجاهدين، والنظر إليهم كإرهابيين يجب القضاء عليهم بأسرع ما يمكن، بل عبثية ما تفعله إسرائيل بالعرب والفلسطينيين بما قامت به الولايات المتحدة من حملة عدوانية وشرسة على أفغانستان بدعوى القضاء على الإرهاب، وتقويض أسسه، وضرب بنيته التحتية من خلال تدمير تنظيم القاعدة.

## نظرة لا رؤية

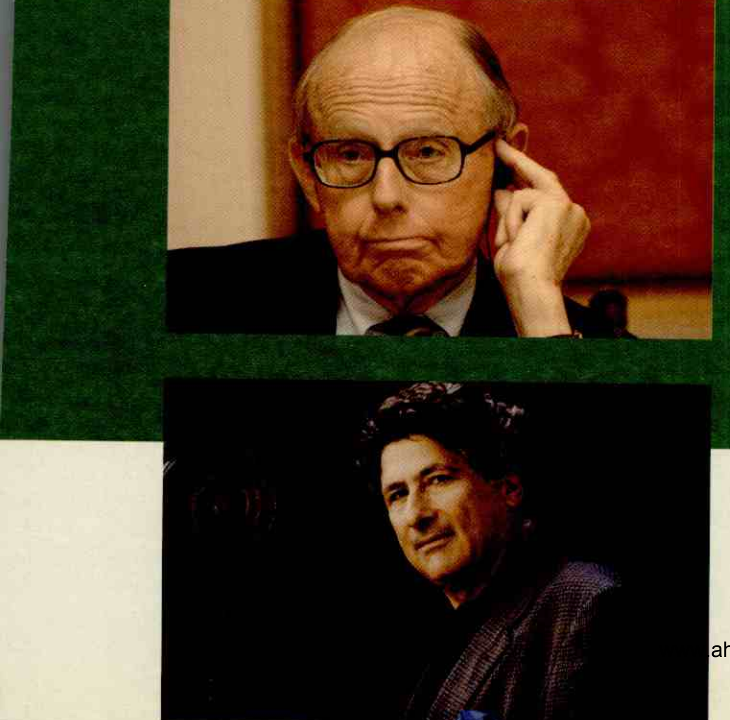
وفي الواقع فإن ما هو متاح لأدبيات التعبير عن «العولمة» من وجهة نظر بعضهم. قد قدم نظرة، وليس رؤية لحال الأوضاع العالمية، أو الكونية الآن التي قد تتضمن فيما تتضمنه: التجارة، والإنتاج، والاستهلاك، والسياسة، والإعلام، والاتصالات، وتكنولوجيا المعلومات...إلخ، وانتشار مضامينها كحقائق، فإن واقع الأمر - كما يذكر د. مصطفى أحمد مصطفى (٤) - أن ذلك لم يتجاهل قضايا محددة مثل: التنمية المستديمة Sustainable Development، وحقوق الإنسان Human Rights، الديمقراطية Democracy، وعدم معاقبة رأس المال Abolition Capital Punishement.. إلخ.

ويتأسس على ذلك جدل حاد حول مفاهيم مستقرة حول الهيمنة Domination، والاستغلال Exploitaion، وعدم المساواة Inequality مثلاً. ومع عدم إمكانية تجاهل

**اليابان والصين والكوريتان قد عرفوا كيف يردون على الإيديولوجيا بالعلم**

هانتنغتون

فوكوياما


إدوارد سعيد

علاقات القوة إلا أنه يظل من الممكن أن نصف علاقات التدفقات، والمبادلات، والاعتماد المتبادل العالمي السافر، والاختراعات المتبادلة مع تأكيد انتشار الوعي، وأنماط الحياة، وتنوع الثقافات.

وعلى الجانب الآخر فإنه يمكن لعنصر علاقات القوة على المستويات الاقتصادية والسياسية والثقافية أن يكون فاعلاً وبنّاءً؛ لأن ذلك يتم تحت افتراض عملية إعادة هيكلة النظام القائم عالميًا، بغض النظر عن الاندماج في السوق الرأسمالية، ونظام الاتصال والمعلومات العالمي، وفي النظام السياسي الدولي.

ولذلك نجد المؤرخ الأمريكي الرصين بول كنيدي في عمله الإبداعي «الإعداد للقرن الحادي والعشرين» Preparing for the 21the century ينظر إليها بصفتها ظاهرة إنسانية تطورية وتقدمية، خرجت من رحم جسم إنساني وحدوي راق، وتولدت من رحم الثورات الصناعية المتعاقبة، ولا سيما الثورة الإلكترونية، وثورة علوم الليزر، وثورة المعلومات، والاتصالات، والهندسة الوراثية، وثورة المواصلات، وهي الثورات التي اختزلت المسافات، وضيقت الفجوة بين الخلافات الحضارية والإيديولوجية، ويسرت فرصة السفر والسياحة، وجعلت الحدود السياسية وسيلة تنظيمية وليست عقبة عسكرية، ويسرت انتقال رؤوس الأموال والأفكار، ووحدت الأداء البيئي في عالم واحد مؤكدة أن هذه الصيانة تعني نضج البشرية في التعامل مع الموارد الطبيعية، من ماء، وهواء، وتربة، ومعادن، وأشجار، ونباتات، في إطار من التناغم البيئي لأن الإضرار بغابات الأمازون، أو الكونغو لا يعني فقط الإضرار بأبناء أمريكا وإفريقية، بل أيضًا بأبناء أوربا وآسيا.

وهكذا يصير الإحساس بوحدة العالم مقدمة لإدراك قيم بشرية واحدة. وهو ما يمكن تسميته «العولمة» كظاهرة بشرية ومعرفية وموضوعية تعيشها دول العالم، كل بقدر نصيبه من المؤثرات الآنفة الذكر.

**العولمة هي العامل - أو الفاعل - الرئيس في عملية تغيير العالم وانفلاته وهربه من ضوابط العقلانية**

وبذا نظر المؤرخ بول كنيدي إلى العولمة في مضمونها «الموضوعي» على أنها حالة تاريخية ناتجة من تطور عام للبشرية ككل، أسهمت فيها جميع حضاراتها وشعوبها، ومن ثم فالعولمة هي الموضوعية، وليست قرينة للعولمة الأمريكية التي هي نمط من الهيمنة سوف يتعاظم رفض العالم له، بل، وكما يقول الدكتور فليفل (٥): إن بول كنيدي يرى الولايات المتحدة أعجز من الاستجابة للعولمة الموضوعية بكل مفرداتها في الوقت الراهن، فلا هي قادرة على فتح أسواقها أمام سلع اليابان والصين وأوربا، بدليل ما تتخذه من إجراءات حمائية.

### تأثير الاقتصاد الكوكبي

إلا أننا يمكن أن نجد طرحًا علميًا مغايرًا عند بعض المفكرين الغربيين - وإن كان يتفق معه في بعض النتائج، ويتوازى معه في بعضها الآخر في التحليل النهائي، مثل ذلك الذي نجده في كتاب «العالم الهارب»، أو «المنفلت»، و«كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا؟» Run away world How globalization is reshaping our lives لعالم الاقتصاد السياسي والاجتماعي الثقافي البريطاني المرموق إنتوني جيدينز، الذي صدر قبل نهاية عام ٢٠٠٠م بأيام، ويُعدّ واحدًا من أهم الكتب التي أثارت كثيراً من عواصف الجدل طوال عام ٢٠٠١م حول مستقبلنا العالمي المشترك - شئنا أم أبينا - في ظل العولمة التي يسميها

جيدينز بصراحة «الأمركة».

ولا يتمتع الكتاب، ولا يرجع الاهتمام به إلى مجرد أهمية مؤلفه، ومكانته البارزة في مؤسسة التفكير الرسمية «الأنجلو أمريكية» فحسب، وإنما ترجع أهميته إلى أن صاحبه هو أحد كبار المفكرين المؤثرين في رسم الاستراتيجيات الشاملة والبعيدة المدى في الغرب، وقد انطلق في كتابه من إدراكه تأثير الاقتصاد الكوكبي، أو الموحد على مستوى الكوكب تحت تأثير القوة الطاغية للاقتصاد الأمريكي وآلياته، إلى بحث تأثير هذا الاقتصاد الكوكبي شبه «الموحد» في الحياة اليومية للناس - الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة - على مستوى الكوكب كله. أي تأثير هذا الوضع الاقتصادي والسياسي في الثقافات المختلفة، وعلى مختلف أنواع التقاليد والمواريث الثقافية، والأوضاع السياسية، أو العلاقات الاجتماعية، بدءًا من التكوين الأسري، أو العائلي إلى علاقات الأجيال إلى أساليب العمل والسكن.. إلخ. إن هذه العولمة بهذا الشكل، تبدو من خلال تحليل إنتوني جيدينز قوة تأثير، أو سلطة ثقافة يراها هنا، وهي تعيد تشكيل حياة البشر بالمعنى الشامل والتفصيلي لكلمة «حياة».

ولا شك أن الكاتب يملك المادة المعرفية اللازمة لرسم مثل هذه الصورة البانورامية، خصوصًا أن له مؤلفات أخرى سابقة أرست أسس مدرسة كاملة جديدة من مدارس الفكر الاجتماعي السياسي الثقافي، أو «النظرية الثقافية»، كما تسمى في بريطانيا، في مواجهة تيارات المدارس الفرنسية، والألمانية، والأمريكية، خصوصاً كتابيه «نتائج الحداثة» عام ١٩٨٩م، و«الحداثة والهوية الذاتية» عام ١٩٩٢م، وهما الكتابان اللذان يمثلان مساهمته في نقد الحداثة وتجديدها، ثم كتابه «ما وراء اليسار واليمين» عام ١٩٩٤م في بداية تكوينه لنظريته عن «الطريق الثالث تجديد الديمقراطية الاجتماعية» وهو عنوان كتابه الأشهر عام ١٩٩٨م.

ومن مقدمة كتابه ندرك أنه يتحدث عن تغيير شامل يلحق بالعالم الذي خلقته الحداثة الأوربية في القرنين ١٧و١٨م.. عالم التنوير الذي كما يقول: «نما تحت تأثير العلم، والتكنولوجيا والفكر العقلاني»، وهذه الثقافة الغربية الصناعية قامت على العلم والتكنولوجيا، آمنت بضرورة السيطرة على المستقبل وعلى العالم، وإن كان العالم في رأيه راح بشكل متزايد يهرب أو يفلت من هذه السيطرة، وهو يرى أن العولمة هي العامل - أو الفاعل - الرئيس في عملية تغيير العالم وانفلاته وهربه من ضوابط العقلانية، مع أنها هي نفسها من النتائج المؤكدة لهذه العقلانية، فالعولمة لم تكن، أو أنها ليست سوى نتاج طبيعي لانتصار الثقافة الصناعية، الليبرالية، المستندة إلى العلم والتكنولوجيا، والتنظيم العقلاني الصارم لعمليات إنتاج كل شيء وتوزيعه، ولكن المشكلة هي أن التطور الطبيعي لتطبيقات تلك الثقافة يؤدي إلى تفكك «الصرامة العقلانية»، وانهيار الانضباط المنطقي، والشاهد الأكبر على ذلك هو انهيار البيئة الطبيعية للكوكب؛ نتيجة انتشار الصناعة وأدواتها: (من مداخن المصانع إلى عوادم الآلات، إلى القنابل الذرية، إلى إبادة الغابات لإنتاج الورق) (٦).

والعولمة التي يقودها الاقتصاد والإعلام والثقافة الأمريكية، أو السياسة الأمريكية لا تؤثر فقط في العالم، ولكنها تؤثر أيضًا في أمريكا نفسها؛ ومثلما تفقد العقلانية سيطرتها

**العولمة المقبلة في طريقها إلى إعادة ترتيب العالم عبر تحويله إلى أرقام وأعداد ضمن شبكات معلوماتية إلكترونية**

**الإحساس بوحدة العالم مقدمة لإدراك قيم بشرية واحدة. وهو ما يمكن تسميته «العولمة» كظاهرة بشرية ومعرفية وموضوعية**

على الأمور في العالم، فإنها تفقدها أيضًا في أمريكا، وأكبر مساحات الانفلات في هذه الحالة هي ساحة السوق الذي لم يعد سوقًا عاديًا يضم المنتج والبائع والزبائن معًا، ولكنه سوق لا يوجد فيه ولا يسمح بوجود غير الزبائن، وبقية فصول الكتاب يخصصها جيدينز لتوضيح تأثير هذا الانفلات في كل من مخاطر الحياة الجديدة، وتلاشي الثقة، أو اليقين بها، والقضاء على التراث - أو الثقافة الموروثة في العالم بأسره؛ والأسرة - التي يتزايد فيها اتساع الهوة الثقافية بين الأجيال، بينما تتزايد حريات المرأة، وتتزايد نسبة انتشار الفساد في كل مجالات العمل، ثم الديمقراطية، التي يرى أن «الأصولية» أو «التطرف» وخصوصاً التطرف الناتج من التوترات، والضغوط التي تواجهها، وتتعرض لها الثقافات الشديدة الارتباط بالحداثة: التطرف المتمثل في النزعات العنصرية، والعداء للثقافات الأخرى، ونزعات التوسع والاستغلال الكامنة في نظام الرأسمالية المنفلت، وخصوصاً حينما يقوم مثل هذا النظام بديلاً لنظام ثالث من النوع الذي افترضته جيدينز نفسه في كتابه السابق!

### إلى أين!

أخيرًا ها هي ذي العولمة تطلّ! فإذا تساءلنا من أين جاءت العولمة؟ وإلى أين تمضي؟ لقد جاءت من رحم الاستغلال الممتد تاريخيًا، وتمضي إلى لحظة الإمساك بالعالم (كل العالم) فيما سيأتي من زمن. إنها شمولية الاستغلال الأمثل لموارد البشرية، والتحكم الأمثل بمصيرها. لقد كانت هذه العولمة حركة سيرورة تاريخية ممتدة منذ القديم، بلغت هذه المرحلة بفعل مجموعة عوامل، من أبرزها الثورة التكنولوجية في مجال الاتصالات والمعلومات التي تعد حصان طروادة، الذي حمل العولمة، وأدخلها في قلب التاريخ.

وإذا كانت العولمة هي الحلقة الأخيرة من حلقات ممتدة كانت كل حلقة تسلم إلى تاليتها في طرائق الاستغلال وأساليبه، الذي يعتمد أحدث ما تبتكره من وسائل لتحقيق أغراضه، فإن كل مرحلة أو كل حلقة من هذه الحلقات التي كانت تفرز نقيضها، وكما كانت تتجدد حلقات الاستغلال، كذلك وبالاتجاه نفسه كانت تتجدد أساليب النضال والمواجهة. وكما كانت حلقات الاستغلال توظف كل ما أنتجته البشرية في مراحل تطورها، على صعيد الفكر والتكنولوجيا للإطباق على فرائسها، كذلك كانت حلقات النضال تطور أشكال مواجهتها وأساليبها في موازاة ذلك (٧).

ولا ننسى الإدارة العالمية التي ستتميز بها العولمة في قابل الأيام، فالعصر القادم كما يطلق عليه من الآن هو «عصر العولمة» بمضامينها ومفرداتها وكلياتها، ليس هذا فحسب وإنما يمر ذلك ما يُعرف - ويروج له في الأدبيات من الآن - بعصر «شبكات الأعمال العالمية International Business networking» التي بالضرورة وبالتعريف لابد أن تقوم على سياسة تأخذ في أقصى حسبانها نمطًا لإدارة عالمية تعمل تحت ظروف منافسة متصاعدة بشكل متسارع ومتنام واسع الانتشار.

وشبكات الأعمال العالمية - على اختلاف أحجامها - لا تختلف عن عمل أي منظمة أعمال في تحديد حجم

## ثقافة الحوار والتواصل هي البديل الوحيد للمواجهة والصدام

دورها، وأنظمة عملها، وطرائق إدارتها وفلسفتها؛ لأنها تؤدي وظائفها، وتنافس في الوقت نفسه في محيط سياسي واقتصادي وتنظيمي وقانوني، متنوع ومتعدد. ومن هنا تظهر أهمية تصميم السياسة التي ستقوم عليها شبكات الأعمال العالمية؛ لتقوية مكانها ومكانتها لتحسين الظروف التنافسية بشكل مستمر ومتطور في الأسواق الخارجية، لكونها مهمة أساسية ومنظوراً شاملاً. ويناط بها اتخاذ قرارات إستراتيجية من أجل المستقبل، فهي في حالة تطوير دائم لهيكل أنشطتها، وتوجهاتها الجغرافية لأنشطتها الخارجية، وتحقيق أهدافها المستمدة من تلك السياسة، التي يبنى عليها نمط الإدارة العالمية المتكيفة مع تغير ظروف المنافسة في السوق العالمية (٨).

ومع بداية القرن الحادي والعشرين، فإن المنافسة في إطار الاقتصاد العالمي تشهد مزيداً من دخول المنافسين القادمين إلى السوق العالمي، تحت مظلة تطور تكنولوجي متسارع، وتكنولوجيا عالية جدًا، تزلزل مفاهيم كثيرة قديمة وراسخة في الإنتاج والتسويق، واختراق الأسواق العالمية. ولذلك يؤكد الدكتور مصطفى أحمد مصطفى (٩) أن هذه الأمور تستدعي وبشكل دائم عمليات مراجعة وتكيف لم يشهدها تاريخ الصراع التنافسي الإنساني والاقتصادي من أجل السوق، فتلك الوحدات العالمية في إطار شبكات الأعمال عليها، وبشكل مستمر، إعادة تقويم أهدافها وتعريفها، وتطويرها، وتغيير إستراتيجياتها؛ لتعطي نفسها فرصة حقيقية للبقاء في المحيط الشامل لشبكات الأعمال العالمية.

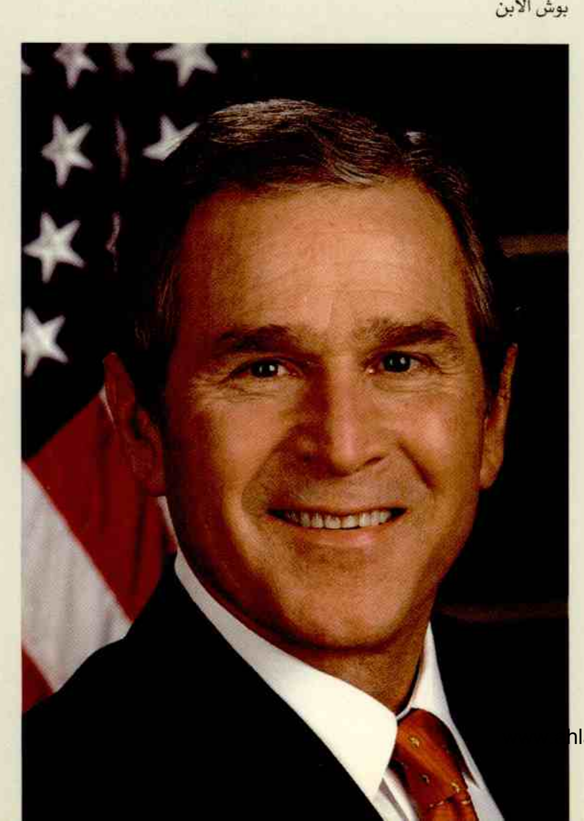
وذلك يفرض بالضرورة عملية تغير وتكيف مستمرين لنمط الإدارة العالمية المطلوب، ليس فقط بسبب تلك الفرص والتحديات، وإنما بسبب التنامي المذهل في ثورة المعلومات التي ستعمل بمنزلة الدماء في شرايين الشبكة على نحو متجدد.

إن ذلك بالطبع يخلق الحاجة إلى آليات جديدة، ونمط من الكفاءات البشرية يختلف، تمامًا عما هو متاح الآن، بهدف أداء رفيع المستوى يؤدي وظائف التحليل وتقدير المواقف، واتخاذ القرارات، والقدرة على سيادة ضخامة المعلومات المتوافرة وحجمها؛ بهدف التحسين المستمر للوضع التنافسي لهذه الشبكات، وإدارة أهدافها الإستراتيجية، في محيط متنوع ومتناثر جغرافياً عبر العالم في الوقت نفسه.

### عالم المتناقضات

والجديد في هذا النموذج - فيما يخص البيئة مثلاً - أنه يقوم على رؤية أمريكية للعالم، تقوم على أن الحياة

بوش الابن





دمار ١١ سبتمبر

على كوكب الأرض تواجه مشكلات خطيرة، تهدد الحياة على هذا الكوكب باستمرار، وأن مواجهة هذه المشكلات إنما تتطلب إطارًا عالميًا منظمًا وفقًا لقواعد معينة، تشمل: الجهود الحكومية، والجهود الأهلية غير الحكومية؛ من أجل الوصول إلى إستراتيجية عالمية متناسقة ومنسجمة تكفل الحفاظ على استمرار الحياة على كوكب الأرض، وتحقق في الوقت ذاته آمال شعوب العالم في الحياة الحرة الكريمة.

واللافت للنظر - في الوقت نفسه - أن الولايات المتحدة - الملوث «الأكبر» للبيئة في العالم، والمركز الذي بث أشعة العولمة في كل المعمورة، و«راهب» الدفاع عن البيئة في الوقت نفسه - هي المسؤول الأول عن إخفاق هذه المحاولات الساعية إلى مكافحة «الإجرام البيئي» في العالم، بحسب تعبير البيئة في الدول الصناعية الغربية (١٠).

وعلى الرغم من كل عناصر القوة والقدرات العسكرية والتقنية الهائلة التي يملكها النظام العالمي الحاضر بقيادة الولايات المتحدة، إلا أن به من نقاط الضعف والتناقضات ما يمكن أن يؤدي به، في نهاية المطاف، إلى السقوط، ولا يحتاج المرء إلى كثير من العناء لكي يرى أن هذا النظام لم ينجح في إعطاء الإنسان الأمان والسلام اللذين ينشدهما، فعالم اليوم مملوء بالتوترات، ومملوء بالغضب، وحركات الاحتجاج التي عمت الأرجاء، ومست كل الأجناس والطبقات، وأكبر مظاهر ضعف النظام تقع في داخله فليس للنظام عدو خارجي يمكن أن يهدده.

وأول التناقضات وأبرزها التي يعيشها النظام العالمي بقيادة الولايات المتحدة، يمكنان في قبوله دخول الأصوليين الدينيين ميدان السياسة والمشاركة في الحكم، وفي تقرير السياسات العامة للدولة، فقد مثل هذا القبول انقلابًا يكاد يكون تامًا للمبادئ الأساسية التي قامت عليها الدولة؛ ذلك لأنه، على الرغم من قدم تيار الأصولية الدينية، الذي تعود جذوره إلى وقت نشأتها، إلا أن هذا التيار كان بعيدًا عن ميدان السياسة، ومنكفئاً على نفسه، ومكتفياً بالعمل الروحي بين جماعاته، هذا الاتجاه أفرز حركات إرهابية بين رجاله مثل هؤلاء الذين قاموا بتفجير المبنى الحكومي بأوكلاهوما عام ١٩٩٨م، واستخدم البريد لتوزيع الجمرة الخبيثة عام

٢٠٠١م، أو المتفجرات عام ٢٠٠٢م، تعبيرًا عن غضبه من تدخل الحكومة في حياة الناس.

والتناقض الآخر والكبير في النظام العالمي الحاضر هو في تراجع أهمية البشر في صناعة الثروة، أو في الدفاع عن الوطن، وهذا ما أدى إلى تهميش قطاعات كبيرة منهم، وتراجع قدراتهم على الضغط على صانع القرار، أو المشاركة في تقرير السياسات العامة للبلاد التي أصبحت في أيدي قلة صغيرة تنفرد بالسلطة.

لقد تقدمت تقنيات الإنتاج والحرب للدرجة التي لم يعد فيها حاجة إلى قوة بشرية كبيرة لإنتاج الثروة، أو لشن الحرب، ولم يعد الإنتاج الزراعي والصناعي والمعرفي المباشر، الذي يمثل قاعدة الثروة الحقيقية في البلاد محتاجاً إلى أكثر من ثُمن مجمل القوة العاملة في الولايات المتحدة. أما باقي القوة العاملة فهي تعمل - إن وجدت - في مجال الخدمات، التي هي - وباستثناءات قليلة - لا تعطي عائدًا ماديًا مجزيًا للعاملين فيها. وقد أدت هذه التركيبة الجديدة لنمط العمل التي انتقلت إلى أرجاء كثيرة في أنحاء الأرض، وأصبحت النمط الشائع في معظم البلاد إلى تناقضات هائلة داخل المجتمع الواحد، قسمته إلى قلة غنية، وكثرة فقيرة، ودفعت كثيرًا من الشركات إلى الاندماج فزادت الضغوط النفسية والمادية على أغلبية الناس، وخصوصاً من انتمى منهم إلى الطبقة المتوسطة (١١).

ومن هنا لا يكون غريبًا أن نجد الباحث حسن إبراهيم أحمد (١٢) يؤكد أن العولمة بهذا المعنى الغربي تخلق شروط انهيارها، وتتضمن عوامل فنائها، أقول هذا لأذكر الخائفين والخانعين والمترددين بأن لا داعي للخوف والتردد، وأن الهجمة الحالية المسلحة، بكل هذا الجبروت، تحمل المضمون ذاته الذي حملته الهجمات السابقة، وأن قوى التقدم التي بدأت تكيف مواجهتها ستحصل على الشروط ذاتها، التي يحصل عليها المهاجمون في مواجهتها لهم، لا بل إن السلاح الأمثل للهجمة الحالية، الذي يقوده ويوجهه رأس المال المعولم، الذي هو سلاح «الاتصالات - المعلوماتية» سيعطي ميزة في المستقبل لقوى السلام، فغيره من الأسلحة السابقة كان يمكن احتكاره، أما هذا السلاح الذي تقتل به خصومها، وتستولي به على العالم كما تتصور، فإذا سلاحها ينقلب عليها؛ لأن تعميم السلاح يعطي المرحلة النضالية زخمها الجديد، وميزتها الجديدة، فيجعل قوى الاستغلال عاجزة عن التحكم فيه.

إذًا لا داعي للتردد في حسم الخيارات، وإعلان الالتحاق بالكتل التاريخية التي تزداد تمايزًا ووضوحًا. ولكن على الرغم من صحة هذه القراءة العلمية للمستقبل القريب، إلا أن هناك أسئلة: هل ثمة اتجاه لنشوء توازن عالمي جديد، وما طبيعة هذا التوازن، وما آليات عمله في ظل مرجعية دولية مصابة بإنهاك مزمن، وإلى أي مدى؟ سيتمكن العالم من بلوغ توازن للقوى يكون العامل الذري فيه عاملاً فاعلاً، بل ومؤسسًا لأي نظام عالمي جديد؟ هذه الأسئلة تقلق الخبراء والمشتغلين في الإستراتيجيات الدولية، بقدر ما تثير التوتر في الخريطة الدولية غير المستقرة، ومراكز القرار فيها.

كما أن هناك كثيراً من الأسئلة تطرح على العربي والمسلم الآن مثل: هل يتحول العربي والمسلم في الزمن

**العولمة التي يقودها الاقتصاد والإعلام والثقافة و السياسة الأمريكية لا تؤثر فقط في العالم، ولكنها تؤثر أيضًا في أمريكا نفسها**

**الحضارة الإسلامية ليست إلا كلاً واحداً لا يتجزأ في جوهره، وهي تراكم علمي وثقافي للحضارات الإنسانية المتعاقبة**

المعاصر إلى شخصية كوكبية؟ وإلى أي مدى يتقبل، أو يستدمج، سمات شخصية جديدة تمثل العناصر الحية والفاعلة في التراث العربي والإسلامي؟ وهل سيصبح مواطناً بلا هوية محددة، أم سيزداد إصراره على التمسك بهويته؟ وهل بإمكان العربي والمسلم في الزمن المعاصر تحدي تغيرات عصرية توجهها شركات متعددة الجنسيات وما دور الفرد، وما دور النظام الذي ينتمي إليه، أو كان يشعر نحوه بالانتماء والهوية؟ غير أن هذا كله مرهون بمدى قدرة الإنسان المسلم - بوصفه كتلة تاريخية متحركة - على مواجهة التحدي والمواجهة بفاعلية.

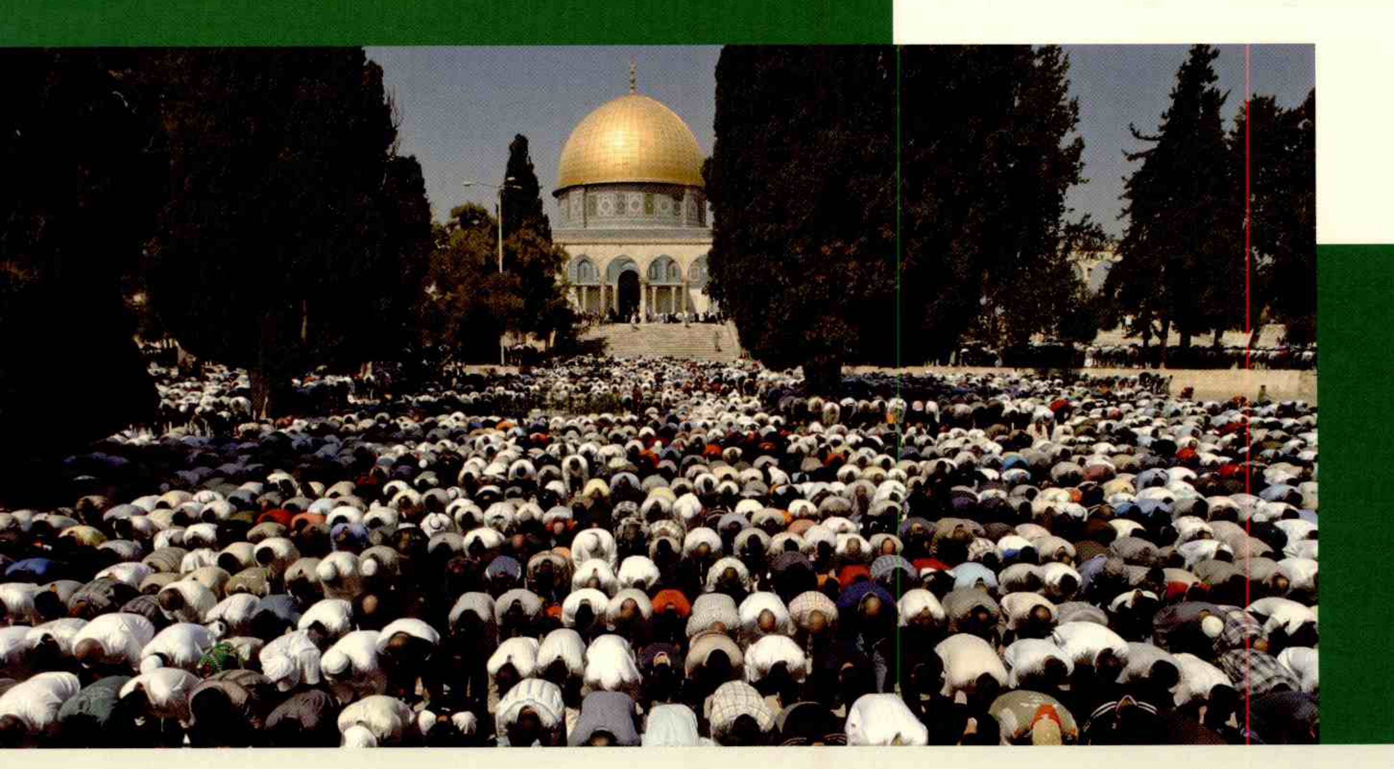
في كتابه (أين الخطأ؟ التأثير الغربي واستجابة المسلمين) يركز المستشرق الشهير برنارد لويس في التمايزات الحضارية والثقافية بين الغرب والعالم الإسلامي، انطلاقاً من نظرة استشراقية تؤكد أن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا. وتنبع أهمية أطروحة لويس من ثلاثة عناصر على ما يذكر الباحث محمد إسماعيل زاهر (١٣) الأول: توقيت نشر الكتاب، إذ يقول المؤلف في تصديره «كانت التجارب الطباعية لهذا الكتاب قد قاربت الانتهاء عندما وقعت الهجمات الإرهابية على نيويورك وواشنطن في ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م».

والكتاب إذن لا يتعرض لها بل ولا لأسبابها المباشرة والآثار التي خلفتها، ومع ذلك فإن له صلة بهذه الهجمات، فهو لا يفحص ما يحدث وما أعقب، بل ما سبق أي السلسلة الطويلة والنسق الأكبر من الأحداث والأفكار والمواقف التي سبقت هذه الهجمات وكانت إلى حد ما وراء وقوعها.

### أسباب أحداث سبتمبر

ولذلك فإن المؤلف يقدم للقارئ الغربي صورة عن الإسلام والمسلمين تتضمن الجذور المعرفية والتاريخية لأسباب وقوع أحداث ١١ سبتمبر، وتتضافر أهمية التوقيت مع شهرة لويس كمستشرق، الذي يصفه د. رؤوف عباس في تقديمه الكتاب بأنه أشهر مستشرق في الغرب الآن. وفور صدور هذا الكتاب عن قسم النشر بجامعة أكسفورد في مطلع عام ٢٠٠٢م أثير حوله كثير من الآراء من خلال عشرات المقالات التي كتبت عنه، أو من خلال عدد من المواقع على شبكة الإنترنت، وحظي بإقبال كبير من القراء للتعرف إلى ذلك (العدو الخطر) لـ «الإسلام».

الأمر الثاني: تتميز الروح العامة للكتاب بالتمركز في عدد من الآراء التي يرددها لويس من خلال سبعة فصول وخاتمة، وتبدأ هذه الآراء بتأكيد النظرة الاستشراقية التقليدية عن العالم الإسلامي، فالمرأة، والعلم، والموسيقا، تمثل اختلافات جوهرية بين العالمين الإسلامي والغربي وتنتهي بتأكيد أن الحضارة السائدة هي الحضارة الغربية، وأن المعايير الغربية هي التي تحدد معنى الحداثة. مروراً برصد تاريخ طويل من العلاقات بين الغرب والعالم الإسلامي، تسوده مفاهيم استشراقية تقليدية، كقصر التاريخ الإسلامي على تاريخ الدولة العثمانية، انطلاقاً من نظرة قديمة ترى المسلم هو التركي، وتركز في مصطلحات أصبحت مهجورة في العالم الإسلامي الآن مثل: الرق، والملة، ودار الإسلام، ودار الكفر.



نظرة قاصرة في الغرب عن الإسلام

والأمر الثالث: يقع قارئ لويس أسيراً لجاذبية العنوان «أين الخطأ؟ التأثير الغربي واستجابة المسلمين» فيظل يلهث عبر فصول الكتاب المختلفة للحصول على إجابة لهذا السؤال الحضاري العام، وبعد الانتهاء من قراءة رؤية استشراقية تقليدية يجد القارئ الحل في فقرة في خاتمة الكتاب تدعو العالم الإسلامي إلى تبني الحرية الغربية بمعناها الواسع، حرية سياسية، واقتصادية، وثقافية... إلخ، وذلك بعد أن يقيم لويس جداراً سميكاً أمام القارئ يظل يرتفع فصلاً بعد فصل؛ ليؤكد أن العالم الإسلامي لن يستطيع - وبناء على عوامل ثقافية ذاتية تقترب من الصيغة الحتمية - أن يتبنى هذا المطلب، وهي نتيجة تتفق مع أطروحة سابقة للويس، جاءت في كتاب «الغرب والشرق الأوسط» صدر في عام ١٩٦٣م، حيث أكد أن الإسلام والديمقراطية أمران لا يجتمعان.

وفي الحقيقة يعد هذا المؤلف مع آخرين مثل فوكو ياما، وهنتنجتون المنظرين الجدد للهيمنة الأمريكية في عالم اليوم، فقد أخذ كل منهم يؤسس لتلك الهيمنة، ويمهد لتلك العولمة، فقد قام فرانسيس فوكو ياما بوضع نظريته حول ما أسماه «نهاية التاريخ»، معتقداً أن جدلية التاريخ تفرض على العالم الوصول إلى هذه النهاية المحتومة، إذ تنتصر الديمقراطية الغربية القائمة على الليبرالية المطلقة، وتنهار جميع الإيديولوجيات الأخرى؛ لعدم مواءمتها متطلبات التطور الإنساني الذي وصلت إليه البشرية، وكأن البؤس الذي يرزخ فيه ثلاثة أرباع سكان العالم ليس إلا نتيجة لعدم قدرتهم، أو عدم قابليتهم بالأحرى، لانتهاج النهج الحضاري الغربي الليبرالي.

وبعد ثبات عدم نجاح هذه النظرية على أرض الواقع، خلال مدة قصيرة من ظهورها، تقدم صاموئيل هنتنجتون بنظريته الشهيرة «صراع الحضارات»، لسد الثغرات التي غفل عنها زميله، ورأى أنه من الضروري للحضارة الغربية لكي تحافظ على سيادة العالم، أن تقوم أولاً بتصفية جميع خصومها، وعلى رأسهم بالطبع الحضارة الإسلامية، ولكن هذه النظرية -أيضاً - سرعان ما ثبت تهافتها الفكري،

وعدم واقعيتها؛ فهي ليست إلا نتيجة لتعصب قومي سياسي، نظر إليه باحث إستراتيجي أبعد ما يكون عن الإلمام بالحقائق العلمية المعروفة بالبداهة (١٤).

## كل لا يتجزأ

فالحضارة الإسلامية - كما يقرر الكاتب تركي الحمد(١٥) - ليست إلا كلاً واحداً لا يتجزأ في جوهره، وهي تراكم علمي وثقافي للحضارات الإنسانية المتعاقبة، التي تساعد كل منها على نقل التجارب والمعارف التي اقتبستها عن أسلافها من الحضارات الأخرى، وقامت بتوطينها، والإضافة إليها، ثم توريثها الحضارات التي تعقبها؛ لاستمرار المسار التصاعدي للحضارة الإنسانية.

وعليه فإن الصراع -الذي كان ولا يزال قائماً - بين معظم الجماعات البشرية منذ فجر التاريخ الحضاري للإنسان حتى اليوم، ليس إلا صراعاً بين الثقافات، وهو مبني على التباين والتضاد بين القيم والمعتقدات التي تقوم عليها، والتي تمثل بمجموعها الوعي الجماعي الذي يعبر عن هوية هذا المجتمع أو ذاك، وهي- كما نعلم - خصوصية ذات قيمة عالية لدى الفرد والمجتمع، ومستمدة من الغريزة الإنسانية في التعبير عنها والدفاع عن وجودها واستمراريتها (١٦).

وكشف إدوارد سعيد المفكر الفلسطيني أن الادعاءات المنهجية، والروح العلمية في دراسات المستشرقين، ليست في حقيقة الأمر سوى مواقف أيديولوجية معادية للعرب والإسلام، ووصفها في حديثه عن برنارد لويس تحديداً بأنها «أقرب ما تكون إلى الدعاية ضد مادة موضوع بحثه» وسمى ذلك آخر فضائح (البحث العلمي) وأكثرها في الغرب منأى عن التعرض للنقد (١٧).

وإذا أخذنا في الحسبان أن عدد الكتب التي تتناول الشرق الأدنى، والتي وضعت بين عامي ١٨٠٠و١٩٥٠م تقدر بألف كتاب، كما يذكر إدوارد سعيد، وأن الكم الهائل من الكتب مازال يكتب حتى اليوم بالروح العدائية نفسها، بل أكثر بكثير بعد إنشاء دولة إسرائيل على أرض فلسطين، وتأجج الصراع العربي الإسرائيلي بسبب ما قامت به إسرائيل وجماعات الضغط الصهيونية، وما يقومون به من عمل في الساحات الثقافية والإعلامية الغربية؛ لتزوير التاريخ وتشويه صورة العرب بالاعتماد - خصوصاً - على تراث المستشرقين، وعلى الصورة المشوهة التي نجح الاستشراق في رسمها للعرب والإسلام والحضارة العربية والإسلامية في الذهن الغربي.

وأن تلك الصورة المشوهة هي السائدة حتى اليوم في الكتب المدرسية الغربية، والمناهج التعليمية في المدارس والجامعات في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، التي رسمها للعرب والإسلام والحضارة العربية والإسلامية في الذهن الغربي، والدور الذي أدته الصحافة الغربية الواقعة عموماً تحت السيطرة الصهيونية، وإذا أضفنا إلى ذلك الغياب التام لسياسة ثقافية إعلامية عربية موجهة إلى الغرب؛ لإعادة تشكيل صورة حقيقية مشرقة للعرب والإسلام، والرد على حملات التشويه المخططة والمنظمة في الساحات الثقافية والإعلامية الغربية، لأدركنا أبعاد المأزق الذي حُشر فيه العرب في العصر الحديث، والوضع التاريخي الخطير الذي يواجهونه، أو الذي لابد أن يعوا أنهم يواجهونه.

**(اختراق) العولمة للهويات، أو الخصوصيات، قد تكون له إيجابيات معرفية مهمة، تقدم الحقيقة إذا ما أريد لها ذلك فعلاً**

## ثقافة الحوار

هذا الوضع الخطير والدقيق لا يمس العرب والمسلمين في صورتهم، ثقافة وحضارة فحسب، بل يصل إلى وجودهم ذاته، ولئن برز الخطر المحدق بهم اليوم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر المأساوية في الولايات المتحدة الأمريكية بصورة أكثر جلاء وعنفاً، فإنه ليس جديداً (١٨) قبل الحادي عشر من سبتمبر كانت الدعوة إلى إدارة حوار ودي موضوعي بين أتباع الحضارات المختلفة، تشهد تطوراً إيجابياً على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية.

وتمثل هذا الإطار الإيجابي في نشاط متزايد للمؤمنين بهذا الحوار، قابلته استجابة مشجعة من جمهور المثقفين والمهتمين بالشأن العام، وكان محور هذا النشاط التنبيه إلى أن ثقافة الحوار والتواصل هي البديل الوحيد للمواجهة والصدام، اللذين أنذرنا بهما، وقال بحتمية وقوعهما بعض المؤرخين للمرحلة المعاصرة من مراحل تطور العلاقات بين الأمم والشعوب، ومن المعالم المهمة لهذا التطور الإيجابي توصية الجمعية العامة باتخاذ عام ٢٠٠١م عاماً للحوار بين الحضارات، وما يتبعه من قيام الأمين العام للأمم المتحدة بتعيين لجنة من عشرين عضواً من الشخصيات المرموقة لوضع وثيقة تعرض على الجمعية العامة لإقرارها، تشرح الحاجة إلى هذا الحوار، وتضع له منهجاً علمياً يضمن له الفاعلية والاستمرار، وأتمت اللجنة عملها، وتقدمت للجمعية بوثيقة تقع في ٥٠ صفحة عنوانها «عبور خطوط التقسيم.. الحوار بين الحضارات» Crossing the Divid and

العولمة تفرض آليات جديدة وتتطلب طاقات مؤهلة



Dialogue civilization.

ثم وقعت الواقعة التي فاجأت الناس جميعاً، ووقعت كالصاعقة على مسيرة «الحوار بين الحضارات»، وذلك حين تعرضت مدينتي واشنطن ونيويورك لغارتين إرهابيتين لا سابقة لهما في دقة التنفيذ وضخامة الآثار المفجعة، وفي عدد الضحايا الأبرياء الذين سقطوا قتلى في لحظات خاطفة.

وكان طبيعياً أن تتداعى وتتصل حلقات ردود الأفعال الصادرة في لحظات الهلع والغضب، والرغبة الجامحة في الانتقام، ومن أخطر التداعيات السلبية التي ظهرت وسط طوفان الغضب والهلع في الانتقام من «العدو المجهول» المسؤول عن هذا العمل الإرهابي غير المسبوق.. المسارعة المؤسفة لتحميل جميع العرب والمسلمين جانباً أساسياً من المسؤولية عن هذا العمل الإرهابي، وابتداء حملة إعلامية سياسية لتشويه صورة العرب والمسلمين، وإصدار حكم متعجل بالإدانة على جميع العرب والمسلمين، وعدّ كل واحد منهم «مداناً ومسؤولاً» وشريكاً في التهمة، حتى يثبت العكس إذا استطاع، وإذا سمح له ذلك عدوهم!

لكن الأمريكيين العاديين ليسوا جميعاً داخلين في هذه القسمة، ذلك أن قطاعات يُعتد بها لا ترى نفسها داخلة في نطاق (نحن) التي يتحدث عنها الرئيس الأمريكي، ذلك أن قسمة «صراع الحضارات» بين (نحن) و(هم) تحددت بشكل عدائي صارخ بعد أحداث سبتمبر عام ٢٠٠١م، حين قال الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش: «إن من ليس معنا فهو عدونا»، ويكون عدد كبير من الحكام الذين وضعوا أنفسهم داخل (نحن) التي قصدها الرئيس الأمريكي يعبرون عن رأي شعوبهم، أو قطاعات كبيرة منها على الأقل.

وقد أدى هذا إلى مفاجأة واضحة إذ انبثقت تلقائياً عن قسمة صراع الحضارات والحرب، قسمة مقابلة ترى العالم موزعاً بين الشعوب التي تريد السلام، وتتعرض للحرب والعدوان من ناحية، والحكام الذين يمثلون المطامع

**هل ثمة اتجاه لنشوء توازن عالمي جديد، وما طبيعة هذا التوازن، وما آليات عمله في ظل مرجعية دولية مصابة بإنهاك مزمن، وإلى أي مدى**

الرأسمالية للشركات العابرة للجنسيات من ناحية أخرى، وعلى صعيد المنطقة العربية، وفي داخل كل بلد عربي على حدة، تجد القسمة واضحة بين (نحن) و(هم) إذ إن إنكار التعددية السياسية في ظل حكومات مستبدة «السلطة» السياسية بكل ما تعنيه من تسلط وظلم واستبداد على مدى السنوات التي تغطي النصف الثاني من القرن العشرين، فضلاً عن إخفاق هذه الحكومات في الإجابة عن أسئلة التقدم والتنمية، وإخفاقها في «تحقيق الأمن الداخلي والقومي»، وتقهقرها بالبلاد والعباد إلى حال تقرب من الأحوال التي عرفها القرن التاسع عشر، نقول إن هذا، وكثير غيره، خلقا نوعاً من الثقافة السياسية المرائية المنافقة من ناحية، كما خلقا نوعاً من القسمة السياسية العدائية بين الحكام والمحكومين من ناحية أخرى.

إن الاعتداءات على نيويورك وواشنطن وما تبعها مباشرة من اتهام العرب والإسلام بالإرهاب والعنف والوحشية، أعادت بقوة إلى التداول مقولة هنتنجتون في الصدام بين الحضارات والصراع الثقافي بين الإسلام والغرب.

وكتبت بعد تلك الاعتداءات عدة مقالات في الصحف الغربية تثني على (نبوءة) هنتنجتون ورؤياه المبكرة لذلك الصراع، الذي أصبح في الذهن الغربي، الرسمي صاحب

القرار الشعبي على حد سواء، المشبع بالصورة السلبية للعرب، أصبح بمنزلة الحقيقة التي لا تقبل الجدل. وعدّت أحداث الحادي عشر من سبتمبر دليلاً قاطعاً على صدق تلك (النبوءة)، وبرهاناً على صحة نظرية هنتنجتون.

## المشهد الجديد والمُقتضى

ولا شك في أن ما يحدث اليوم يشكل تغيراً هائلاً في المشهد العالمي، تدخل معه البشرية في عصر جديد هو المجال التلفزيوني، والفضاء السبراني، والتواصل الإلكتروني، والفضائيات العالمية الرقمية.

ولا شك أن التطور الذي عرفته وسائل الإعلام في السنوات الأخيرة قد جعل من عملية الاتصال الفردي والمجتمعي متيسرة بشكل لم يسبق له من قبل مثيل. وهذا الاتصال لا شك أن له أبعاده المختلفة والمؤثرة في واقع الأفراد والمجتمعات، وسيؤدي في نهاية المطاف - كما يقول الباحث علي حرب (١٩) - إلى انتصار الزمان الفعلي الذي يجري بسرعة الضوء على المكان التقليدي الممتد لأبعاده الثلاثة.

حتى الآن «كان التاريخ يجري في أمكنة محلية تشغلها الدول والأوطان، تاريخ العالم يجري وفقاً لزمن واحد ووحيد، هو زمن عالمي يوصف بأنه فوري ومباشر، مشهدي وكوكبي، إنه زمن عابر للحدود بين القارات، والمجتمعات، واللغات، والثقافات، عبر طرقات الإعلام وشبكات الاتصال» (٢٠).

إن هذا التطور له أبعاده الواقعية، ولا يمكن تجاهله، إنه يعدّ إنذاراً وإعلاناً عن حقبة ما، هي في طريقها إلى التشكل بسرعة غير معهودة، وبذلك فإن أي خصوصية مدعاة لن تجد مفراً من الانكشاف والتعري أمام العالم، بحيث تفقد الثقافات والأيديولوجيات الحواجز الجغرافية، وعوامل تحضرها، وآليات الحفاظ على أسرار تماسكها؛ لأنها ستصبح موضوعاً لوسائل الإعلام، خاضعة لعرضها وتوجيهها، معرضة لقبول رفض المتلقي أو رفضه، انطلاقاً

**العولمة حركة سيرورة تاريخية بلغت هذه المرحلة بفعل مجموعة عوامل، من أبرزها الثورة التكنولوجية في مجال الاتصالات والمعلومات**

من تقويم جديد قد يخدم ثقافة، أو توجهاً بعينه لحساب الحقيقة أو ضدها.

إن العولمة Globalization(٢١) المقبلة في طريقها إلى إعادة ترتيب العالم عبر تحويله إلى أرقام وأعداد ضمن شبكات معلوماتية إلكترونية - وقد بدأت بالفعل - تضاعفه وتخلقه من جديد، على شكل صور وأعداد وبرامج وشفرات، خصوصاً وهذه الحالة الجديدة تحجز اللغة القديمة بأدواتها وعددها على قراءتها.

صحيح أن العولمة (٢٢) ستفتح آفاقاً جديدة للتواصل الإنساني، لكن من المبالغة أن تغييراً وجودياً شاملاً في حياتنا ينتظرنا نحن العرب والمسلمين في القريب العاجل، لعدة أسباب على رأسها حاجز مصالح الغرب الإستراتيجية، يؤازرها وضع الإنسان العربي والمسلم الذي يتخبط في الجهل وضمور الوعي المتعدد الأبعاد.

نعم لقد أتاح انتشار وسائل الإعلام المختلفة وتعددها الفرصة للتحدث عن «مجتمع عالمي» يتشكل، وهذه ظاهرة بدأت تأخذ أبعادها بشكل لافت للانتباه، بحيث قد تؤسس لتواصل إيجابي بين التجمعات الإنسانية، خصوصاً إذا ما تمت المعرفة بشكل إيجابي يجعل الآخر فرداً أو مجتمعاً، يزيح عنه ضبابية الرؤية التي كانت سائدة تجاه الآخر.

وعليه، فإن (اختراق) العولمة للهويات، أو الخصوصيات، قد تكون له إيجابيات معرفية مهمة، تقدم الحقيقة إذا ما أريد لها ذلك فعلاً. وهذا الأمر سينخرط فيه الشرق والغرب بكل الخصوصيات والحقائق والتمايزات المتنافرة والمختلفة.

نتساءل مع الدكتور علي حرب (٢٣) عن قدرة البشرية على تجاوز الصراع الأحادي، العريق، والتوغل في أعماق التاريخ؟! وعن مقدرتها على استيعاب التعدد الثقافي والإيديولوجي الذي قد تبرزه وسائط الإعلام بشكل أكثر وضوحاً وجلاء من قبل؟

## العبء الجديد

إن التواصل على نحو كوكبي يفرض التفكير، والعمل أيضاً على نحو كوكبي بناء المجتمع العالمي، وقيادة المصير المشترك، بحيث يكون لكل قسطه بحسب ما يصنعه بنفسه، وينتج من حقائق، وهذا سيلقي «عبئاً جديدًا» على جميع العرب والمسلمين، وهم يسعون جاهدين إلى عبور الفجوة، وتجاوز خطوط التقسيم التي أقامها نقص المعرفة المتبادل، ونقص التواصل والحوار بينهم وبين نظائرهم في الغرب.

وسعياً إلى مواجهة هذا «العبء الجديد»، وتجاوز هذه الأزمة المصطنعة في العلاقات، وحرصاً على استئناف مسيرة الحوار الودي بالتي هي أحسن بين الحضارتين الغربية، والعربية الإسلامية.. نرى من الضروري الانطلاق من عدد من المبادئ الحاكمة، والتنبه لعدد من الحقائق الكبرى المتعلقة بالحضارات ونموها وحركتها، وفي مقدمتها الأمور الآتية التي يتفق معنا فيها كثير من المفكرين والدارسين (٢٤):

أولاً: إن الحضارات، كل الحضارات، ليست كيانات نهائية ساكنة وجامدة، وإنما هي كائنات حية متحركة، وجوهر هذه الحركة محاولة الاستجابة للتغيرات الحادة

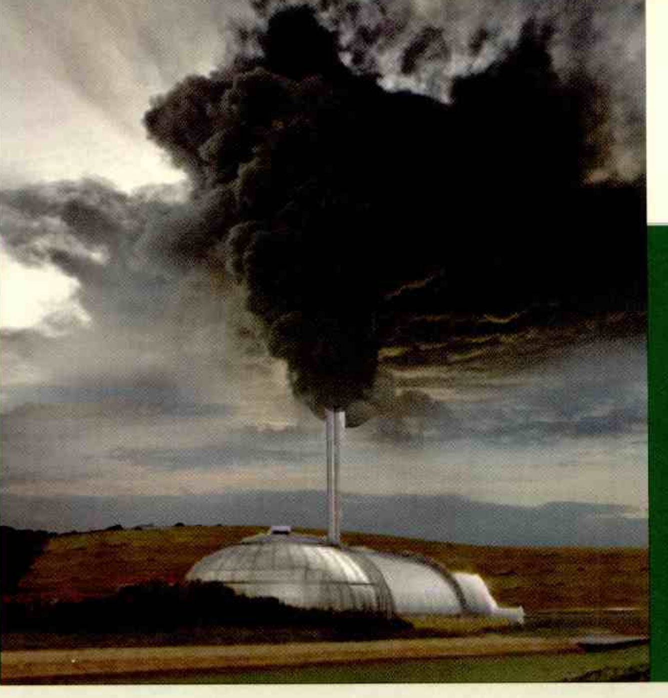
**الولايات المتحدة - الملوث «الأكبر» للبيئة في العالم - هي المسؤول الأول عن إخفاق المحاولات الساعية إلى مكافحة «الإجرام البيئي»**

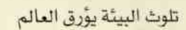
التي تمر بها الحياة الإنسانية، طوراً بعد طور، والتي بلغت سرعتها النسبية مبلغاً غير مسبوق، وذلك بسبب الثورة العلمية والتقنية المتواصلة.

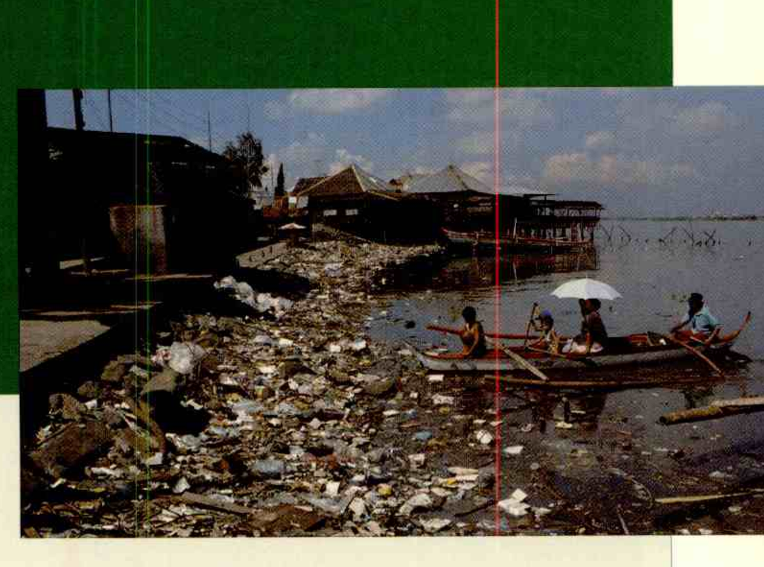
ثانياً: إن هناك في داخل كل حضارة مفارقة كبيرة، أو صغيرة، بين الأطر الفكرية والقيمية لكل حضارة، والسلوك العملي لأتباع تلك الحضارة، وهي مفارقة تصنعها الطبيعة الإنسانية ذاتها، وانفراد (الإنسان) بحرية القبول أو الرفض لكل عناصر الثقافة الذاتية، أو لبعضها.

ومن ثم لم يعد الفرد العربي المسلم معبراً بالضرورة عن قيم الإسلام ومبادئه، أو تقاليد العروبة التي حدثتنا عنها وقائع التاريخ القديم. ولم يعد (الغربي) هو الآخر ممثلاً أميناً للقيم الكبرى التي قامت عليها الحضارة الغربية في صورتها المثالية، قيم الحرية والعقلانية وإعلاء قيمة الإنسان. ومن ثم وجب دائماً التمييز بين المستوى الفكري والنظري، والمستوى المجتمعي الواقعي، عند محاولة فهم الحضارة الأخرى أو تقويمها.

ثالثاً: إنه يوجد في إطار كل حضارة تيار واسع عريض، «هو المشخص لها، والمعبر عنها، وعلى جانبيه تظهر تيارات هامشية، أو ثقافات تحتية جانبية Sub Cultures ابتعادها عن التيار الواسع العريض Main Stream إلى حد







تلوث البيئة يؤرق العالم

المفارقة التامة والتناقض، وأنه لا يجوز الخلط بين «التيار الأساسي الواسع» وواحد أو أكثر من التيارات الجانبية، في الحضارات المختلفة.

رابعاً: ضرورة التسليم بمبدأ «المساواة» بين الحضارات، فلا توجد حضارة واحدة مهما بلغ اعتداد أصحابها واعتزازهم بها، يمكن الزعم باحتكارها لعناصر الرشد والعطاء في بناء الثقافة الإنسانية، أو الزعم بإمكان استغنائها عن (الآخرين) في مسيرتها نحو المستقبل. والحقيقة التاريخية هي وقوع التفاعل، وتبادل الأخذ والعطاء بين الحضارات الإنسانية التي تعاصرت على امتداد الحقب التاريخية المختلفة.

إن دعاوى الاستعلاء الحضاري قد كانت - عبر التاريخ - أحد الأسباب الرئيسة للتباعد والصراع، وما لم يقع التسليم بالمساواة والندية التي توجب الاحترام المتبادل، فلن يؤتي الحوار ثمرته المرجوة في تحقيق التعايش والتعاون، ودرء المواجهة والصراع. وفي إطار هذه المبادئ الحاكمة يحتاج مشروع «تصحيح صورة العرب والمسلمين» في العقل والوجدان الغربيين إلى ما يأتي:

- محاصرة الدعوى إلى (العزلة الثقافية) داخل المجتمعات العربية والإسلامية، والتوجه - من دون إبطاء - إلى ممارسة «ثقافة التواصل النشط مع الآخر الحضاري» ذلك أن هذه العزلة هي المسؤولة عن غياب الصوت العربي المسلم من الساحة الإعلامية والثقافية في الغرب، وهو غياب زاد من خطورته أن أطرافاً أخرى - نعرفها جمعياً - قد استثمرته في خلق صورة بالغة السوء والسلبية لكل ما هو عربي أو إسلامي، حتى أوشكت هذه الصورة السيئة أن تكون عنصراً ثابتاً ومستقراً في العقل الغربي، وعلى أساسها تحددت مواقف كثير من الناس في الغرب من العرب والمسلمين (٢٥).

لقد ضاعت من أيدينا - خلال سنوات طويلة - فرص كبيرة لتصحيح صورتنا عند الآخرين، وهي ذات السنوات التي تعاظم فيها دور الإعلام وتأثيره في العقول والمشاعر، ولكن الخيار الوحيد أمامنا الآن هو الخروج السريع من العزلة، ومعاودة (الحضور) و(الظهور) على ساحة الآخرين في الغرب.

- مراجعة الخطاب السياسي والثقافي والإعلامي في العالمين العربي والإسلامي، مراجعة تؤكد المعاني الآتية:
- التوقف عن تصور (الغرب) بأنه عدو للعرب والمسلمين،

وملاحظة أن كلمة (الغرب) كلمة عامة وخالية من كل تحديد وتكاد تكشف عن موقف عاطفي غير علمي ولا مدروس، وذلك أن استعداء الغرب على هذا النحو لابد أن يقابله رد فعل مماثل يصور العرب والمسلمين ويتصورهم على أنهم (العدو).

- تجنب المبالغة في إبراز الفوارق الثقافية بين الحضارة الغربية والحضارة العربية الإسلامية، والإلحاح بدلاً من ذلك على العناصر المشتركة بين الحضارتين Commonalty.

إن بناء نظام عولمي جديد الطابع والاتجاه، لا يتم إلا عبر مشاركة الجميع في تشكيله، نظام تقبله جميع الأطراف، يقوم على التعددية والحوار والتعايش المشترك، وتنتفي منه لغة الفرض وأساليب الهيمنة. هل يمكن أن تنجح شراكة متوازنة بين المدنية الحديثة والقيم الروحية؟ بالتأكيد ذلك ممكن، وأي رأي يذهب إلى غير ذلك سيحتوي على تشكيك غير مسوغ بالقيم الروحية وبالمدنية الحديثة.

## الهوامش والمراجع


١- صموئيل هانتنغتون: صدام الحضارات، ترجمة طلعت الشايب، كتاب سطور القاهرة عام ١٩٩٨م.
٢- انظر د. حفناوي بعلي: الأدب المقارن والتوجه نحو العولمة ص٣٩ و٤٠ مجلة الجسرة العدد ٥، قطر، عام ٢٠٠٠م.
٣- انظر مسعود ضاهر: صدام الحضارات وارتباك الخائفين وصلابة القادرين، مجلة العربي، العدد ٤٥٢ ص٢٩ و٣٠.
٤- د. مصطفى أحمد مصطفى: شبكات الأعمال العالمية في عصر العولمة، كتاب الأهرام الاقتصادي، العدد ١٧٤، ص٥، القاهرة، يونيو عام ٢٠٠٢م.
٥- انظر د. السيد فليفل: نعم للعولمة الموضوعية.. لا للهيمنة، الأهرام في ١٩٩٥/٥/٢١م.
٦- د. بركات محمد مراد: الإسلام والبيئة، ص٤١ و٤٢ دار القاهرة، عام ٢٠٠٣م.
٧- د. بركات محمد مراد: ظاهرة العولمة، ص١١٥ كتاب الأمة، العدد ٨٦، قطر في فبراير عام ٢٠٠١م.
٨- د. مصطفى أحمد مصطفى: شبكات الأعمال السابق، ص٩.
٩- السابق ص١٠.
١٠- د. بركات محمد مراد، الإسلام والبيئة ص ٥١، ٥٠.
١١- د. رشدي سعيد: العيش على حافة النظام العالمي الجديد، ص ص ٣١، ٣٢ مجلة الهلال، يونيو عام ٢٠٠٢م.
١٢- حسن إبراهيم أحمد: العولمة من منطلق الاستغلال إلى منطق التجاوز، مجلة الطريق العدد ٣٦، بيروت، يوليو عام ٢٠٠٠م.
١٣- محمد إسماعيل زاهر: رفض الآخر، مجلة الشاهد ١١٢، العدد ٢٢٤، بيروت، إبريل ٢٠٠٤م.
١٤- أحمد دعدوش: إشكالية الثقافة في عصر العولمة، مجلة الفيصل، العدد ٣٣١، مارس ٢٠٠٤م.
١٥- تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة ص ٦٤، ٦٥، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٩م.
١٦- ريتا عوض: صورة العرب والإسلام في الغرب، مجلة شؤون عربية، العدد ١٠٩، القاهرة، ربيع ٢٠٠٢م.
١٧- انظر: ميشيل تشوسودوفيسكي: عولمة الفقر، ترجمة محمد مستجير مصطفى، كتاب سطور ٢٠٠٠م.
١٨- د. سليمان إبراهيم العسكير: ماذا يتبقى من نظرية صراع الحضارات، مجلة العربي، العدد ٥١٨، يناير ٢٠٠٢م. وانظر: د. سعد حقي توفيق: النظام الدولي الجديد، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٩م.
١٩- د. علي حرب في مؤتمر الجنادرية ١٢، الرياض، ١٩٩٧م. وانظر: د. عبدالسلام المسدي: العولمة والعولمة المصادرة، ص ١٠٦-١١٩، كتاب سطور، ١٩٩٩م.
٢٠- د. محمد دكير: الإسلام والغرب، مجلة الكلمة، العدد ١٥، ص ١٤٠، بيروت، ربيع ١٩٩٧م.
٢١- د. بركات محمد مراد: ظاهرة العولمة: رؤية نقدية، كتاب الأمة، العدد ٨٦، قطر، ٢٠٠٢م.
٢٢- سيار الجمي: العولمة والمستقبل، ص ٥٠-٥١، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٠م.
٢٣- المرجع السابق.
٢٤- د. أحمد كمال أبو المجد: الحوار بين الحضارات، السابق ص ٨٨، ٨٩.
٢٥- سيار الجميل: العولمة والمستقبل، ص ١٦٥، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٠م، وانظر: د. محمد علي حوات: العرب والعولمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢م.

قضايا معاصرة



# المعارف التقليدية

## والتكنولوجيا الحديثة

محمد عاطف كشك

المنيا - مصر

عندما بدأت أفكر في كتابة هذا المقال عن مختلف صور التكنولوجيا وأشكالها، ومدى ملاءمتها لإحراز التقدم، وإنجاز التنمية الشاملة والمستديمة، خطر بذهني المثل المصري القديم: «الشاطرة تغزل برجل حمار»، كما تذكرت على الفور ما كان يقوله الرئيس الراحل أنور السادات في معظم المناسبات التي تستدعي الافتخار: «نحن نملك أحدث ما في العصر من تكنولوجيا».

وأدبيات التنمية والتكنولوجيا الحديثة تكاد تجمع على أن قضايا التنمية المعقدة، وسياقاتها المتباينة بشدة من مكان إلى آخر، ومن زمن إلى آخر، لا يمكن تناولها، فضلاً عن إحراز أي تقدم فيها، عن طريق محاولة الغزل باستعمال رجل الحمار، أو باستعمال أحدث ما في العصر من تكنولوجيا.

ولا أنوي هنا، أن أستهلك المساحة المخصصة لهذا المقال في الحديث عن مزايا كل من التكنولوجيا التقليدية المتوارثة، والتكنولوجيا الحديثة المعتمدة على التقدم العلمي وعيوبهما. وفي الواقع فإن نوعي التكنولوجيا المذكورين لا يمكن تصورهما في حالة ثبات، فهما دائما التغير، وهناك تبادل، أو أخذ وعطاء بينهما، وكما أن بينهما كثيرًا من الاختلافات، فهناك أيضًا بعض التشابه. وغالبًا ما يتم طرح سؤال عن أيهما أفضل: التكنولوجيا التقليدية أم الحديثة؟ الغزل برجل حمار.. أم استخدام أحدث ما في العصر من تكنولوجيا؟.

وهو في الواقع سؤال ساذج، أو على الأقل لا ينبغي أن يطرح هكذا.. إذ لا يمكن المفاضلة بين نوعين من التكنولوجيا إلا في ضوء مدى تحقيق كل منهما للهدف، أو الغرض المراد تحقيقه، وبذلك ينبغي أن يكون السؤال كما يأتي: أي أنواع التكنولوجيا سوف يحقق غايات التنمية المنشودة؟ وأيها سوف يساعد الفقراء أكثر، ويحافظ على الموارد البيئية لأجيال المستقبل؟ أو بالأحرى يكون السؤال كالآتي: إلى أي مدى سوف يستفيد الفقراء والمهمشون من الطفرة، أو الثورة

التقنية الحديثة تحرم الفقراء أحيانًا من مصادر رزقهم

المعاصرة في تكنولوجيا المعلومات، والتكنولوجيا الحيوية، وهي تمثل أحدث ما في العصر من تكنولوجيا؟.

وهناك في الواقع أدلة كثيرة شديدة الوضوح على أن التكنولوجيا الحديثة تستعمل بواسطة الشركات العملاقة متعددة، أو متعدية، الجنسيات؛ لحرمان ملايين الفقراء، وخصوصًا صغار المزارعين في المناطق الريفية، مما يكون قد تبقى لهم من سبل المعيشة.

إذن يجب ألا ينصب بحثنا على أيهما أفضل: التكنولوجيا التقليدية، أم الحديثة، إذ ليس هناك تكنولوجيا أفضل، أو أسوأ من غيرها على الإطلاق.. ذلك رهن بالخليط المعقد من الظروف الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية المحيطة، وكذلك درجة تقدم المجتمع تكنولوجيًا.. يجب أن يكون السؤال إذن عن صور التكنولوجيا الملائمة، وهي تعني ببساطة التكنولوجيا التي يمكن أن تحقق أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة والمستديمة وغاياتها.

وقد تعددت الكتابات التي تتناول تعريف التكنولوجيا الملائمة ووصفها، وهناك في الواقع شبه اتفاق على أنها يجب أن تتصف بالسمات الآتية، أو معظمها:

- يجب أن تشجع وتنمي التفكير الابتكاري الذي يسمح بدوام التقدم.
- يجب أن تكون قابلة للتأقلم، والتكيف؛ أي: يسهل نقلها، أو بداية تطبيقها في مستويات مختلفة من الظروف الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، وكذلك القدرات التكنولوجية للبلد، أو الإقليم الذي يستعملها.
- ينبغي أن تكون مجدية - اقتصاديًا - على الأقل في المدى البعيد.
- ينبغي أن تتيح الاستغلال الأمثل للموارد المحلية.
- تشجع الاعتماد على الذات.
- تستعمل الخبرات المحلية، وتحفز مشاركة المجتمعات المحلية.
- تكون صديقة للبيئة.
- تتضمن تعلمًا أكثر لأفراد المجتمع المحلي.
- تبني قدرات المؤسسات المحلية.
- يسهل تعلمها بواسطة من بعد يقومون باستعمالها.
- يسهل التوصل إليها، واستعمالها بواسطة الفقراء والأغنياء على السواء.
- يمكن علاج آثارها الجانبية بسهولة وكفاءة بواسطة المؤسسات المحلية.
- يجب ألا تخلق، أو تزيد من حدة مشكلات البطالة.

أي: إن التحدي الذي تواجهه المجتمعات الفقيرة هو مساعدة الفقراء، من النساء والرجال، على اختيار التكنولوجيا المتاحة وتطويعها وتطويرها وتحسين صورها وأشكالها، التي تكون ملائمة لاستعمالها؛ لتحقيق أهداف التنمية البشرية، وتخفيف حدة الفقر، ومواجهة معضلة استدامة الموارد البيئية.

وقد اعتمدت البلاد النامية والفقيرة على نقل أشكال من التكنولوجيا تم تطويرها في البلاد الصناعية المتقدمة، وقد كان نقل التكنولوجيا في حالات كثيرة غير ناجح، وفي بعض الحالات أحدث كوارث وانتكاسات، ولذلك فقد تصاعدت الدعوة إلى أن البلاد النامية يجب أن تكون قادرة على اختيار ما هو ملائم لظروف هذه البلاد من التكنولوجيا المتاحة.

وعند الحديث عن نقل التكنولوجيا، علينا أن نميز بين مكونين منفصلين لأي تكنولوجيا، وباستخدام مصطلحات الكمبيوتر، التي أصبحت شائعة الآن، فإن المكون الأول للتكنولوجيا هو المكون المادي المرئي، أو المنظور، أو ما يمكن تسميته بالمكون الصلب Hard - Ware، وهو يشمل - مثلاً - المصانع، والآلات، والمكنات.. إلخ.

أما المكون الآخر الذي يمكن تسميته بالمكون اللين Soft - Ware، وهو يشمل كل الأجزاء غير المادية مثل: المعرفة، والخبرة، والتعليم، والتنظيم. وأهمية التمييز بين هذين المكونين ترجع إلى أن معظم الناس، ومنهم صانعو



المهم هو توطين التقنية لا الاستيراد

السياسات ومتخذو القرار، في الدول النامية والمتخلفة يميلون إلى الاهتمام بعناصر المكون الصلب للتكنولوجيا، وإهمال المكون اللين، أو الناعم.

وقد أثبتت الخبرة خطأ هذا الاتجاه، أن أي دولة نامية، أو متخلفة، يمكن أن تشتري وتستورد مصانع أو آلات معقدة ومتقدمة جدًا، فيما يسمى تسليم مفتاح، ولكن في أغلب الأحيان سرعان ما تنشأ مشكلات كبرى تتمثل في عجز هذه البلاد عن صيانة هذه التكنولوجيا المتقدمة واستعمالها وإدارتها، فتتوقف الآلات، وتهجر المصانع، وتظل مكانها كالأشباح تشير إلى إخفاق استيراد أنواع من التكنولوجيا، لا تستطيع البلاد النامية استيعابها. وهنا يصبح استيراد أحدث ما في العصر من تكنولوجيا، ليس مدعاة للتفاخر، ولكنه مدعاة للخجل. ويرتبط بهذه النقطة مباشرة أنه في عالم اليوم، هناك أياد خفية للأسواق العالمية، هي التي تقرر أي الأساليب العلمية والتكنولوجية يجب تطويرها، ولمصلحة من يتم هذا التطوير. وليس من المعقول أن مالكي الأسهم في الشركات العالمية العملاقة يتطوعون لاستثمار أموالهم في مساعدة إخوانهم الفقراء في الدول النامية، وقد كانت هناك - دائمًا، وما زالت - أمثلة مؤسفة تقوم فيها الدول الغنية، والشركات عابرة الجنسية بفرض تكنولوجيات قديمة عفا عليها الزمن وبيعها، وأثبتت عدم نجاحها، أو إضرارها للبيئة والمجتمعات المحلية، وهي تباع للدول الفقيرة بأثمان باهظة، وتنتج عنها حالات كثيرة من كوارث اقتصادية، أو اجتماعية، أو بيئية.

ولهذا السبب فإن الأساليب التكنولوجية الحديثة - لكي تكون ملائمة - يجب أن يتم تصميمها حسب حاجة البلد العلمية والتكنولوجية والتنموية وظروفه الخاصة به، وأن المعونات المقدمة لهذا البلد يجب أن تركز في بناء قدرات تكنولوجية محلية، بدلاً من تمويل مشروعات جاهزة (تسليم مفتاح). ومن دون هذه القدرات التكنولوجية المحلية، فإن استيراد الآلات والمصانع من الخارج يحمل معه نوعين، أو ثلاثة أنواع من المخاطر:

الخطر الأول: هو تعطل الآلات والمصانع بعد مدة وجيزة؛ نتيجة لعدم فهم أسرارها، وعدم القدرة على صيانتها وتشغيلها بالطريقة السليمة، والخطر الثاني: هو التعرض للإخفاق حيث إن التجارة العالمية في التكنولوجيا مملوءة بمحاولات الغش والتدليس، والتجار يبحثون عن جهلة، أو مغفلين، (يبيعونهم الترام)، والخطر الثالث: وهو أكثر ضررًا أن استيراد تكنولوجيا جاهزة يرسخ الاعتماد على الاستيراد والتكاسل عن تنمية الابتكار، والاختراع، والتطوير، لما يلائم المجتمع من تكنولوجيا.

وهناك قضية غاية في الأهمية، فيما يخص نقل التكنولوجيا، تتلخص في السؤال الآتي: نقل التكنولوجيا لمصلحة من؟ ومن الرابح، ومن الخاسر من عملية نقل التكنولوجيا؟ إن التكنولوجيا التي يتم نقلها تكون في الأغلب تكنولوجيا متقدمة ومعقدة. وهي تتم في الأغلب لمصلحة الفئات الاجتماعية العليا المالكة للقوة، والثروة، والمعرفة، أما الفقراء الذين لا يتمتعون بتعليم أو تدريب كاف، فإنهم يعجزون عن استخدام التكنولوجيا الحديثة، ولا يستفيدون منها بل إنهم في الأغلب سوف يضارون - على الأقل - عندما يفقدون أعمالهم؛ لأن التكنولوجيا الحديثة تكون غير كثيفة العمالة، وبذلك تفاقم من مشكلة البطالة التي يعاني منها، أول من يعاني، الفقراء والمهمشون.

**لا يمكن المفاضلة بين نوعين من التكنولوجيا إلا في ضوء مدى تحقيق كل منهما الهدف**



التطور لا يعني تجريف المعارف التقليدية

وللأسباب السابقة الذكر، ولأسباب أخرى، فإن هناك محاولات كثيرة تلقى عناية خاصة من كثير من منظمات الأمم المتحدة، والمجتمع المدني في العالم، تركز في المحافظة على المعارف، والتقنيات التقليدية المتوارثة، قبل أن تنقرض، حيث إنها تضم ثروة ضخمة من الوسائل، والطرائق، والتقنيات الملائمة، التي تم تطويرها بواسطة المجتمعات المحلية، وهي لذلك مرتبطة بظروف الناس، وأساليب عيشهم وعملهم، ومن ثم تكون مفهومة، ويمكن استعمالها بواسطة الفقراء ولمصلحتهم، وتكون ملائمة أكثر للمحافظة على الموارد.

لكن الدعوات العالمية المتنامية في السنوات الأخيرة للمحافظة على التكنولوجيا والمعارف التقليدية لا تسعى إلى المحافظة على هذه المعارف والتقنيات في المناخ، وتحت الظروف المحلية التي أنتجتها، ولكنها تسعى إلى عزل هذه المعارف والممارسات، واقتلاعها من تربتها الأصلية، ثم إخضاعها بعد ذلك لعمليات توثيق، وفهرسة، وتخزين في متاحف، أو معارض عالمية، وهو ما يسمى المحافظة على هذه المعارف والممارسات (خارج بيئتها Ex Situ).

وهذه المحاولات تبدو متناقضة من داخلها إذ إن عزل المعارف التقليدية وتصنيفها ونقلها تبدو مثل اقتلاع

شتلات غضة ونقلها لإعادة زراعتها في تربة مختلفة عن التربة التي نمت فيها، ولذلك فإن احتمالات عدم النجاح فيها أكثر من احتمالات النجاح. وحفظ المعارف والممارسات التكنولوجية التقليدية خارج بيئتها، حتى إذا كان له حظ من النجاح، فإنها سوف تصبح مثل نقل التكنولوجيا الحديثة والمتقدمة في كونها سوف تتوجه لمصلحة الأقوياء والأغنياء، الذين يمكن لهم أن يتوصلوا إلى المراكز العالمية لحفظ التكنولوجيا، وبذلك لن تعمل مثل هذه المحاولات في اتجاه الهدف الأصلي من حفظ المعارف التقليدية، وهو مساعدة الفقراء والمستبعدين والمهمشين وإفادتهم.

إن استعمال الموارد وإدارتها (الأرض، والماء، والطاقة.. إلخ)، دائمًا تتضمن قدرًا من المنافسة بين فئات المجتمع وطبقاته، أو بين الأغنياء والأقوياء من ناحية، والفقراء والضعفاء من الناحية الأخرى. وهي منافسة - كما هو واضح - غير عادلة. والقرارات التي يتم اتخاذها تكون دائمًا لمصلحة فئة من هذه الفئات، وضد الفئة الأخرى، إذ إن القرارات تتضمن دائمًا قدرًا من الانحياز يكون اتجاهه حسب التوجه السياسي والأيديولوجي لمتخذ القرار.

والاتجاهات العالمية السائدة والمؤثرة، بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، والمعسكر الشرقي، هي الاتجاهات الليبرالية والرأسمالية، وقد تعاظم تأثير مؤسسات التمويل

**نشاهد في مصر أمثلة واضحة لطغيان المعارف والتقنيات الحديثة، على حساب المعارف والتقنيات التقليدية**

الدولية (البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ووكالة التنمية الأمريكية). فمثلاً تضغط هذه المؤسسات بشدة على كثير من دول العالم، ومنها مصر؛ لتنفيذ ما يسمى سياسات التكيف الهيكلي وبرامجه. ومثل هذه السياسات في مجال الزراعة مثلاً، تعني التوجه نحو التوسع في زراعة المحاصيل العالية القيمة، والمخصصة للتصدير، وهذا الاتجاه يكون لمصلحة كبار المزارعين، والشركات الزراعية المتخصصة على حساب صغار المزارعين، كما أنه يستدعي مزيدًا من الاعتماد على مؤسسات التمويل الدولية، التي تشجع استيراد التكنولوجيا الغربية الحديثة، وإهمال المعارف والممارسات التقليدية للمجتمعات المحلية.

وقد تحدثنا - حتى الآن - عما يمكن تسميته «المعوقات الإستراتيجية» ضد المعارف، والممارسات، والخبرات التقليدية، وما زالت هناك معوقات أخرى، ربما تكون أقل في تأثيرها، ولكنها مجتمعة تشكل عائقًا منيعًا ضد المحافظة على المعارف والممارسات والخبرات التقليدية المحلية، من هذه المعوقات نذكر ما يأتي:

- نظام التعليم غير الديمقراطي في معظم البلدان النامية يعتمد في تصميم مؤسساته وبرامجه على كبار البيروقراطيين من موظفي الحكومة، ولا يأخذ في حسبانه رأي الأسر والمجتمعات المحلية، أو الطلاب، أو حتى المدرسين، وبذلك فإن المعارف المحلية يتم تجاهلها.

تطوير مؤسسات التعليم يسهم في الثورة العلمية التكنولوجية



- معظم العلماء والباحثين والفنيين، وهم مخرجات هذا النظام التعليمي غير الديمقراطي الذين أتموا تدريبهم في الغرب، يميلون - في الأغلب - إلى الافتخار بأنهم قد عرفوا أحدث ما في هذا العصر من تكنولوجيا، وهم يفرضون هذه التكنولوجيا، وحتى أساليب الحياة الغربية (الاستهلاكية) على مجتمعاتهم المحلية، إذ إنهم في الواقع يحتقرون طرائق الحياة التقليدية وأساليبها، ولا يثقون بالمعارف الأصلية للمجتمعات المحلية، (تأمل في رواية قنديل أم هاشم للكاتب المبدع يحيى حقي).

- النخبة الحاكمة في البلدان غير الديمقراطية تحاول تحديث صناعتها، وزراعتها، وكل جوانب المجتمع، عن طريق تقليد الغرب، ونقل ما طوره من تكنولوجيا. وعملية التحديث هذه تكون مشوهة من نواح متعددة، وتقود إلى إهمال المعارف التقليدية، وعدم السعي إلى تطوير القدرات العلمية والتكنولوجية المحلية وتنميتها، ثم عدم القدرة على استيعاب التكنولوجيا الغربية المتطورة.

- الاتجاه إلى الخصخصة، والتجارة المعتمدة على الإنتاج الضخم، يتركان المعارف التقليدية عاجزة عن منافسة التكنولوجيا الحديثة.

- وحتى في مجال التغذية وإعداد الطعام، تنتشر وتتغول الطرائق الحديثة في إنتاج الأغذية السريعة غير الصحية، على حساب طرائق الطبخ التقليدية، التي أتاحت التغذية والحياة الصحية للمجتمعات المحلية على مر السنين.

- الشركات العملاقة متعدية الجنسيات، التي يهمها فقط تعاظم أرباحها، تهتم بالضرورة بتسويق التكنولوجيا المتقدمة، ولن تقدم على المخاطرة والاستثمار في تنمية المعارف والممارسات التقليدية أو تطويرها.

والنتيجة المنطقية لكل الأسباب السابقة هي تآكل المعارف، والتقنيات، والممارسات التقليدية، التي سادت سنين طويلة جدًا، وتم ابتكارها بواسطة المجتمعات المحلية مطابقة ومتأقلمة مع احتياجات هذه المجتمعات وظروفها، وبالتدريج حلت محلها تقنيات حديثة متقدمة جدًا ومعقدة، وفي معظم الأحيان تكون غير مفيدة، بل تنتج عنها عدة أضرار اجتماعية وبيئية؛ لأنها تكون أشبه بنبتة غريبة تم استزراعها في ظروف غير ملائمة لنموها وازدهارها.

ونشاهد في مصر أمثلة واضحة لطغيان المعارف والتقنيات الحديثة، على حساب المعارف والتقنيات والممارسات التقليدية، منها مثلاً: في تقنيات الري، وآلات رفع المياه اختفاء الشادوف، والساقية، والبرمية، لتحل محلها الطلمبات التي تعمل بالوقود، أو الكهرباء، واختفاء الأنوال اليدوية، لتحل محلها الآلات التي تنتج السلع النمطية، وفي طرائق تبريد المياه وحفظها اختفت تقريبًا الوسائل التقليدية مثل القلة والإبريق والزير، لتحل محلها المبردات الحديثة الملوثة للبيئة، وفي طرائق مواد البناء تكاد تختفي - تمامًا - الطرائق التقليدية، ومواد البناء المستخدمة من البيئة المحلية، مثل: الطوب اللبني، والأحجار، وأجذع النخيل، وغيرها من الأشجار المحلية، لتحل محلها بلوكات الأسمنت والحديد، وحتى اختفاء بعض الأطعمة البسيطة الصحية المغذية التي تعتمد على تقنيات بسيطة، مثل: حفظ الأغذية بتجفيفها عن طريق الطاقة الشمسية، كتجفيف الخضراوات، والفواكه، مثل: التين، والعنب، والملوخية، والبامية، والكشك، وغيرها، وقد حلت محلها أغذية غير صحية يتم تحضيرها بسرعة مثل الهمبرجر وغيره.

وفي كل البلاد - بلا استثناء - يمكن أن نلاحظ كثيرًا من صور المعارف، والتقنيات المحلية التي انقرضت، أو التي في سبيلها إلى الانقراض، وحلت محلها صور وأشكال من التكنولوجيا الحديثة المستهلكة للطاقة بكثافة، والملوثة للبيئة، والمسببة للبطالة.. وعلى كل هذه البلاد أن تبذل جهدًا صادقًا للمحافظة على المعارف التقليدية التي





بقدراتها التكنولوجية الذاتية تتقدم الدول

طورتها الشعوب على مر السنين، وأن تحافظ عليها في بيئتها الأصلية، حتى تكون قابلة للاستمرار.

ولا يصح في الواقع أن نتباكى على تجريف المعارف والخبرات التقليدية المتوارثة وانقراضها لمجرد أنها تقليدية؛ ولكن لأنها تمثل كنزًا، أو مخزنًا مفيدًا جدًا تنهل منه المعارف، والتقنيات الحديثة. والاستراتيجية التي ينبغي أن تتبناها الدول النامية والفقيرة، يجب أن تتمثل في قدرتها على اختيار المزيج الملائم من التكنولوجيا عن طريق المحافظة على المعارف والخبرات التقليدية من ناحية، واختيار التكنولوجيا الحديثة ونقلها وتطويعها وابتكارها ونشرها من الناحية الأخرى، ويجب أن يكون هذا المزيج قادرًا على تلبية احتياجات المجتمعات المحلية، وملائمًا لظروفها، ومحافظًا على بيئتها ومواردها للأجيال المقبلة.

ولتحقيق ذلك يمكن التذكير ببعض الأمور التي يجب أخذها في الحسبان منها:

- أن معونات التنمية التي تقدمها الدول الصناعية الغنية يجب على الدول المستقبلة لها - قبل أن تقبلها - أن تشترط قدرتها على تنمية القدرات التكنولوجية الذاتية للبلاد الفقيرة.
- يجب على الدول النامية أن تدرك أن التقدم لا يمكن استيراده من الخارج، فالتقدم يجب أن تصنعه المجتمعات على أرضها وبسواعد أبنائها وفكرهم.
- استيراد التكنولوجيا من دون وجود قاعدة علمية وتكنولوجية محلية، يجب استبعاده بأي شكل؛ لأنه يثبط نمو الابتكارات والقدرات المحلية.
- يجب تطوير مؤسسات التعليم وبرامجه ومناهجه، ونظم الترقي في الجامعات، ومعايير اختيار أولويات البحث العلمي في الدول النامية، إذا أرادت أن يكون لها إسهام في الثورة العلمية والتكنولوجية، أو أرادت أن تستوعب التكنولوجيا الحديثة، وتطوعها وتطورها لتناسب ظروفها.
- عملية اختيار التكنولوجيا الحديثة ونقلها وتطويعها، عملية تشاركية بالأساس، وكذلك عملية التنمية ذاتها، ولذلك فإن الأنظمة السياسية غير الديمقراطية التي لا تشرك الناس والمجتمعات المحلية في اتخاذ القرارات لن تنجح فيها أي تنمية، أو اختيار، أو نقل للتكنولوجيا.

إن عملية اختيار التكنولوجيا المتقدمة ونقلها وتطويعها والمحافظة في الوقت نفسه على المعارف والخبرات التقليدية المتوارثة، عملية ضرورية لتقدم المجتمعات وتحقيق طموحاتها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. وإذا أردنا أي تنمية ناجحة لمصلحة الأغلبية العظمى من السكان، وخصوصًا الفقراء منهم، يجب أن يتم ذلك بإرادة سياسية، وتصميم لا يلين على تمكين المجتمعات المحلية من المشاركة في الجهود وثمار عملية التنمية، وسماع رأيهم في أنواع التكنولوجيا التي يحتاجون إليها أو يفضلونها.

تراث



# القصص البحرية

## بين الواقع والخيال

لطف الله قاري

ينبع الصناعية - السعودية

حديثنا في هذه الأسطر هو عن الكتب العلمية التي ألّفها علماء الحضارة العربية الإسلامية: ما النظرة المناسبة نحوها؟

بعض المعاصرين نظر إليها نظرة تعظيم، إلى درجة أننا صرنا نقرأ أن العرب هم الذين اخترعوا الحاسوب (الكمبيوتر)(١)، والعرب هم الذين عرفوا الإيدز قبل أن يكون له وجود على الأرض (٢)، والعرب هم الذين كانوا يسافرون دون غيرهم من الأمم بين بريطانيا والمكسيك في فترة ما قبل الفينيقيين (٣) (أي: قبل خمسة آلاف سنة من الآن). وهذا الذي أسرده لكم ليس من قبيل الطرائف الفكاهية. وإنما هذا الذي كتب في مجلات جادة شهرية، أو في كتب صادرة عن جهات حكومية، أي: يفترض أنها روجعت قبل صدورها.

وبعض المعاصرين نشر بعض الكتب العلمية، ولكنه اعتدى عليها بالحذف والشطب؛ لأن التحقيق العلمي - حسب معلوماته القاصرة - يعني شطب كل ما لا يروق له، من الأشياء التي يخيل له أنها غير علمية.

ولكن المنهج العلمي المتعارف عليه بين مراكز البحوث الجادة والعلماء المحققين هو أن ننشر الكتاب كما هو، سواء اتفقنا مع المؤلف على محتويات الكتاب ومعلوماته أو لم نتفق، ويأتي بعد ذلك من الدارسين من يحلل تلك المحتويات، ويعلق عليها.

وماذا لو جاءت في الكتاب غرائب لا يصدقها عقل؟ كيف نفسرها؟ وهل نبني تاريخنا العلمي على الأوهام والخرافات؟ نحاول الإجابة عن هذا السؤال من خلال أمثلة من القصص البحرية، فنستعرض هنا بعض ما ورد في الكتب المخصصة لذلك الفن من حكايات تبدو كأنها خيال محض، ولكن اتضح للباحثين في عصرنا أن أصلها حقائق واقعية.

يعد القصص البحري عند مؤرخي الجغرافيا والملاحة مصدرًا مهمًا من مصادر تاريخ الملاحة العربية، وخصوصًا في القرنين الثالث والرابع للهجرة (٩-١٠م)، وقد نشأ هذا اللون من التأليف في الموانئ العربية لذلك العهد، مثل سيراف والبصرة، حين كانت هذه المدن مراكز مهمة لتلاقي البحارة والتجار من مختلف الأجناس. وراجت في ذلك الوقت أخبار الملاحة والقصص التي تداولها البحارة وربابين السفن ومالكوها، وتعكس مثل هذه القصص مغامرات الملاحين في البحار النائية، كما تصف أهوال الملاحة في البحر الشرقي الكبير، والأخطار التي يتعرض لها البحارة. كما تضمنت هذه القصص كثيرًا من الأساطير أو الأعمال البطولية التي يلذّ للعامة والخاصة سماعها على الدوام.

ومن هذه القصص «أخبار الهند والصين» للسيرافي، و«أسفار السندباد» التي كانت تأليفًا مستقلاً، أدخل - فيما بعد - ضمن قصص ألف ليلة وليلة، وكتاب «عجائب الهند» من تأليف بُزُرگ (Buzurg) ابن شهريار الرامهرمزي(٤). وكانت مثار انتقاد وعدم تصديق عند بعضهم قديمًا وحديثًا. ففي القديم انتقدها الجاحظ قائلاً: «لا يعدون القول في باب الفعل، وكلما كان الخبر أغرب كانوا أشد به عجبًا، مع عبارات غثة، ومخارج سمجة» (٥).

فإذا كانت هذه الكتب مملوء بالأساطير والأوهام فكيف تعد مصدرًا مهمًا من مصادر تاريخ الملاحة العربية؟

**بعض الحوادث، أو الوقائع التي تذكرها الكتب صعبة التصديق إلى حد يبعثنا على الحذر في الحكم عليها**

هل نكتب تاريخ الملاحة بناء على أساطير وأوهام؟ للإجابة عن هذه الأسئلة نستعرض معًا تعريف الأسطورة، ثم نقارن مقتطفات من كتاب «عجائب الهند» بما ثبت لدينا من معلومات في العصر الحديث، فنستنتج الحقيقة من بين تلك القصص التي تبدو محض خيال للقارئ العادي.

## الأسطورة أصلها واقع حقيقي

كلمة «أسطورة» تعني في الاستعمال الدارج، وعلى أقلام غير المتخصصين أنها كل شيء يناقض الواقع، أو بتعبير آخر «ما لا وجود له في الواقع»، ولكن كثيرًا من المفكرين المهتمين بالتراث الشعبي (الفولكلور) وعلم الأساطير (الميثولوجيا) يرون أن هذه الأساطير عبارة عن مجموعة من الرموز والمجازات لمعان وقوى ومثل. فهناك اتجاه عند هؤلاء يحتكم إلى العقل في تفسير الأساطير. فمثلاً الآلهة عند الوثنيين هم أصلاً بشر عظماء، نسبت إليهم بعض الخوارق. ثم مع مرور الزمن أُلّهوا. فالأساطير إذن لها واقع قديم فيما قبل التاريخ، فهي تمثل الذاكرة الإنسانية عندما تستدعي مرحلة، بلغ من بعدها في الزمان، أن اكتنفها الغموض من كل جانب.

وفي هذا الاتجاه نرى أشكالاً متعددة من تفسير الأسطورة وربطها بالواقع. فمن قائل: إن الأسطورة نشأت من تشخيص العناصر الكونية، بافتراض أن السحب - مثلاً - كائنات حية؛ لأنها تتحرك، وتضيء، وتولّد أصواتًا، إلى قائل: إنها تفسير تمثيلي لطقوس دينية، وقصص توجيهية لتقوية العقيدة في النفوس.

وبذلك ننظر إلى الواقع القديم، الذي سبق ظهور الروايات الأسطورية في القصص البحرية. فنجد أنها كلها تقريبًا تستند إلى واقع معروف لدينا اليوم. فنصوص كتاب «عجائب الهند» (الذي تم تأليفه في القرن الرابع الهجري، أو العاشر الميلادي) عندما نفسرها - على ضوء معرفتنا الحديثة اليوم - نجد أن أصلها كلها - تقريبًا - حقائق، تحولت مع مرور الزمن، وسهو الرواة إلى أساطير.

## كتب القصص البحرية لم يُقصد بها الخيال

إلا أن مؤلف كتاب «عجائب الهند» - كغيره من المؤلفين في كتب الجغرافيا والرحلات - قصد أن يكون كتابه علميًا، أو تقارير بوقائع، ليس من الأدب الخيالي، ولم يرد صاحبه أن يعد من الأدب الخيالي. وإذا كانت هذه المقالة تحاول توضيح العلاقة بين الواقع والأساطير الواردة

**يعد القصص البحري عند مؤرخي الجغرافيا والملاحة مصدرًا مهمًا من مصادر تاريخ الملاحة العربية**

السمكة المتسلقة





شجرة الواق واق

بذلك الكتاب، فذلك مجهود إضافي خارج عن إرادة مؤلفه، فهو آخر من يتصور أن كتابه «العلمي» مملوء بكل تلك الخرافات والأساطير.

نصوص الكتاب نفسها تؤكد تحري المؤلف الحقيقة، وإنكاره الأسطورة. فهو أولاً: ينسب كل رواية إلى قائلها من البحارة المعروفين في عهده، وكثيرًا ما يحدد تاريخ وقوع الحادثة. وثانيًا: تدل تعليقاته على عدم تصديقه بعض الحكايات التي لا يقبلها العقل، فهو يقول في تعليق له: «وما أدري ما أقول في هذه الحكاية، وهو عندي يستحيل». ويعلق على حكاية أخرى قائلاً: «وكنت أسمع بأمر السلاحف فأستطرفه، وأنكره، لما يُحكى مما لا يقبله العقل». ونجد في كتاب «عجائب الهند» بعض القصص المشابهة لمثيلات لها في «أسفار السندباد» التي هي ضمن قصص ألف ليلة وليلة، إلا أن قصص السندباد أضافت إلى القصة الأصلية كثيرًا من الخيال.

وإذا أفردنا الأساطير في القصص البحرية جانبًا نجد أن الكتب المؤلفة في هذا المجال ليست كلها أساطير، أو قصصًا غريبة. بل نستفيد منها في الدرجة الأولى الخبرة، والتجربة العربية في الملاحة في بحار الجنوب. ففيها وصف ممتع للطرق البحرية. وفيها مشاهدات جديرة بالعناية والدرس، عن ظواهر بحرية، أو أحيائية (بيولوجية) لم يسبق العربَ أحد إلى تدوينها.

فقد أشبع علماء الصينيات كتاب «أخبار الهند والصين» للسيرافي درساً، فوجدوا تطابقًا في معلوماته للحقائق التي عرفت عن الصين في ذلك العهد. وثبت - أيضًا - لدى الباحثين أن قصص السندباد لا يصح عدّها محض أسطورة خرافية تدور حوادثها خارج حدود الزمان والمكان. إذ استبان من بحوثهم أن تلك القصص انبعثت في الوسط نفسه الذي نشأت فيه قصص «أخبار الهند والصين»، وفي المواضع نفسها؛ أي: سيراف والبصرة وبغداد، بل وفي العصر نفسه تقريبًا؛ أي: نحو سنة ٢٩٠هـ أو عام ٩٠٠م.

**المنهج المتعارف عليه بين مراكز البحوث والعلماء المحققين هو نشر الكتاب كما هو**

### حسين فوزي والقصص البحرية

أما كتاب «عجائب الهند» للرامهرمزي فقد قام العالم حسين فوزي بدراسة محتوياته، ومقارنة رواياته بما ثبت لديه من معارف ومشاهدات. فكان من ذلك كتابه القيم «حديث السندباد القديم» (٦). والفقرات الآتية من مقالتنا تستعرض مساهمة حسين فوزي في هذا المجال. ثم تقدم معلومات جديدة حول الموضوع، تصحح الأخطاء التي وقع فيها حسين فوزي؛ لأنه لم يكن قد ظهر في عصره ما استجد لدينا من معلومات. ونضيف أشياء لم يتطرق إليها؛ وذلك كله في مجال تفسير الأساطير الواردة بكتاب الرامهرمزي على ضوء المعلومات التي نعرفها في عصرنا الحالي.

يدافع حسين فوزي عن ورود بعض الخرافات في كتب القصص البحرية؛ وذلك بعد تحريف المشاهدة الحقيقية بتناقل الروايات. فيذكر (ص ٦٤-٦٦) بعض الأوهام والقصص التي تخيلها الناس في القرن العشرين عن الأحياء البحرية، ثم يقول: «هذه بعض تجاربنا في القرن العشرين؛ فماذا يكون حال البحريين في القرن العاشر وقبله، يسافرون في أغرب البحار على ظهر مراكب صغيرة، ويرون في كل جزيرة جديدًا، وفي كل بر عجبًا؟!».

ويذكر في موضع آخر تحريف الأقوال بتناقل


صاحب الفانوس


صاحب الفانوس ليلاً

الروايات، قائلاً: (ص ٦٦): «لم يكن الناس متجنين على حقائق زمنهم. وإن كان الإنسان بطبعه - في كل زمان ومكان - مولعًا بالإغراق في التهويل، ففي أغلب ما ورد على ألسنتهم، وبقي في كتبهم أساس من الواقع، تحول بكثرة النقل مع قصور في الفهم، أو بسبب عدم القدرة على التفسير، أو الرغبة في حسن السرد، إلى مجموعة من الأساطير، ومجال كتابي هو في النطاق، أو «الإقليم» القائم بين الواقع والأساطير.

وفي موضع آخر ينبه على خطورة الحكم على جميع الحكايات البحرية على أنها خرافات، فيقول (ص ٥٩): «والمفروض أن كتاب «عجائب الهند» وكتب القزويني، والتاجر سليمان، وغيرها تقرر وقائع، لا أن تجمع خرافات، ولكن بعض الحوادث، أو الوقائع التي تذكرها تلك الكتب صعبة التصديق إلى حد يبعثنا على الحذر في الحكم عليها».

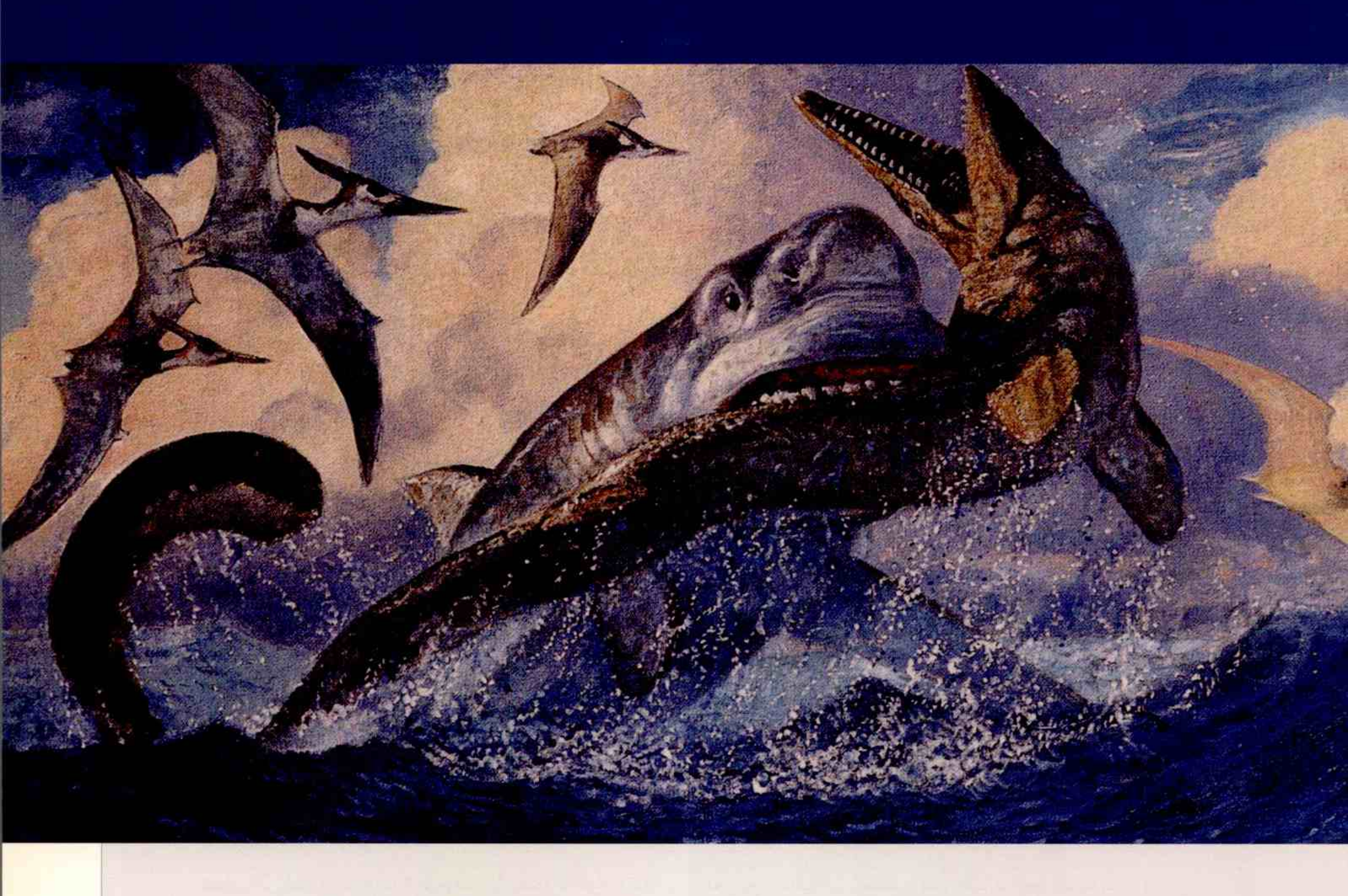
وهذا الحذر يجب أن يكون ذا حدين: فمن أسهل الأمور علينا أن نهمل ما لا نصدقه، ونطرحه جانبًا على أنه خرافة، أو مغالاة، كما أن من أسهل الأمور على العوام - حينما يسمعون بتلك الوقائع - أن يصدقوها، وأن يعملوا على إذاعتها.

إلا أننا إذا اتجهنا هذا الاتجاه أخطأنا فهم كثير مما توارد على ألسنة الرحّالين، والجغرافيين، ومؤلفي كتب العجائب من العرب، وغيرهم.. فلا أقل من محاولة فهم الواقعة، أو الخبر المعروض أمامنا عنها. وإلا فلنُلقِ بكل تلك المؤلفات العربية في النار، وهو ما يكاد يفعله المعاصرون من أهل الغيرة على الشرق، حين يقتصرون من الآداب العربية على الاهتمام ببعض الشعر والرسائل والنثر المسجع وغير المسجع، تاركين للمستشرقين مهمة نشر طائفة مهمة من مخطوطات المكتبة العربية وشرحها وتصحيحها، وهي تحوي ما لا يقل عن ثلاثة أرباع تراث العالم من الحضارة الإسلامية.

وأصدق الحذر وأجداه في رأينا أن نفرض أولاً الصدق فيمن وضعوا كتب المسالك والممالك، والعجائب والرحلات، وجمعوها وألّفوها منذ القرن (الثالث إلى الثامن الهجري) القرن التاسع حتى الرابع عشر الميلادي؛ وأن نضع أنفسنا موضع هؤلاء الكتاب، الذين لم يصل إلى علمهم ما تناهى إلينا من معرفة بالظواهر الكونية، والمخلوقات التي تعيش في الهواء، أو فوق سطح الأرض، أو في طبقات الماء.

ثم يحدد موقفه من الحكايات البحرية قائلاً (ص٨٣): «.. النهج المستقيم الذي حددته: وهو أن أبدأ بعدم تكذيب من أشاعوا الأسطورة. ثم أبحث فيما خبرت من أمر البحر بنفسي، وفيما قرأت من أخبار البحار، عما يمكن أن يكشف لي عن أصل الأسطورة العجيبة؛ أي: أنني أقطع الطريق عائدًا من الأسطورة إلى أساسها في الواقع».

أشبع حسين فوزي كتاب بزرك بحثاً. وحاول تفسير



كل خبر ورد فيه تفسيرًا علميًا حسب ما توصل إليه العلم الحديث حتى تاريخ تأليف كتابه (الذي صدر عام ١٩٤٣م).
فكانت تعليقاته على أخبار بزرك على ثلاث حالات:
١- فهناك أخبار فسرها تفسيرًا علميًا صحيحًا.
٢- وهناك أخبار اجتهد في تفسيرها، ولكن لم ينجح.

**كلمة «أسطورة» تعني في الاستعمال الدارج، أنها كل شيء يناقض الواقع**

٣- وهناك أخبار لم يتطرق إلى تفسيرها.

## قصة النار البحرية

يلاحظ قارئ كتاب حسين فوزي أنه ينتقد الأسلوب البسيط لكتاب «عجائب الهند» حينًا، ويمدحه حينًا آخر. فهو يقول: إن الأسلوب ركيك، خال من البلاغة، ومملوء بالمبالغات، ولا يخضع لتبويب أو منهج، فهو مثال قائم بنفسه لكتب العجائب، إلا أنه يعود فيقول عنه:

• «ولكن المطالع المنصف، المتحرر من قيود البلاغة، لا يتمالك أن يحس بالنفحة البحرية تهب على صفحاته، والقوة والحركة تسريان في أعطافه. لقد طالعت أكثر ما جاء بالأدب العربي الرسمي عن البحار، فلم أجد فيه

ما يداني - ولو من بعد بعيد - ما جاء بكتاب «عجائب الهند» صدقًا في الوصف، وقوة على الإيحاء بالجو البحري. وليس هذا أثرًا من آثار التقعر البديعي والبياني؛ وإنما هو نتيجة إيضاح المتكلم إيضاحًا مباشرًا عن تجارب شخصية. فهي بلاغة كثيرة الشبه ببلاغة المشاهدة في يوميات الرحالين والرواد في كل اللغات، بلاغة ترتفع إلى نوع من السهولة والصفاء، يجعل من عريها جمالاً، ومن عطلها حليًا نادرًا، لا تراه العيون، وإنما تشعر به النفوس».

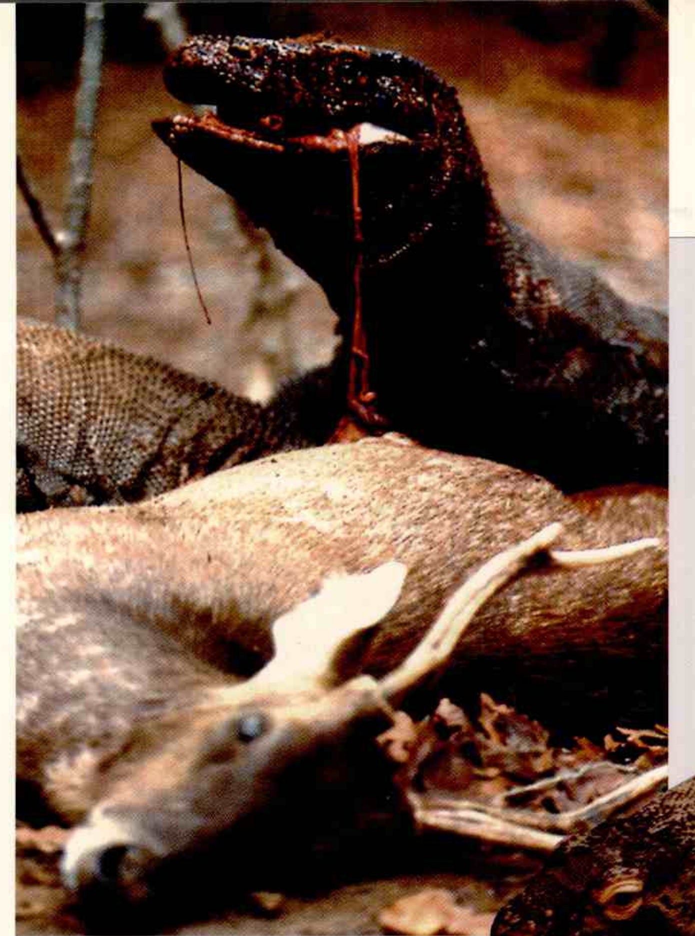
• اسمع لبزرك- وهو يصف البحر العجاج المتلاطم الأمواج: «.. سافر رجل في مركب له عظيم، ومعه فيه خلق من أخلاط التجار من كل بلد، وهم يسيرون في بحر ملايو، وقد قربوا من أطراف بحر صين، وأبصروا بعض جبالها. فلم يشعروا إلا وريح قد خرجت عليهم من الجهة التي يقصدونها، فلم يسعهم إلا الانصراف معها حيث توجهت، وركبهم من هول البحر ما لا طاقة لهم به، ومرّت بهم الريح إلى سمت سهيل. ومن اضطر في ذلك البحر إلى أن يصير سهيل على قمة رأسه فقد دخل بحرًا لا رجعة له فيه. وتنكس في لجة هابطة إلى الجنوب، مصوبة إلى تلك الجهة. فكلما مرت المراكب خلا ما وراءها من جهتنا، وهبط ما بين يديها من تلك الجهة، فلا يستطيع الرجوع بريح عاصف ولا غيره، وهوت في لجج البحار المحيطة..

• فلما رأوا أمرهم يؤدي إلى الدخول تحت سهيل، ودخل عليهم الليل وأظلم وادلهم، وحال بخار البحر ودجنته ونداه وزخره بينهم وبين النجوة فلم يروا ما يهتدون به، وهول البحر وأمواج ترفعهم إلى السحاب، وتخفضهم إلى التراب، وهم يجرون في قار وضباب طول ليلهم. وأصبح عليهم الصباح فلم يشعروا به لشدة ظلمة ما هم فيه، واتصال قار البحر مع ضباب الجو، وغلظ الريح وكدورته.

• فلما طال عليهم الليل وهم يجرون في قبضة الهَلَكة، وقد حكمت عليهم الريح العاصفة، والبحار الزاخرة، والأمواج الهائلة، ومركبهم يئن ويتقعقع ويتتعتع، تواديوا وصلى كل واحد منهم إلى جهة على قدر معبوده؛ لأنهم كانوا شيعًا من أهل الصين، والهند، والعجم، والجزائر، واستسلموا للموت، وجروا كذلك يومين وليلتين، لا يفرقون فيها بين الليل والنهار.

• فلما كانت الليلة الثالثة وانتصف الليل رأوا بين أيديهم نارًا عظيمة أضاءت الأفق. فخافوا خوفًا شديدًا، وفزعوا إلى ربانهم وقالوا: يا ربان، أما ترى هذه النار الهائلة التي ملأت الآفاق ونحن نجري إلى سمتها وقد أحاطت بالأفق؟ والغرق أحب إلينا من الحريق! فبحق معبودك إلا قلبت بنا المركب في هذه اللجة والظلمة، لا يرى أحد منا الآخر، ولا يدري ما كانت منيته، ولا يتجرع لوعة صاحبه. وأنت في حل وبل مما يجري علينا. فقد متنا في هذه الليالي ألف ألف ميتة، فميتة واحدة أروح. فقال لهم: اعلموا أنه قد يجري على المسافرين والتجار أهوال، هذا أسهلها وأرحمها. ونحن معشر الربابنة علينا العهود والمواثيق أن لا نعرض سفينة إلى العطب وهي باقية لم يجر عليها قدر. ونحن معشر ربابنة السفن لا نطلعها إلا وآجالنا وأعمارنا معنا فيها. فنعيش بسلامتها ونموت بعطبها. فاصبروا واستسلموا لملك الريح والبحر الذي يصرّفهما كيف يشاء. قال: فلما أيسوا من الربان ضجوا بالبكاء والعويل، وندب كل منهم شجوه. وصار الربان إذا أمر مناديه أن ينادي رجاله بجذب حبل أو إرخائه

**مؤلف كتاب «عجائب الهند» قصد أن يكون كتابه علميًا، أو تقارير بوقائع وليس من الأدب الخيالي**



تنين كومودو

ليصلح شأن المركب فلا تسمع الرجال ذلك من دوي البحر وحس تلاطم الأمواج وهدير الرياح في القلوع والشراع والحبال وضجيج الخلائق، فأشرف المركب على التلف بعطلة الرجال وعدة المركب، من غير حادث عليهم من بحر أو ريح.

• قال: وكان في المركب شيخ مسلم من أهل قادس من الأندلس، قد طلع إلى المركب في ازدحام الناس عند طلوعهم ليلة السفر، ولم يشعر به ربان المركب، وكان في زاوية من المركب مهجورة، وهو مختف فيها، خوفًا أن يعلم به فيؤنب ويوبخ. فلما رأى القوم وما نزل بالناس وما هم عليه من الأخطار بأنفسهم ومركبهم، وأنهم قد صاروا عونًا مع أهوال البحر على أنفسهم مسرعين لهلاكهم، رأى أن يخرج إليهم. وقال لهم ما شأنكم؟ ..

• فتعجب الربان (من وجوده بينهم واختبائه طوال المدة)، واشتغل الناس بسماع حديثه عما كانوا فيه من الضجيج. وأصلح الرجال أدوات المركب، ومشى فيهم مناد بتدبير القلاع، واهتدى المركب. فقال الشيخ: يا ربان، ما لهؤلاء القوم كانوا يبكون ويعوّلون؟ قال له: أما ترى ما نزل بهم من هول البحار والرياح والظلمة؟ وأشد من ذلك ما نحن مدفوعون إليه من هذه النار التي ملأت الأفق. والله لقد ركبت هذا البحر وأنا دون البلوغ ومعي أبي، وكان قد أذهب عمره في ركوبه. وها أنا اليوم قد رميت ثمانين سنة ورائي، فما سمعت بمن سلك هذا المكان ولا خبر عنه. فقال: يا ربان، لا بأس عليك ولا خوف، نجوتم بقدرة الله، هذه جزيرة يحيط بها ويكتنفها جبال يكسر عليها الأمواج بالبحار المحيطة بالأرض، فتنظر في الليل ناراً هائلة مرجفة يخافها الجاهل، فإذا طلعت الشمس ذهب ذلك المرأى، وعاد ماء».

## تفسير قصة النار البحرية

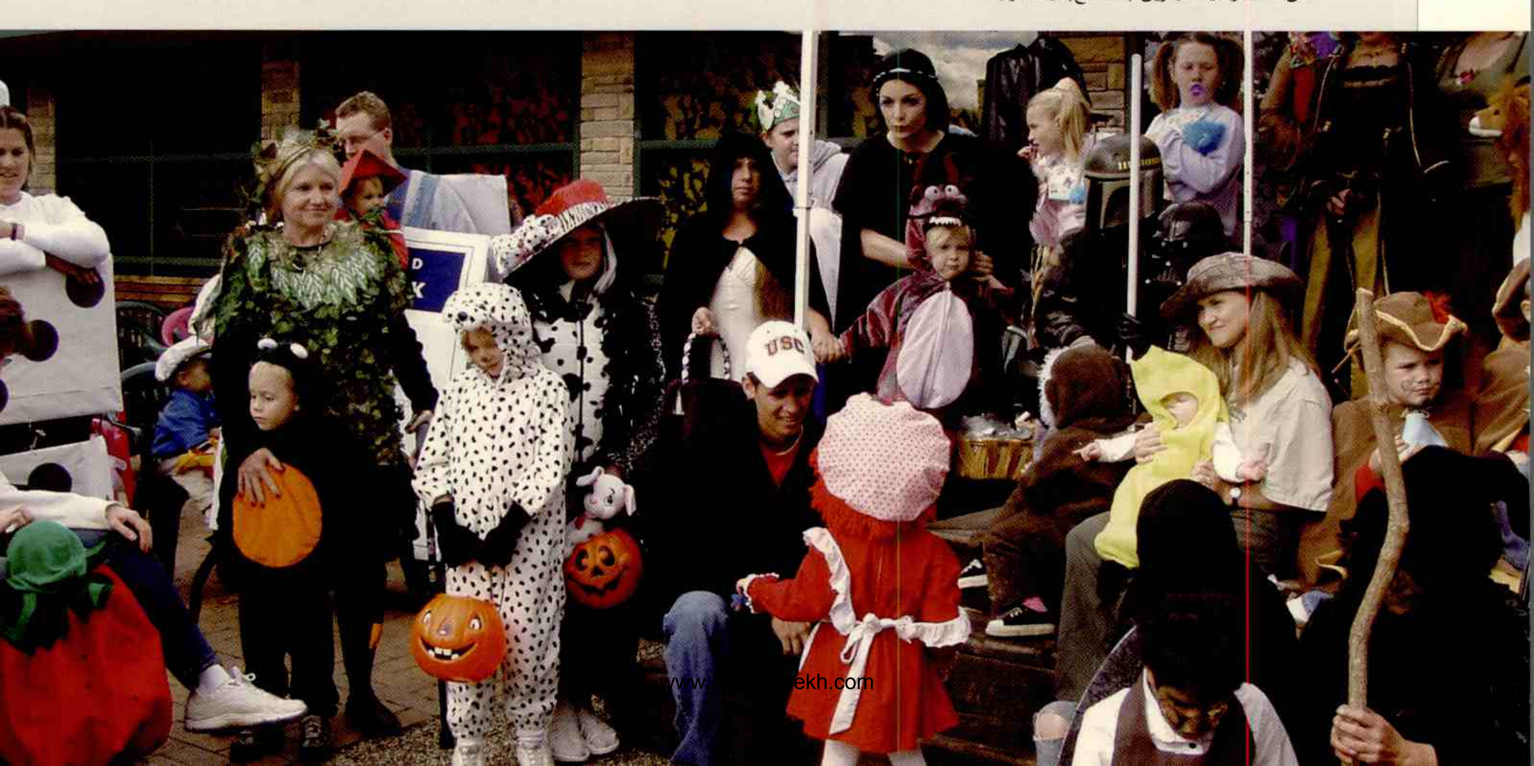
ذكر حسين فوزي قصة أخرى مختلفة بعد قصة النار البحرية، ثم فسرهما معاً تفسيرًا واحدًا، قائلاً: (ص٥٨): «ومع أن النار التي ظهرت في البحر وملأت الأفق كانت موضع عجب ورعب ركاب سفينة أبي الزهر البرختي كما جاء في الفصل السابق، فإن بزرك بن شهريار، بعد صفحات قلائل من إيراده تلك الحكاية يقول: «ومن عجيب أمر بحر فارس ما يراه الناس فيه بالليل، فإن الأمواج إذا

اضطربت وتكسر بعضها على بعض انقدحت منها النار، فيخيل إلى راكب البحر أنه يسير في بحر من النار».

ثم يفسر حسين فوزي قصة النار البحرية قائلاً (ص ٦٢): «وحكاية النار التي يراها الناس ليلاً في بحر فارس حتى ليخيل للراكب أنه يسير في بحر من النار، والتي كانت موضع فزع ركاب سفينة أبي الزهر البرختي حينما انحدرت بهم السفينة إلى ما تحت سهيل، إن هي إلا ظاهرة فوسفورية يعرفها سكان السواحل، وعلى الأخص سواحل البحار الحارة، كالبحر الأحمر. ولو أنهم لا يتاح لهم أن يروها في أروعها كما رآها البحريون الذين يتحدث عنهم كتاب «عجائب الهند»، وكما رأيتها بنفسي من الساعة العاشرة ليلاً إلى ما بعد منتصف ١٤ ديسمبر عام ١٩٣٣م، وسفينتي تمخر عباب المحيط الهندي على بعد ساعات من بومباي. لقد كان البحر حولنا مضيئًا إلى امتداد البصر، وكان الضوء يشتد حيث تتكسر الأمواج، سواء حول جبهة السفينة المحدودبة، أو حول حبل مقياس المسافة (الباركتيه)(٧)، (الذي) تسحبه السفينة وراءها. ولو أن في أفقنا /في/ تلك اللحظة جزيرة مرجانية من النوع الحلقي لاستطعنا أن نرى ذات المنظر الذي أفزع ركاب سفينة أبي الزهر الناخداه عندما تنكست بهم سفينتهم في لجة هابطة إلى ما تحت سهيل. ولقد واصلت سفينتي اختراق ذلك البحر الفوسفوري أكثر من ساعتين، بسرعة تسع عقد؛ أي: أنها قطعت فيه قرابة عشرين ميلاً. وكان الضوء قويًا، لدرجة أني حاولت تصويره بآلة السينما ولو لم أنجح. ومرجع الظاهرة آلاف الملايين من المخلوقات الدقيقة العالقة بماء البحر كأنها طمي الأنهار، وهي مضيئة كالحباحب في الليل الحالك».

هنا نختلف مع حسين فوزي حول ظاهرة النار البحرية. فالظاهرة الفسفورية التي يصفها محصورة على سطح الماء، وعلى السواحل. أما التي وردت في قصة النار البحرية فكانت «نارًا عظيمة أضاءت الأفق»، أي مرتفعة كثيرًا فوق سطح البحر، وفي بحار بعيدة جنوب المحيط الهندي. وتفسيرها الذي نقدمه في هذه المقالة هو الشفق القطبي المنعكس في منتصف الليل على السحب المنخفضة،

من مظاهر عيد الهلوين (الفصح) في الغرب



كما نرى في الصور المرافقة، وهو التفسير المطابق لما قاله الشيخ الأندلسي في آخر القصة.

فالشفق: «هو الضوء الذي يشاهد بعد الغروب نتيجة لانعكاس ضوء الشمس وهي تحت الأفق على السحب، أو ذرات الغبار المنتشرة في الجو. وقد تختلف فترة الشفق مع المكان، فبينما هي قصيرة جدًا عند خط الاستواء، إذا بها تمتد بضع ساعات عند القطبين» (٨). لأن الشفق يمتد إلى منتصف الليل في البحار القريبة من القطب الجنوبي، فهو ينعكس على قطع السحب الأرضية (أو الضباب) فتشاهد تلك القطع حمراء مضيئة.

وسبب اختلاف مدة الشفق هو اختلاف محيط الأرض باختلاف المكان، فمحيطها قرب خط الاستواء كبير، وبذلك تبتعد الشمس كثيرًا عن الأفق في هذا المكان خلال ساعة أو نحوها. أما عند القطبين فمحيط الأرض صغير، وبذلك تظل الشمس قريبة من الأفق لعدة ساعات، إلى منتصف الليل (٩).

وقد تردد تفسير النار البحرية بالإضاءة الفسفورية السطحية عند كثير من المؤلفين الذين اكتفوا بالنقل من حسين فوزي، أو النقل ممن نقلوا عنه.

## قصص فسّرها حسين فوزي تفسيرًا علميًا صحيحًا

ورد في حكايات كتاب «عجائب الهند» قول المؤلف: «وسمع التاجر سليمان أن بناحية البحر سمكًا يخرج حتى يصعد على النارجيل، فيشرب ما في النارجيل من الماء، ثم يعود إلى البحر». فعلّق حسين فوزي على هذا الخبر قائلاً: «الخبر على هذا الوضع يحتمل تفسيرين:

١- فهو إما يشير إلى السمكة الهندية المعروفة باسم «أناباس» Anabas scandens، وهذه تخرج إلى البر وتتسلق الأشجار في رطوبة الليل. وقد أجرى مدير أكواريوم (أي المتحف المائي) مدراس بالهند أمام عيني تجربة على واحدة من هذا السمك، فتسلقت قماشًا ممدودًا على عود، وقد تندى بالماء.

٢- أو أن الخبر يشير إلى السرطان المسمى «فيرجوس لاتوس» Virgus latus الذي يعيش على سواحل الجزر المرجانية. وهو من نوع «برنار الراهب»، ذلك السرطان الذي لا دَرق له. ويستعيض عنه بأن يسكن أصداف القواقع الميتة. والسرطان فيرجوس يسكن جوز الهند بعد أن يفرغ ما فيه من شراب، ويأكل منه ما يؤكل».

**إذا أفردنا الأساطير في القصص البحرية جانبًا نجد أن الكتب المؤلفة في هذا المجال ليست كلها أساطير**

وفي موضع آخر يذكر حسين فوزي أن مؤلف كتاب «عجائب الهند» سمع أن في البحر حيوانًا يشبه السرطان، فإذا خرج من البحر صار حجرًا. قال: «ويتخذ منه كحل لبعض علل العين. ورد هذا الكلام عند سليمان التاجر، وعند بزرك، وعند أغلب من ألّفوا في الجغرافيا وعلم العقاقير». وعلّق على هذا الخبر قائلاً: «لا يحتمل إلا تفسيرًا واحدًا: وهو أن السرطان وغيره من القشريات تعيش في كساء من مادة ظلفية متحجرة. فلا يسعها أن تنمو إلا أن تطرح عنها ذلك الكساء، ثم تبدأ بعد نموها في تكوين كساء آخر. وإن نظرة على كساء السرطان حين يخرج منه حيوانه تجعل من لا يعرف خبره يظن أول وهلة أنه أمام سرطان ميت. والحقيقة أنه أمام كساء فارغ، نقبه الحيوان وخرج يختفي في جحر، حتى يتكون له كساء متحجر جديد. وأرجح أن البحريين والرحالين اعتادوا أن يروا عن بعد الشواطئ المقفرة وعليها مجموعة من تلك الأكسية الفارغة،

ثم لاحظوا السرطانات تجري إليها من البحر، ولكنهم لم يستطيعوا أن يلاحظوا اختفاء تلك السرطانات الحية. فلما وصلوا إلى الشاطئ وجدوا الأكسية الفارغة المتحجرة، فتصوروا أن السرطانات - التي رأوها عن بعد تخرج من البحر إلى البر - هي التي تحولت إلى حجارة».

وفي موضع ثالث (ص ٦٤) يذكر حسين فوزي قصة سمكة نطحت سفينة بحذاء زيلع (ميناء على خليج عدن من ناحية الصومال الشمالي حاليًا)، ثم تركت رأسها في الثقب الذي أحدثته، فسدّ الموضع حتى ليس فيه خلل. وكان تفسيره هو أن السمكة من نوع ذات السيف المسماة إسبادون. «فقد رأيت بذلك المتحف (متحف برلين الأوقيانوغرافي) عام ١٩٣٠م قطعة من جانب مركب خشبي، وبها أثر طعنة سمكة الإسبادون، سيف نافذ في سمك الخشب، مستقر فيه».

## أسطورة التنين

وفي مكان آخر من كتابه يتحدث عن أسطورة التنين قائلاً (ص ٧٦): «جاء بكتاب «عجائب الهند» أن في البحر حيّات عظيمة هائلة يقال لها التنين. إذا مرّ السحاب في كبد الشتاء على وجه الماء خرج التنين من الماء، ودخل فيه مطمئنًا إلى برودته، لما يجد فيه من حرارة الماء، إذ إن ماء البحر في الشتاء يسخن كالمرجل. وتهب الرياح على وجه الماء فترفع السحاب عن سطح البحر. ويستكن التنين في السحب التي تتراكم، وتسير من أفق إلى أفق. فإذا استفرغت ما فيها من الماء خفّت وصارت كالهباء، وتفرّقت وقطّعتها الريح. فلا يجد التنين ما يتحامل عليه، فيسقط إما في البحر وإما في البر. فإذا أراد الله بقوم شرًا أسقطه في أرضهم، فيبتلع جمالهم وخيلهم وأبقارهم ومواشيهم.. ويزعم ابن شهريار أن بعض التجار والربابنة أبصروه غير مرة يعبر على رؤوسهم ممدودًا في السحب، كلما تراخت هبط إلى أسفلها ورسب. وربما تدلى طرف ذنبه في الهواء. فإذا أحس ببرد الهواء زجّ بنفسه وتحامل في السحاب وغاب عن الأنظار».

وبعد أن ذكر حسين فوزي كثيرًا من الحكايات الشعبية التي وردت في كتب التراث عن التنين قال (ص ٨٢): «إنما أنا أتابع بحثي في أسطورة التنين العربية ناهجًا النهج المستقيم الذي حددته: وهو أن أبدأ بعدم تكذيب من أشاعوا الأسطورة. ثم أبحث فيما خبرت عن أمر البحر بنفسي، وفيما قرأت من أخبار البحار، عمّا يمكن أن يكشف لي عن أصل الأسطورة العجيبة. أي أنني أقطع الطريق عائدًا من الأسطورة إلى أساسها في الواقع».

وبعد أن أفاض في شرح النافورة البحرية وأنها دوامة فيها سرعة رياح وقوة شفط كبيرتين، قال (ص ٨٦): «وطابع النافورة الأساسي هو فجائيتها، وعلامتها انخفاض


الدوامة


الشفق القطبي

فجائي في الضغط الجوي، من السرعة والشدة بحيث تولد حركة التخلخل الفجائي انفجارًا داخليًا في الأجسام. يفسّر هذا ما تحدثه النافورة في مرورها، فتتطاير ألواح النوافذ، وتنتزع أسقف المنازل. بل شوهدت القطع الخشبية .. تتطاير في الهواء.. وتقتلع النافورة الأشجار، بل وترفعها في حركتها الدورية لتلقي بها بعيدًا. وقد اقتلعت منازل صغيرة».

وقد نبّه حسين فوزي على أن بعض علماء السلف ذكر ظاهرة الدوامة البحرية، وأوضح أنها أصل أسطورة التنين، فنقل (ص ٨٧) عن المسعودي قوله: «وكذلك بحر الشام فالتنانين فيه كثيرة.. فقد اختلف الناس في التنين، فمنهم من رأى أنه ريح سوداء تكون في قاع البحر، فتحلق بالسحاب كالزوبعة إذا ثارت من الأرض.. فيتوهم الناس أنها حيات سود قد ظهرت من البحر، لسواد السحاب، وذهاب الضوء، وترادف الرياح. ومنهم من رأى أنها دواب تكون في قعر البحر، فتعظم وتؤذي دواب البحر».

## الحية التي أكلت الفيلة

كانت حكاية الحية التي تأكل الفيلة من القصص التي أنكرها حسين فوزي (ص ٦٣) في كتاب «عجائب الهند»، فهو يقول: «لنتأمل حكاية أبي الحسن بن عمر عن الحية التي رآها بعض النواخذة تعبر الخور إلى الشاطئ بسرعة البرق، وتقصوا خبر مسيرها فوجدوا في الناحية الأخرى من هذا الخور أجمة ومستنقع ماء وأكوامًا من أنياب الفيلة. وإذا بتلك الحية كانت تأكل الفيلة وتبقي أنيابها.. ولم نعرف حيات يسمح لها جرمها بابتلاع الفيلة».

لكن الواقع هو أن مؤلف كتاب «عجائب الهند» لم يقل بأن الحية ابتلعت الفيل وهو حي. فحيوان جزيرة كومودو الذي يعيش عدد محدود منه في الجزيرة المعروفة بهذا الاسم في تيمور الشرقية يبلغ طوله ٣ أمتار، يسبح ويجري بسرعة، وهو يسمى «الثعبان» (١٠) عندهم لطوله، وعالميًا يسمى تنين كومودو Komodo dragon. وهو مفترس، وأيضًا يقتات على الجيف أو أجسام الحيوانات الميتة. والقصة في كتاب «عجائب الهند» قالت: إن الحية كانت تأكل الفيلة وتبقي أنيابها، ولم يقل بأنها تبتلع الفيل كما هو. ثم إن بعض الحيات حتى في زماننا يبلغ طولها تسعة أمتار.

**مؤلف كتاب «عجائب الهند» سمع أن في البحر حيوانًا يشبه السرطان، فإذا خرج من البحر صار حجرًا**

## شجرة الواق واق

من القصص التي لم يفسّرها حسين فوزي النبات المكون من ثمار آدمية، وهو الذي كان ينبت ببلاد الواق الواق.

كثرت الاجتهادات حول موقع بلاد الواق واق، وعن سبب تسميتها بهذا الاسم، ففي مادة «واق واق» في الموسوعة الإسلامية نجد عددًا من الآراء التي لا تتفق في شيء حول الموقع وسبب التسمية. ويقول الباحثون الذين كتبوا تلك المادة: إن العلماء الأوربيين نسبوا هذه البلاد تقريباً إلى كل جزر المحيط الهندي الكبيرة وبعض جزر الهادي؛ أي: أن كل واحد منهم ينسبها إلى جزيرة (١١).

وكتب التراث أيضًا تختلف في وصف هذه الأسطورة وتفاصيلها، ومن ذلك ما ذكره كتاب «عجائب الهند» قائلاً: «وحدثني محمد بن بابشاد عمّن حدّثه ممن دخل الوقواق أن هناك شجرًا كباراً له ورق مدوّر، ومنه ما هو إلى الطول، يحمل حملاً على مثال القرع، إلا أنه أكبر منه. وصورته صورة الناس. تحرّكه الرياح، فيخرج منه صوت. وأن داخله منفوخ

مثل حمل العشر. فإذا قطع عن الشجرة خرج الريح من ساعته وصار مثل الجلد. وأن بعض البانانية (أي الملاحين) رأى الحمل، فتعشّق صورة من الصور (أي: تمثالاً من تلك التماثيل النباتية)، فقطعها ليحملها معه. فلما قطعها خرج الريح منها، فبقيت كالغراب الميت».

ونقل أندريه ميكيل وصف الشجرة من كتب التراث قائلاً: «والنباتات غريبة أيضًا، على الأقل نوع واحد منها. فهناك شجر كبار، له ورق مستدير، ومنه ما هو إلى الطول، يحمل حملاً على مثال القرع، إلا أنه أكبر منه. داخله منفوخ، إذا قطع عن الشجر صار مثل الجلد، وصورته صورة الناس، تحركه الريح فيخرج منه صوت» (١٢).

ما لم يقله هؤلاء الباحثون هو:

١- أن كلمة القرع بالتركية هي قواق، وهذا يفسر أسطورة النبات الشبيه بالإنسان، إذ قد تكون الكلمة استخدمت للقرع، ثم لشيء شبيه به، ثم تفرعت من ذلك أسطورة شجرة الواقواق.

٢- والقرع نفسه يستخدم لصنع مجسمات لرؤوس آدمية، كما يحصل في عيد الهَلَوين Halloween في الغرب.

فالقرع المنحوت كرأس آدمي يسمى عندهم حامل الفانوس وتعريفه هو: «فانوس أو مشكاة مصنوعة من قرعة أو ثمرة خضرة أخرى، وقد هيئت لتظهِر عند إضاءتها ملامح وجه آدمي. وهي ترمز إلى حارس ليلي كان يحرس ليلة عيد الهلوين» (١٣).

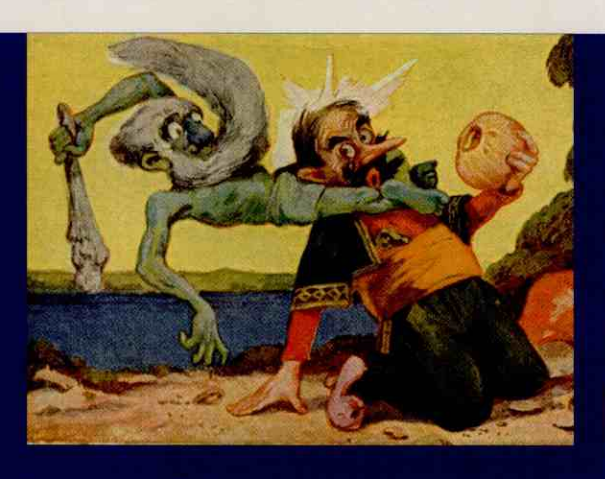
هنا ننبه على أننا لا نحاول إيجاد علاقة بين الهلوين والواقواق، وإنما نحاول توضيح أن القرع استعمل لتشبيهه برؤوس آدمية في الحالتين.

## كلمة ختامية

ما مرّ بنا في الأسطر السابقة هو منهج نموذجي استعمله الطبيب عالم البحار الأديب الفنان حسين فوزي في التعامل مع التراث العلمي، فلا هو بالذي قدّسه، وبالغ في تعظيمه إلى درجة نسبة الخوارق إليه، كما يفعل بعض المنتسبين إلى البحث العلمي في زماننا، ولا أنكره جملة وتفصيلاً وقام بشطب العبارات والنصوص التي لا تروق له، كما يفعل المعتدون على التراث إلى يومنا هذا، وإنما درس الظواهر التي وردت قصصها في التراث البحري،

أسفار السندباد من أشهر القصص البحرية





وقام بتفسيرها علميًا حسب المعلومات التي توافرت له قبل ٦٥ عامًا.

وقد تبيّن لنا أن مؤلفي كتب القصص البحرية لم يكونوا مجرد حكواتية ينقلون كل ما يسمعونه من دون تمحيص، فقد صرّح مؤلف كتاب «عجائب الهند» بعدم تصديقه بعض الروايات، كما مرّ بنا، وبذلك نحن أيضًا في عصرنا غير ملزمين بتصديق كل ما جاء في تلك الكتب كما هو، إلا أننا نستطيع أن نبحث في الأصل الواقعي للأسطورة، قبل أن تصبح أسطورة فيها كثير من الخيال.

وفي مقالتنا هذه قدّمنا أمثلة مما أصاب حسين فوزي في تفسيره علميًا، وأمثلة أخرى مما نختلف معه في تفسيره، بما توافر لعصرنا من معلومات جديدة، وذلك للغرض نفسه الذي توخاه، وهو خدمة التراث العلمي في مجال الملاحة البحرية. ولعل هذا يشكل حافزًا لآخرين إلى القيام بأعمال مشابهة، ويعطينا دافعًا إلى إخراج الكتب التراثية مصحوبة بشروح علمية، لئلا يقوم من يظنون في أنفسهم العلم بازدرائها وعدم عدّها كتبًا محترمة، ولئلا يصدق البسطاء ما جاء فيها من أخبار غير دقيقة.

## الهوامش والمراجع

١- وهبة، محمد علي: «النشأة الأولى للحاسوب في الحضارة الإسلامية»، مجلة الخفجي، السنة ٢٥ العدد ٦، رجب ١٤١٦هـ ديسمبر ١٩٩٥م. وكتب محمد عبدالجواد محمد علي في مجلة «آفاق الثقافة والتراث» العدد ٣٧ قائلاً: إن الحاسوب اكتشاف عربي وإسلامي، وإن هذا ما تكشف عن عدة أبحاث أجراها علماء مصريون في علم اللغة، وإن الاكتشاف تحقق على يد الباحثة المصرية الدكتورة فاطمة محجوب.. إلخ. والواقع أن فاطمة محجوب قرأت عنوان بحث صادر عام ١٩٥١م لمؤرخ الفلك العربي إدوارد كندي، والعنوان هو A Fifteenth Century Lunar Eclipse Computer ، ولكن طوال الخمسين عامًا التي مرت لم يكلف أحدهم نفسه – ابتداء من «المكتشفة» فاطمة محجوب – بقراءة بحث كندي والاطلاع على محتواه ومضمونه. وإنما اكتفت بقراءة العنوان فقط لتخرج علينا بهذا «الاكتشاف» المسلي. واكتفى الآخرون بالنقل عنها.

٢- حمودي، هادي حسن: مقدمة تحقيق كتاب الماء، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، عُمان، سنة ١٤١٦هـ عام ١٩٩٦م. وقد بيّن الباحثون أن هذا الكتاب مزيّف.

٣- الكرملي، الأب أنستاس: «عرف العرب أمريكا قبل أن يعرفها أبناء الغرب»، مجلة المقتطف، العدد ١٠٦، فبراير عام ١٩٤٥م، ص ١٥٥-١٦٠.

٤- قدم ابن فضل الله العمري في كتابه «مسالك الأبصار» اقتباسات مطولة من نسخة أخرى لهذا الكتاب غير المطبوعة، ولكنه ذكر له عنوانًا واسم مؤلف مختلفين. فعنوانه عند العمري هو «الصحيح من أخبار البحار وعجائبها» لأبي عمران موسى بن رباح الأوسي. وطبع الكتاب بهذا العنوان واسم المؤلف، نشر دار اقرأ ببيروت، عام ٢٠٠٦م.

٥- الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، نشر مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة، ط٢، عام ١٩٦٥-١٩٦٩م، ج٦ ص-١٦.

٦- نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٤٣م، ثم طبع مصورًا من دون ترخيص ببيروت عام ١٩٧٧م.

٧- Bark tail

٨- إدوار غالب: «الموسوعة في علوم الطبيعة»، التحرير الثاني، نشر دار المشرق ببيروت، عام ١٩٨٨م، ج٢ ص ٨٨٧.

٩- ظاهرة الشفق القطبي تختلف عن ظاهرة الفجر القطبي aurora or polar lights. فتلك حزم ضوئية تشبه الأقواس الكهربية، وتنشأ عن تصادم إلكترونات وبروتونات سريعة الحركة مع ذرات في الطبقة الرقيقة العليا من الغلاف الجوي عند القطبين، وهذا الأمر يؤدي إلى لمعان تلك الذرات. (انظر مادة aurora في الموسوعة البريطانية).

١٠- يسمى ألر Ular ، أي: الثعبان بلغة الملايو، وهي لغة أهل تلك البلاد.

١١- الموسوعة الإسلامية Encyclopaedia of Islam EI٢ التحرير الثاني (ج١١ عام ٢٠٠٠م) مادة الواق الواق.

١٢- ميكيل، أندريه: جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن ١١م، تعريب إبراهيم خوري، نشر وزارة الثقافة بدمشق. ج٢، القسم-٢، ص-٢٩٥. وهو يقول في الهامش: موضوع أصله صيني. انظر فران في الموسوعة الإسلامية (يقصد الطبعة القديمة أو التحرير الأول) ج٤ ص ١١١٦.

١٣- معجم المورد والموسوعة البريطانية، مادة Jack-o-lantern.




# تقنية الأفلاج

## في التراث العربي الإسلامي

عماد محمد ذياب الحفيظ

أبوظبي - الإمارات



إن إنسان الجزيرة العربية بشكل خاص، وإنسان منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقية بشكل عام، منذ قديم الزمان، بعد أن انتقل من السكن في الكهوف إلى تأسيس القرى الزراعية، كان يركز في أهم مقومات هذه القرى، وهي: المياه؛ لأهميتها، ولتأمين الغذاء من خلال تأمين الزراعة، لاستمرار حياة هذه التجمعات في مساكنها القروية. ولذلك أصبح جزء من ذاكرة أجيال هذه المجتمعات مصادر المياه، ومدى صلاحيتها للشرب (من حيث اللون والطعم والرائحة)، والزراعة، وغيرها من الاستخدامات في هذه القرى، ومع تعاقب الأجيال أصبحت لديهم ثقافة من أجل البقاء، هي ثقافة المياه على الرغم من بساطة مفهومها لديهم في ذلك الوقت، إلا أن هذه الثقافة كانت متوارثة مشافهة بين الأجيال، ولذلك من إفرازات هذه الثقافة مجموعة متطلبات لتلبية الاحتياجات اليومية للمجتمع القروي، تتناسب مع نمو هذه المجتمعات واتساعها، لذلك نجد أنهم أوجدوا مجموعة من الأساسيات التي يجب أخذها في الحسبان عند تأسيس كل قرية أو بلدة وهي:

- توفر المياه العذبة، أو الصالحة للاستخدام البشري على اختلاف احتياجاتهم الضرورية.
- سعة المكان، وامتداداته بما يتناسب والنمو مع زيادة حجم السكان وبناء المساكن.
- اعتدال المكان، ومناسبته للاستقرار والعيش على مدار السنة، أو معظم أشهرها.
- قرب المكان من المراعي الطبيعية المناسبة لحيواناتهم، والأحراش لتأمين مصادر طاقتهم (الحطب) في إعداد الطعام والتدفئة، وغير ذلك من المتطلبات.
- سهولة تأمين الحماية للمجتمع والقرية (أو البلدة فيما بعد) من المخاطر التي قد يتعرضون إليها.
- سهولة توفير مستلزمات العمل المتاحة في مجال الزراعة ومتطلباتها المختلفة، بدءاً من إعداد الأرض والبذار والتعشيب والحصاد، وغيرها.

## أهمية الأفلاج:

نجد أن المياه كانت، ومازالت، أهم المقومات الأساسية لتأسيس المجتمعات السكانية، ومن هنا اعتمد إنسان هذه المنطقة المشار إليها موضوع المياه، خصوصاً أن مصادر المياه لديه غير متوافرة بشكل دائم، إن لم نقل:

إنها شحيحة في كثير من مواقع مجتمعاتهم، وأحياناً كثيرة خلال أشهر السنة، وهذا ما تطلب من هذه المجتمعات البحث عن بدائل تتناسب والتوسع السكاني بمرور الوقت والقرون، بما في ذلك الأنهار التي تتوافر في مناطقهم، إلا أنها كانت تهدد وجودهم بسبب الفيضانات وشدة جريان مياهها مثلاً، أو انخفاض مناسيب مياهها في أوقات أخرى، التي كانت تشكل مشكلات كبيرة أخرى أيضاً لا داعي للخوض فيها في هذا المجال.

لذلك نجد أن عرب الصحارى لم تكن ترغب العيش عند الأراضي المجاورة للأنهار، وعلى سبيل المثال لا الحصر ما ذكره البلاذري في كتابه «فتوح البلدان» عما حصل لجيوش المسلمين من تأثيرات في صحتهم عند نزولهم عند نهر دجلة في المدائن بعد انتصارهم في معركة القادسية، وهذا ما اضطر سعد بن أبي وقاص إلى الانتقال إلى منطقة غرب العراق عند حافة الصحراء قرب منطقة الأنبار (ولعلها واحات شفاثة، أو عين التمر المعروفة في العراق منذ قديم الزمان، فقد تعود إلى العهود البابلية المبكرة، أو قبل ذلك. وهي غنية بمياهها من خلال العيون والآبار التي فيها، إلا أنها لم تستطع استيعاب حجم الجيوش الإسلامية) فانتقل سعد مع جيوشه إلى منطقة الكوفة شبه الصحراوية على نهر الفرات التي وصفوها بأنها «أرض ارتفعت عن البق وانحدرت عن الفلاة».

إذن ما هذه البدائل؟ هي مياه العيون التي علمت الإنسان، منذ قديم الزمان، إمكانية الحصول على المياه من باطن الأرض، إلا أن كميات مياه العيون لم تكن تتناسب والاحتياجات اليومية والضرورية لمختلف الأنشطة البشرية في التجمعات السكانية، ومتطلبات نموها، وزيادة سكانها، فبدأ

**الأفلاج كانت - وما زالت - ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمناطق وجود المجتمعات العربية**



الإنسان في البحث عن المياه في باطن الأرض، وهي ما تعرف بالمياه الجوفية من خلال الآبار التي كان يحفرها بنفسه، أو من قبل المجموعة إن تطلب الأمر، وكانت المياه موجودة في أعماق بعيدة عن سطح الأرض، أو أن الأرض صلبة فتحتاج إلى جهود متضافرة، لتبدأ بعد ذلك رحلة استغلال المياه الجوفية، وحفر الآبار، وقد كان العرب والمسلمون يسمون العارف بالمياه الجوفية وله خبرة فيها وإمكانية تحديدها «قَنّقِن» وجمعها قَناقن.

أما العارف بأمر القنوات والقصب التي تصل بين كل بئرين، وأساليب حفرها، وانسيابية المياه فيها، فيسمونه القناء، وجمعها القناؤون، كما جاء في كتاب تاج العروس للزبيدي، وكتاب أنباط المياه الخفية للكرخي، وهي مهنة عرفها العرب منذ قديم الزمان، وقبل ظهور الإسلام، كما كتب الحاسب الكرخي كتاباً في أنباط المياه الخفية، وهو ما يقصد به المياه الجوفية، وقد صنف فيها أصناف المياه من حيث طعمها وكثافتها، ووصف الحجارة والتربة والنبات الدالة على المياه الجوفية، وذكر طرائق معرفة الأرض ذات

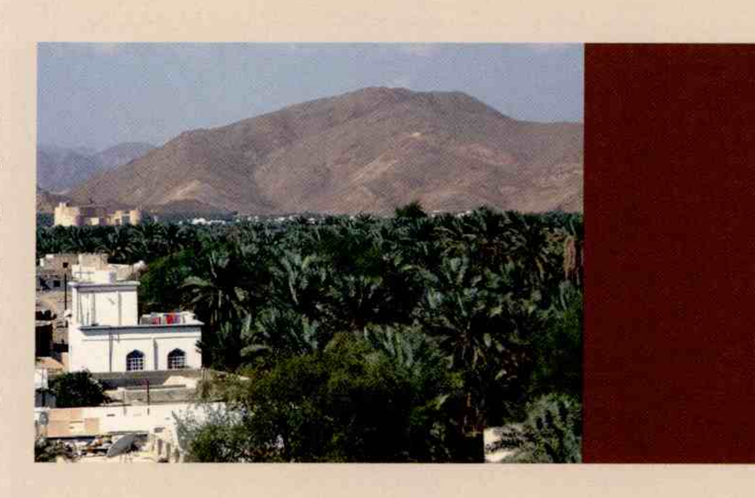
**هناك حقائق أخرى عن وجود عدة أفلاج في الجزيرة العربية، وهو ما توصل إليه الآثاريون في مدينة العين والشارقة**

المياه، أو قليلة المياه، وأنواع المياه من حيث الطعم واللون والرائحة، كالماء النفطي والكبريتي والزرنيخي، وغيرها، وكذلك معرفتهم كثافة الماء، كالمياه الثقيلة، والمياه الخفيفة والرقيقة، وغيرها.

وكذلك تحدث عن كيفية تصفية المياه، والأنابيب التي تصنع لنقل المياه، والمواد التي تصنع منها، وقد كان الكرخي يسمي الفلج بمصطلحات يمكن أن نقول عنها بغدادية، إذ لم نجد غيره يستعملها في مثل هذه التعبيرات، فأطلق اسم الثقب وجمعه الثقوب، وهي التي تطلق على القنوات التي توصل بين البرابخ ومفرده البربخ، ويقصد به البئر. والذين يقومون على إنشائها هم القناؤون إذن يمكن أن نسأل سؤالاً هو: متى استخدم مصطلح الفلج والأفلاج على هذه المنشآت؟.

إن هذه الخبرات كانت لدى العرب يتوارثونها مشافهة من جيل إلى آخر، وعلى مدى مئات السنين إن لم نقل أكثر من ذلك، خصوصاً أن الأنباط مثلاً هم أقوام عربية كانوا - وما زالوا - يعيشون في المناطق الصحراوية وحافاتها، ولديهم خبرة كبيرة في مجال استنباط المياه وكيفية العثور عليها، أو الوصول إليها في باطن الأرض ولقرون طويلة قد تعود إلى العهود البابلية والآشورية، ولذلك نجد الرقم الطينية كانت تشير إلى سكان الصحراء، ويسمونهم أرابو.

كما أن القرآن الكريم قد أشار في عدد من الآيات









إلى أهمية المياه الجوفية، فعلى سبيل المثال وليس الحصر: آبار قوم نبي الله موسى الاثنتي عشرة التي تفجرت، والبئر التي ألقي فيها نبي الله يوسف من قبل إخوته، وغير ذلك من القصص التي ذكرها القرآن الكريم. وعلينا ألا ننسى أيضاً بئر زمزم في مكة المكرمة، التي يعود تاريخها إلى زمن نبي الله إبراهيم عليه السلام، وهي أقدم بئر في التاريخ عرفتها البشرية وما زالت تعمل حتى يومنا هذا.

أما الأفلاج فلم أجد ما يشير إليها في القرآن الكريم على حسب علمي ومعرفتي والله أعلم، باستثناء بعض الآيات التي قد تشير إلى ذلك، كما في الآية الكريمة: ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ (١)

### نشأة الأفلاج واستخداماتها

قلنا: إن للمياه أهمية كبيرة في حياة الإنسان في المنطقة، ابتداءً من الجزيرة العربية ووصولاً إلى شمال إفريقية والصحراء الكبرى قديماً، وبما أن حفر البئر الواحدة، أو أكثر لا يساعد على إقامة مجتمعات تتناسب ومرحلة النمو السكاني، وزيادة حجمه، فكان لابد من إقامة نظام جيد يناسب هذه المتطلبات مع مراحل النمو الحضاري، وأن يكون قابلاً للتوسع عند الحاجة.

لذلك نجد كثيراً من الأدلة عن استقرار المجتمعات الصغيرة حول العيون والآبار التي استغلها، أو حفرها الإنسان قديماً في بلاد الرافدين، والجزيرة العربية، وشمال إفريقية، خصوصاً في المناطق التي لا تتوافر فيها المياه السطحية، أو أنها تقع على مسافات بعيدة جداً يصعب معها جلب المياه وتوفيرها بشكل مستمر أو يومي.

إلا إنه من المؤسف لم تسعفنا المصادر والدراسات الآثارية في معرفة بداية نشأة الأفلاج بدقة. إلا أننا يمكننا القول إن أحد الأنفاق التي نفذت قديماً لنقل المياه في باطن الأرض تعود إلى زمن سنحاريب (٢)، ولكني لاحظت من خلال زياراتي آثار أور، وبابل، وآشور، وجود أنفاق تحت الأرض، وبعضها كانت تجري فيه المياه وخصوصاً في موقع الجنائن المعلقة ببابل، وقصر النمرود جنوب نينوى، كذلك في بعض مواقع مدينة نينوى القديمة، وقلاع أربيل، وكركوك، وتكريت، وهي مواقع يعود تاريخها إلى أكثر من ألف سنة قبل الميلاد، فلعلها بقايا أفلاج، أو نظام لنقل المياه إلى حيث القصور ومساكن الملوك البابليين والآشوريين وكبار



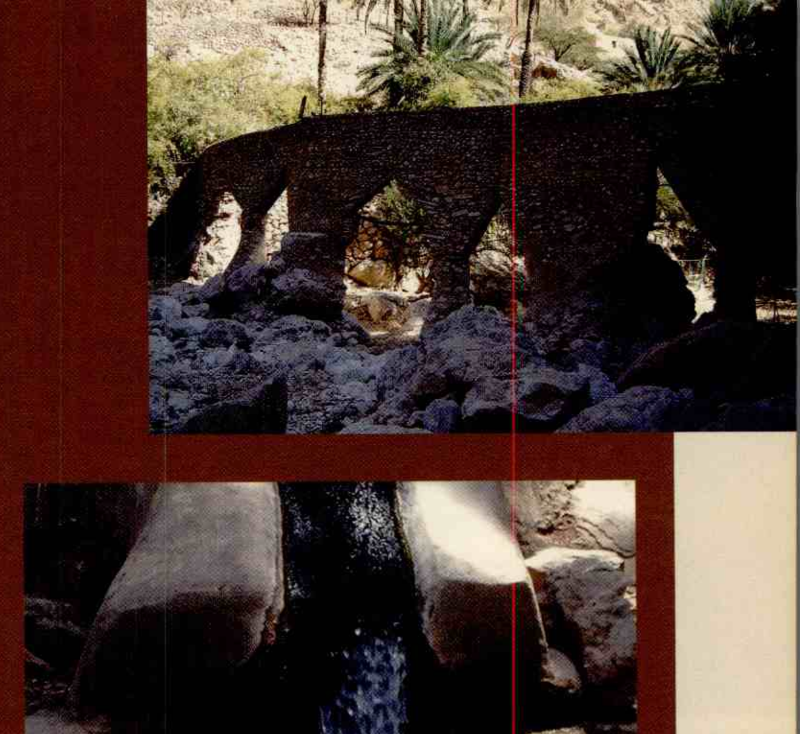
قادتهما وعلية قومهم، وهذا يتطلب بحثاً وتنقيباً من قبل الآثاريين والمختصين؛ للوقوف على حقيقتها، خصوصاً أنه من المؤكد أنه كانت توجد لدى ملوك بابل وآشور الحمامات، والمرافق الصحية داخل قصورهم، فكيف كانوا ينقلون المياه إلى داخل قصورهم؟ وكيف كانو يتخلصون من الكميات الكبيرة من المياه بعد استخدامها؟.

**كان العرب والمسلمون يسمون العارف بالمياه الجوفية وله خبرة فيها وإمكانية تحديدها قنقن**

بل هناك حقائق أخرى عن وجود عدة أفلاج في الجزيرة العربية، وهو ما توصل إليه الآثاريون في مدينة العين بإمارة أبوظبي، وكذلك في إمارة الشارقة، وغيرها من الأمكنة بدولة الإمارات عن وجود عدة مواقع للأفلاج، يعود تاريخها إلى أكثر من ألف سنة قبل الميلاد؛ أي: إلى ما قبل العصر الحديدي (٣).

وهذا يعطي بعض الإشارات المؤكدة إلى وجود الأفلاج في هذه المنطقة، ومنذ قديم الزمان، وليس كما يشير بعض الغربيين عن بداية نشأة الأفلاج في بلاد فارس (٤).

لذلك نجد أن الأفلاج كانت - وما زالت - ترتبط





ارتباطاً وثيقاً بمناطق وجود المجتمعات العربية، وهذا يمكننا أن نستدل - من خلاله - أن نشأتها بدأت مع نشأة المجتمعات العربية. وبعد أن نشأت الدولة الإسلامية في منطقة الشرق الأوسط، وشمال إفريقية، ثم انتقلت بعد ذلك إلى بلاد الأندلس اتسع استخدام الأفلاج بما يتناسب ومتطلبات مراحل نمو المجتمعات العربية والإسلامية، وهذا ما سنتحدث عنه هنا.

أن المصادر والمكتشفات الآثارية لا تذكر وجود الأفلاج في المدن الفرعونية، والرومانية، والإغريقية، وغيرها. إنما وجد في بعض المواقع الأثرية أعداد من الآبار المحفورة في بعض تلك المناطق من دون العثور على قنوات أفقية توصل بين أي من الآبار بحيث تكون على نظام، أو ترتيب يشبه إلى حد ما نظام الأفلاج.

إذن بات من الضروري أن نعرف ما المقصود بما يعرف باسم الفلج، وما أصل تسميته، والأسماء الأخرى المستخدمة للتعبير عنه. الفلج يتكون عادة من سلسلة من الآبار ذات مستويات متباينة في عمق القعر بين كل بئر وأخرى، بمسافة قد تراوح بين ٣ و٣٠ ذراعاً، توصل بين كل بئر وأخرى قناة أفقية موازية لمستوى قعر البئر وانحدارها، لتشكل في مجموعها قناة رئيسة تتفرع عنها قنوات فرعية بذات المواصفات، تتجه اتجاهات مختلفة حسب طبيعة التركيب البنائي للقرية وحجمه، أو البلدة، أو المدينة (٥)، إلا أنها في الأغلب تكون عبارة عن قناة رئيسة، تستخدم لنقل المياه الجوفية الصالحة للشرب، إلى مواقع متباينة في المسافات قد

**مناطق وجود الأفلاج كانت في الأغلب في سورية، وتحديداً في مدن دمشق، وحماة، وحلب، وتدمر، وبعض مواقع جبل لبنان**



يبلغ طولها نحو ٤ كيلو مترات (نحو فرسخ) وقد تصل إلى ما يزيد على ١٠ - ١٥ كيلو متراً (أي نحو ٢ إلى ٤ فراسخ) وتستخدم أحياناً أنابيب مصنوعة من الطين المفخور المخلوط بمواد شحمية حيوانية وألياف القطن، أو الكتان لتقويتها ومنعها من التآكل بفعل جريان المياه ليتمكنوا من نقل المياه إلى المساكن والحمامات العامة والمساجد أو الجوامع (٦).

وذكر العرب والمسلمون أنواعاً مختلفة من الأنابيب التي تستخدم في نقل المياه (٧)، بل جاء في بعض المصادر عن صناعة الأنابيب من مواد مختلفة، فمنها ما يصنع من الرصاص أو القصب، أو الخشب الصلب، أو الزجاج، أو غيرها (٨).

يبدأ الفلج - عادة - من أرض ذات إنحدار بيِّن باتجاه الأرض المستوية؛ لضمان إنسيابية المياه فيه، أما المسافة بين كل بئر وأخرى فتتباين طردياً مع درجة الإنحدار الأرضي، أي: كلما زاد مستوى انحدار الأرض قصرت المسافة بين كل بئر وأخرى، والعكس بالعكس، وهذا يدل على أن العرب والمسلمين وصلوا إلى معرفة جيدة في مجال المياه الجوفية، وكيفية الكشف عنها وتحديدها، بقي أن نعلم أن الفلج له تسميات مختلفة، ففي الجزيرة العربية وشمال إفريقية والأندلس يسمونه الفلج، ومجموعه الأفلاج، وفي العراق يسمونه الفلج، وأفلاج في وسط العراق وجنوبه أيضاً، وأحياناً يسميه بعضهم كهريز ومجموعه كهاريز، في وسط العراق وشماله، ولم نتمكن من معرفة أصل كلمة كهريز، وإن كان بعضهم يعتقد - خطأ - أنها من أصل فارسي، في الوقت الذي نجد إن هذه الكلمة غير مستخدمة عند الفرس للتعبير عن هذا المفهوم، ولعل أصل التسمية بابلية، أو آشورية بعد أن تعرضت لبعض التعريب، أو التشذيب والتحريف، ويسمي الإخوة الكرد الفلج باسم كاريز، وفي بلاد الشام يسمونه فجارة، وسمته العرب قديماً باسم الكاظم ومجموعه الكواظم (٩).

## مناطق الأفلاج وانتشارها في الشرق الأوسط وشمال إفريقية

لا توجد دراسات دقيقة عن الأفلاج في الدول الإسلامية سوى بعض الملاحظات والهوامش البسيطة

والمتناثرة على صفحات بعض المقالات والدراسات، وأن ما نشر من تلك الدراسات على الرغم من أهميتها فهي قليلة جداً، ولا تتناسب مع أهمية الموضوع. لذلك أصبح من الواجب أن نقوم بهذه المهمة، على الرغم من صعوبتها، وهو البحث شخصياً عن مناطق انتشار الأفلاج في الشرق الأوسط، وشمال إفريقية، اعتماداً على المشاهدة والمشافهة استفساراً، أو بالاطلاع على المتوافر عنها من معلومات، ومقالات، ودراسات. وإن أهم مناطق انتشار الأفلاج في هذه المناطق سنذكره مع الإشارة إذا كانت تلك الأفلاج ما زالت عاملة، أو مهملة، أو غير عاملة، كما يأتي:

**العراق:**

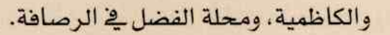
يتميز هذا البلد بسعة انتشار الأفلاج وتعددها فيه، من شماله إلى جنوبه، مروراً بمنطقته الوسطى وخصوصاً في المناطق الآتية:

- محافظتا السليمانية وأربيل في الشمال: ومعظمها عامل حتى يومنا الحاضر، وأهمها أفلاج أحمد زنكنة، وكونجي





**المصادر والمكتشفات الأثارية لا تذكر وجود الأفلاج في المدن الفرعونية، والرومانية، والإغريقية**



بغدادي، ومصطفى بك، وسهل شهرزور في السليمانية، وهي مازالت عاملة، وأفلاج ميري، ومخمور، وعين كاوا، وعرب كندى في أربيل.

- محافظة كركوك في الشمال: ونسبة كبيرة منها مازالت عاملة، وأهمها: أفلاج مركز كركوك، وتازة خور ماتو، وحاجي عثمان، وسيد عمر، وحصار أحمد بك.
- محافظة الموصل في الشمال: ونسبة كبيرة منها غير عاملة، خصوصاً في مركز مدينة الموصل، أما أفلاج سنجار فمازال بعضها عاملاً، وأهمها أفلاج كاني عيدو، والصباحية، وكري حمزة (١٠).
- محافظة صلاح الدين: وهي أفلاج معظمها غير عاملة؛ بسبب الإهمال، والانطمار، وأهمها أفلاج سامراء، وتكريت، وبيجي.
- محافظة بغداد: وأفلاجها جميعها غير عاملة؛ بسبب الإهمال والطمر، وأهمها أفلاج مركز منطقة الكرخ، والكاظمية، ومحلة الفضل في الرصافة.
- محافظة النجف: وأفلاجها معظمها غير عاملة؛ بسبب الإهمال والطمر باستثناء بعض آبارها ما زالت فيها مياه تستخدم للشرب.
- محافظة بابل (الحلة): وأفلاجها جميعها مطمورة؛ بسبب الإهمال، وعدم الاستخدام، وأهمها في مركز مدينة الحلة القديمة، والبلدات المجاورة لها، وإن آخر طمر تم في مدينة الحلة كان في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين الميلاديين.
- محافظة واسط: وأفلاجها جميعها غير عاملة ومطمورة؛ بسبب عدم استخدامها، وعدم الحاجة إليها وتوجد فقط في مدينة واسط القديمة.
- محافظة الأنبار: وأفلاجها معظمها غير عاملة ومطمورة؛ بسبب الإهمال، وعدم الاستخدام باستثناء بعض الآبار التي مازالت تستخدم للشرب، وأهمها: أفلاج هيت، وراوة، وعانة، والصقلاوية.

### أفلاج الجزيرة العربية

إن من أهم أفلاج الجزيرة العربية هي أفلاج مدينة الكويت، وخصوصاً مدينة الكاظمة التي تعد أقدم مدينة كويتية، ولعل اسمها اشتق من وجود فلجها، وأن معظم أفلاج الكويت اليوم غير عاملة ومطمورة.

أما في دولة الإمارات فتوجد أفلاج في الشارقة،

وبعضها عامل حتى وقت قريب، وفي أبوظبي وهي عاملة وخصوصاً في منطقة العين (١١).

وكذلك في سلطنة عمان، وإن عددًا لا بأس به مازال عاملاً فيها، كما في منطقة البريمي وغيرها (١٢).

وكذلك الحال في مملكة البحرين، إلا إن جميع أفلاجها لم تعد عاملة.

أما في المملكة العربية السعودية، وقطر فلم تسعفنا المعلومات للاستفسار عن وجود أفلاج فيها، وعلى أقل تقدير عاملة، ولعله قديماً كان يوجد بعض قليل منها وانطمر ولم يعد يعرف عنها شيء.

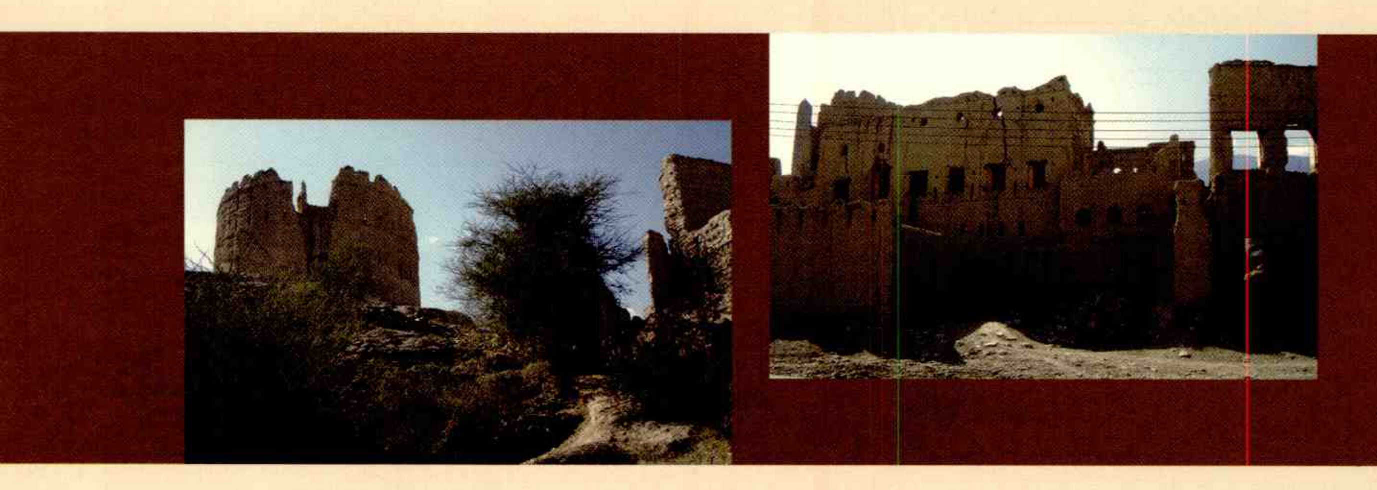
وكذلك الحال بالنسبة إلى اليمن، مع العلم أن هذه المناطق غنية بآبارها ذات المياه العذبة خصوصاً مدينة عاد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، كما جاء ذكرها في القرآن الكريم، وهي تقع - اليوم - في منطقة الربع الخالي، وهي منطقة صحراوية، إذن لابد وأنه كانت لها مياه جوفية لسقاية المدينة، ولعلها كانت على نظام الأفلاج لإيصال المياه إلى أنحاء مدينة عاد التي يعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد بمئات السنين، أي في زمن نبي الله هود ، الذي أرسله الله تعالى إلى قومه بعد نبي الله نوح عليه السلام .

**أفلاج بلاد الشام**

إن مناطق وجود الأفلاج كانت في الأغلب في سورية، وتحديداً في مدن دمشق، وحماة، وحلب، وتدمر، وبعض مواقع جبل لبنان، إلا أن معظمها مطمور إن لم نقل جميعها، باستثناء عدد قليل من آبارها في الوقت الحاضر.

أما في الأردن وفلسطين فلم أجد أي إشارة من قبل بعض أهلها، والمصادر المتاحة لنا عن وجود الأفلاج فيها، وإن كانت هذه المنطقة غنية بآبارها ومياهها الجوفية، ولعله كان في الماضي توجد بعض الأفلاج، لكنها انطمرت بعد إهمالها، وخصوصاً في مدينة البتراء، ولم تعد هناك إمكانية للتحقق من وجودها باستثناء عدد من صهاريج المياه التي استخدمها البترائيون من قبل.

**يتميز العراق بسعة انتشار الأفلاج وتعددها فيه، من شماله إلى جنوبه**



### أفلاج شمال إفريقية والأندلس

لم تسعفنا المصادر على التعرف إلى مناطق وجود الأفلاج في مصر والسودان والقرن الإفريقي، وفي الأغلب لم تكن هذه المناطق بحاجة إلى أفلاج لوفرة مياهها السطحية، وإن كان يوجد في بعض مناطقها آبار، وخصوصاً في المناطق الصحراوية والواحات، وغيرها من المناطق التي تقع بعيداً عن مناطق وجود المياه السطحية، وتحديداً في الجانب الشرقي من تلك المناطق المحاذية للمناطق الوعرة والمرتفعات التي تقع على الجانب الغربي من البحر الأحمر.

أما أهم المناطق في ليبيا فهي، بنغازي وطرابلس. وفي تونس، مدينة تونس، وسوسة، والقيروان، وصفاقس، والجزائر، مدينة الجزائر ومنطقة القبائل، والمغرب، وطنجة، والرباط، وفاس.

فلقد علمت بوجود عدد من الأفلاج، إلا أن جميعها انطمر ولم يعد معظمها عاملاً بسبب الإهمال باستثناء بعض أفلاج المغرب التي ما زالت عاملة في بعض المواقع المغربية، بينما نجد أن أفلاج الأندلس جميعها انطمر بسبب الإهمال بعد سقوطها، ولعله قبل ذلك. ويستثنى من ذلك أفلاج غرناطة التي ما زالت عاملة ومن بقاياها قصر الحمراء لكن الأوربيين يجهلون طبيعة عمله؛ لأن معظمه انطمر بعد احتلالهم المدن العربية والإسلامية، وتدمير معظم المنجزات العربية والإسلامية العلمية، والمعمارية، والفنية، وغيرها وسرقتها. إلا أن مياهها ما زالت تتدفق، ولا يعرف الأوربيون حتى يومنا الحاضر كيف تعمل هذه الأفلاج على الرغم من مرور أكثر من ألف عام على إنشائها هناك.

وهكذا نجد أن هذا الموضوع ما زال يحتاج إلى كثير من الدراسات للتعريف بالأفلاج ومواقع وجودها في الشرق الأوسط وشمال إفريقية؛ ليبقى هذا الإنجاز العظيم خالداً، وليكون رمزاً من رموز إنجازات العرب والمسلمين الكبيرة، التي لم يسبقهم إليها أي من الشعوب الأخرى، بل وحافظ عدد كبير منها على خاصيتها وعملها حتى يومنا الحاضر، ولتكون أحد الحلول لأزمة المياه التي من المتوقع أنها ستعم أرض المعمورة في أواخر القرن الحادي والعشرين الحالي، ثم تتفاقم كثيراً جداً خلال الألفية الثالثة، وها هي ذي قد بدأت منذ الربع الأخير للقرن العشرين الميلادي.

### الهوامش والمراجع


١- الأنبياء، الآية ٣٠.

٢- سفر، فؤاد وبصمه جي، فرج ١٩٤٦م، سنحاريب وسقاية أربيل، مجلة سومر، ص ٢٧٩- ٢٨٤، بغداد.

٣- التكريتي، وليد ياسين، ٢٠٠٢م، الأفلاج في دولة الإمارات العربية المتحدة، مطبعة الخالدية التجارية، ابوظبي، الإمارات العربية المتحدة.

4-English p.1968. the Origin and Spread of Qanats in the Old World. Proc. Amer. Philos. Soc.. vol. Cxll.

٥- رشيد، فوزي، ١٩٨٦م، أصالة نظم الإرواء العربية، محاضرة في مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، بغداد.

٦- ابن سيده كتاب المخصص، باب السقي وأسماء الماء، وباب في صرف الماء وسده، واستخراج المياه ونعوته. مطبعة بولاق. القاهرة.

٧- حسن، إبراهيم ١٩٦٤م، تاريخ الإسلام، القاهرة، مصر،

- وراجع مخطوطة كتاب انباط المياه الخفية لأبي بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرخي (متوفى سنة ٤٠٧ هـ).

٨- محفوظ، حسين علي، ١٩٨٩م، القنوات في التراث، ندوة الري عند العرب، جامعة بغداد، بغداد.

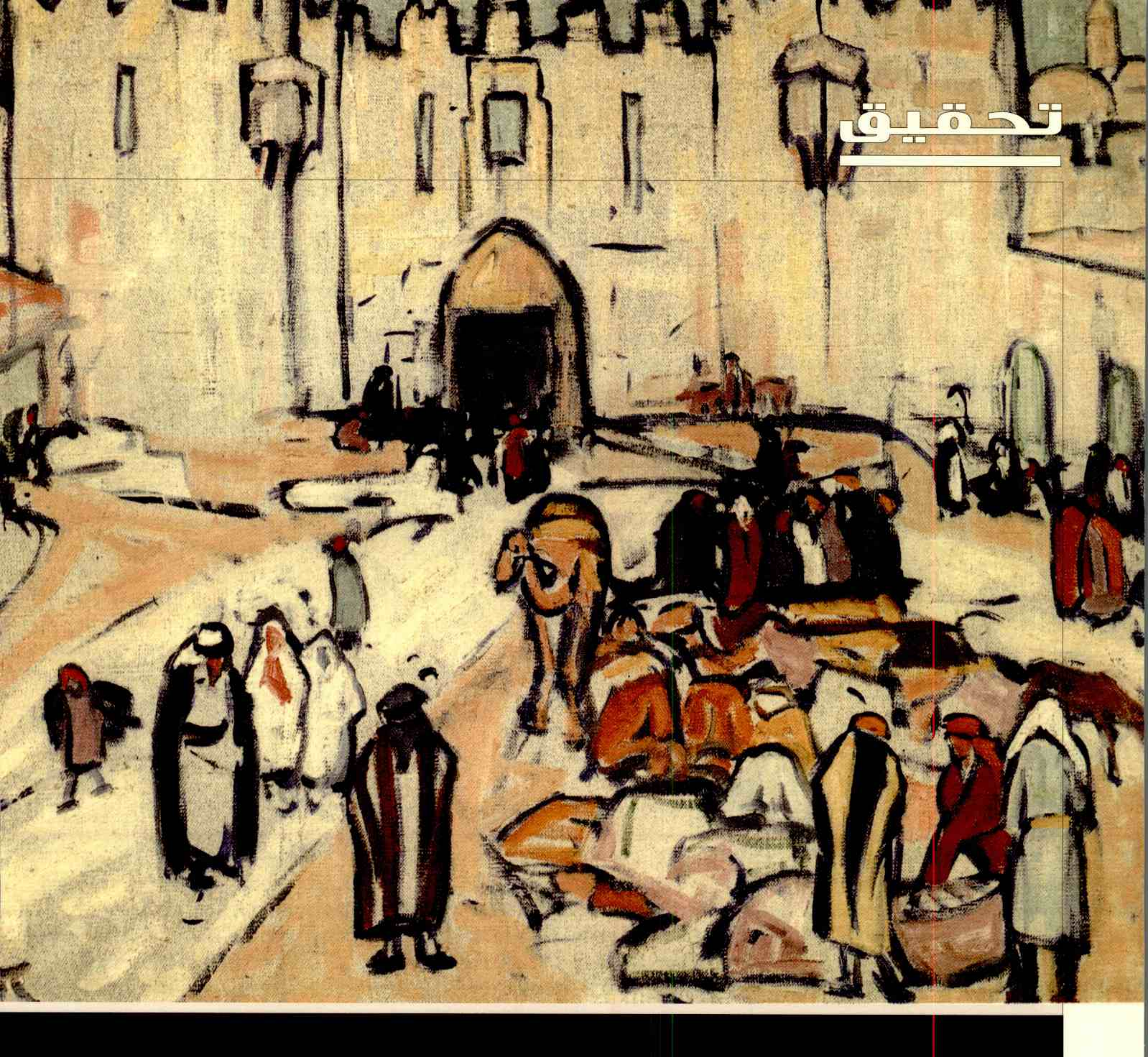
٩- الفيروز ابادي، ١٩٢٣م، القاموس المحيط، القاهرة، مصر.

١٠- الطالباني، ناهدة وأيوب، محمد ساهر ١٩٨٩م، تأثير الأفلاج في نشوء الحضارة وتركز السكان في مناطق مختارة من العراق. ندوة الري عند العرب، جامعة بغداد.

١١- راجع كتاب الأفلاج للتكريتي، وكتاب الأفلاج في مدينة العين للعيدروسي.

12-Wilkinson. J. C. 1983.the Origins of the Aflaj of Oman. J. Oman Studies. Vol. 6. Part. 1.

تحقيق



# جزيرة العرب

## مهد أول إعلان لحقوق الإنسان

علي أحمد أجقو

باتنة - الجزائر

يتناول هذا المقال بصورة رئيسة إعلان دار ابن جدعان بمكة المكرمة في عام ٥٩١م(١)، وقبل ذلك لا بد من تمهيد عن مبادئ حقوق الإنسان التي بدأ الحديث عنها يكثر في عالمنا المعاصر.

## الوثائق الغربية

إن المتصفح للكتابات الغربية، التي تتناول أركيولوجيا حقوق الإنسان في مناطق العالم المختلفة، يجد أنها تجعل وببساطة من أوربا مهد هذه الحقوق، وتشطب بالبساطة نفسها أي إسهام للحضارات الأخرى، خصوصًا العربية والإسلامية (٢)، في وضع هندسة أسس هذا الصرح، الذي هو حقوق الإنسان: فهذه الكتابات لا تتكلم إلا على الماقنا كارتا في إنجلترا في عهد الملك جون سنتير عام ١٢١٥م (٣)، ووثيقة إعلان استقلال الولايات المتحدة عام ١٦٧٦م (٤)، ووثيقة الانقلاب على الملكية، أو ما يسمى إعلان «حقوق الإنسان والمواطن» عام ١٧٨٩م (٥).

المساواة مبدأ اهتمت به مواثيق العرب

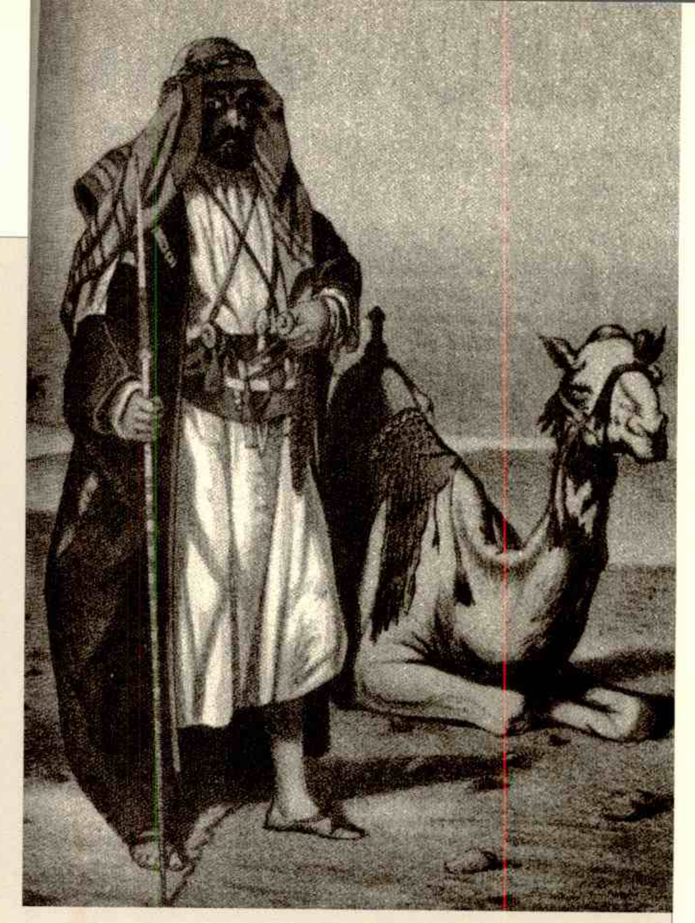


غير أن هذه الكتابات وإن تكلمت على بعض الوثائق الأخرى (٦) فإن الإطار الجغرافي يبقى دومًا أوربياً، ويبقى الفضل دومًا للإنسان الأوربي.

هل هذه الوثائق، التي جاءت لتعالج - ظرفيًا - مشكلات السلطة مع المواطنين، كما هو الشأن بالنسبة إلى الماقنا كارتا، أو جاءت لتلبي طموحات شعب معين في الحرية كوثيقة استقلال الولايات المتحدة، أو جاءت لتجسد أيديولوجية فئة متعصبة وحاقدة على حساب فئة أخرى، كما هو عليه الحال بالنسبة إلى وثيقة الانقلاب على الملكية، أو ما يسمى «الثورة الفرنسية»، يمكن عدها وثائق مرجعية لحقوق الإنسان؟ من دون شك لا. على أساس أن ما كان صالحًا في فترة من الفترات، ولظروف معينة لم يعد مستساغًا في الوقت الحاضر.

ونتيجة للظروف الصعبة، التي كانت تعيشها شعوب المعمورة، ومنها الشعوب العربية والإسلامية، ترسخت مثل هذه المفاهيم حتى غدت حقيقة ثابتة غير قابلة للجدل، وأن مجرد إعادة النظر فيها يعد تجنيًا على التاريخ، وإنكارًا للحقيقة.

لكن أخذ المبادرة بإعادة قراءة هذه الكتابات، وتحليل تلك الوثائق والإعلانات، من قبل الباحثين والمتخصصين، قراءة مفاهيمية مغايرة من جهة، والبحث في غضون تراثنا العربي والإسلامي عن مدى الاهتمام بحقوق الإنسان من جهة أخرى، يعد من الأدوار المهمة التي ينبغي علينا التصدي للقيام بها، وهي ليست بالعملية اليسيرة، فكثيرون هم الكتاب والمؤرخون والقانونيون، ليس فقط من الغربيين، وإنما من العرب، من يعتقد - جازمًا - أن أوربا هي المهد الأول لحقوق الإنسان دومًا وأبدًا. وهذه النظرة ناتجة، إما من عدم دراية وإما بدافع التقليد الأعمى والثقة المطلقة فيما يقوله ويكتبه الأوربي، حتى ولو كان زورًا وبهتانًا، وذلك «ناتج، كما يرى الدكتور الزبيري، من مركب النقص الذي



مبادئ محاربة الظلم انطلقت من جزيرة العرب



وثائق حقوق الإنسان الغربية تعالج مشكلات ظرفية

يكاد يكون عامًا لدى مثقفينا الذين اضمحلت شخصيتهم، فلم يعودوا قادرين على نقد ما يكتبه السادة الأوربيون، أو الطعن فيه، حتى ولو كانت تلك الكتابة زورًا وبهتانًا» (٧).

إن جزيرة العرب، واعتمادًا على الحقائق التاريخية والجغرافية، مؤهلة قبل غيرها من مناطق العالم، لتنبثق منها مبادئ محاربة الظلم، وصيانة حقوق البشر، وكل المبادئ الخيرة، التي تهدف إلى رفع الضيم عن الإنسان، أيًا كان لونه، أو جنسه، أو عرقه، أو بلده.

وهذه حقيقة يؤكدها العلامة ابن خلدون (٨)، الذي يرى أن الحكماء قد قسموا الأرض إلى سبعة أقاليم من الشمال إلى الجنوب، كل واحد منها آخذ من الشرق إلى الغرب. ويخلص إلى أن أكثر هذه الأقاليم اعتدالاً هي الأقاليم الثلاثة المتوسطة، لأن سكانها هم أعدل أجسامًا، وألوانًا، وأخلاقًا، وأديانًا، وهم أيضًا أكمل لوجود الاعتدال فيهم. وهؤلاء السكان هم الذين يوجدون في العالم العربي وما حوله، أو هم أهل المغرب والشام والحجاز واليمن والهند والسند والصين، وكذلك أهل الأندلس ومن حولهم، ومرد ذلك أن هذه الأقاليم هي التي استقبلت الأديان والرسل، وأثبت التاريخ خيريتها في زمن قوتها وهيمنتها على العالم.

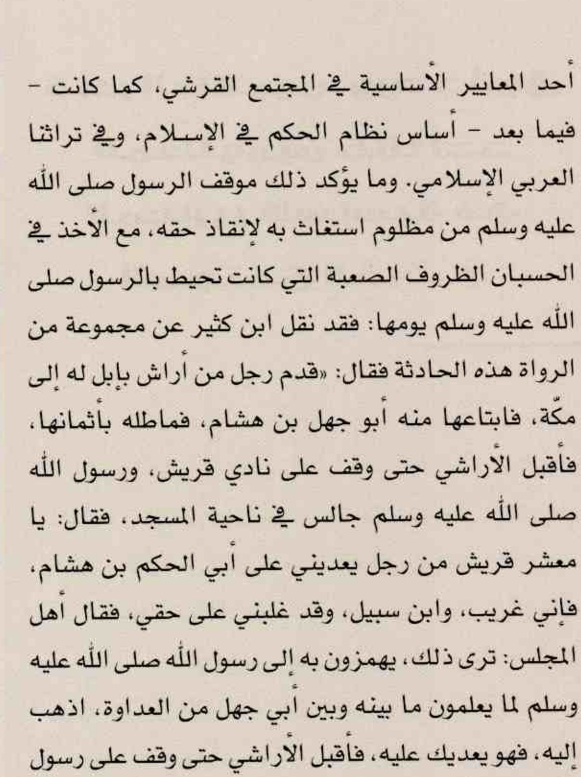
وهذه الفكرة تتجلى بوضوح في قهر الظالم والانتصار للمظلوم، ووضع الآليات الكفيلة بتحقيق ذلك، وهي مصطلحات تطورت بمرور الزمن لتصبح، في وقتنا الحاضر، جوهر حقوق الإنسان، بل مدار حقوق الإنسان كلها.

وبالفعل فقهر الظالمين، ورد حقوق المظلومين كانا

**جزيرة العرب مؤهلة قبل غيرها من مناطق العالم، لتنبثق منها مبادئ محاربة الظلم، وصيانة حقوق البشر**



الصراع سمة في العالم الغربي



أحد المعايير الأساسية في المجتمع القرشي، كما كانت - فيما بعد - أساس نظام الحكم في الإسلام، وفي تراثنا العربي الإسلامي. وما يؤكد ذلك موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من مظلوم استغاث به لإنقاذ حقه، مع الأخذ في الحسبان الظروف الصعبة التي كانت تحيط بالرسول صلى الله عليه وسلم يومها: فقد نقل ابن كثير عن مجموعة من الرواة هذه الحادثة فقال: «قدم رجل من أراش بإبل له إلى مكّة، فابتاعها منه أبو جهل بن هشام، فماطله بأثمانها، فأقبل الأراشي حتى وقف على نادي قريش، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المسجد، فقال: يا معشر قريش من رجل يعديني على أبي الحكم بن هشام، فإني غريب، وابن سبيل، وقد غلبني على حقي، فقال أهل المجلس: ترى ذلك، يهمزون به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة، اذهب إليه، فهو يعديك عليه، فأقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقام معه فلما رأوه قام معه، قالوا لمن معهم: اتبعه فانظر ما يصنع؟ فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه، فقال: من هذا؟ قال: محمد، فاخرج، فخرج إليه، وما في وجهه قطرة دم، وقد امتقع لونه، فقال: أعط هذا الرجل حقه، قال: لا يبرح حتى أعطيه الذي له، قال: فدخل، فخرج إليه بحقه، فدفعه إليه، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للأراشي: إلحق لشأنك.. فأقبل الأراشي حتى وقف على المجلس، فقال: جزاه الله خيرًا، فقد أخذ الذي لي..» (٩).

إن هذه الحادثة تكشف وبوضوح عن إنسانية الدعوة الإسلامية، ووقوفها إلى جنب الإنسان المظلوم، واستنفاذ الحق، مع أن الظالم كان من أعتى طواغيت قريش، ومع العداوة الكبيرة التي كانت بين الرسول صلى الله عليه وسلم والظالم: فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يعتذر من الرجل لما يعلم من أبي جهل، بل صاحبه إلى دار هذا الأخير، ووقف بكل جرأة وشجاعة، بل وتحد للظالم، يطالبه برد حق المظلوم.

من جهة أخرى، وكما يكشف الموقف عن مواجهة الظلم والطغيان، فإنّه يكشف عن الاهتمام بالآخرين، ومشاركتهم في همومهم والوقوف معهم لاستنفاذ حقوقهم. فالموقف هو دفاع عن حق، ومواجهة لظاهرة عدوانية يذهب ضحيتها الضعفاء والغرباء.

إن العمل على رفع الظلم عن الناس كان سلوك الخلفاء الراشدين، وبعض الحكام المسلمين: فقد روي أن الخليفة عمر رضي الله عنه خرج مع مزاحم في جولة تفقدية فلقيهما رجل من سكان المدينة فسألاه عن أحوال الناس، وعن الأوضاع بصورة عامة، فقال: «إني تركت المدينة والظالم بها مقهور، والمظلوم بها منصور، والغني موفور، والعائل مجبور». فسر بذلك الخليفة عمر وقال: «والله لأن تكون البلدان كلها على هذه الصفة أحب إلي مما طلعت عليه الشمس» (١٠). والشيء نفسه أكده الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز حيث يرى أن انتهاكات حقوق الإنسان مصدرها

الظلم: «ونرى أن توضع السخر عن أهل الأرض، فإن غايتها أمور يدخل فيها الظلم» (١١).

وإذا كان مؤكدًا أن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان قد بدأ مع وجود الحياة على أديم الأرض، فإن من المؤكد أيضًا أن من بين المظلومين من لم يتوقف عن المناداة، والمناشدة، والمقاومة: لرفع الغبن، ولم يعدم - لسبب أو لآخر - اللجوء إلى دعم قوى وشخصيات مجتمعية مرموقة لرفع الظلم واسترداد الحق المغتصب.

**قهر الظالمين، ورد حقوق المظلومين كانا أحد المعايير الأساسية في المجتمع القرشي**

### كيف بدأ ذلك؟

لقد كانت أرض الجزيرة العربية الطريق الرئيس لحركة التجارة العالمية في ذلك الوقت، وهذا ما عاد بالرخاء الاقتصادي على كثير من القبائل وفي مقدمتها قريش (١٢) ببطن مكة، التي كنت تتاجر مع الدول والشعوب المختلفة: فكانت لها علاقات تجارية مع بلاد اليمن، وبلاد فارس، وبلاد الروم، وبلاد الأحباش. وقد ساعدت هزيمة أبرهة الحبشي (١٣) على تعزير مكانة قريش بين القبائل العربية اقتصاديًا ودينيًا، إذ قالوا: «إن الله قاتل عنهم، وكفاهم كيد عدوهم» (١٤).

وللحفاظ على هذه المكاسب، وبغية تأمين سلامة القوافل التجارية (١٥)، اتبعت قريش عدة وسائل، منها: إقامة تحالفات بين بطون قريش نفسها، وقبائل أخرى، مثل أحلاف المطيبين، والأحلاف، وحلف الأحباش. وانعكست قوة قريش خصوصًا الاقتصادية على مكة وكعبتها، فهي الأعظم والأهم بين الكعبات البالغ عددها ٢٣ كعبة (١٦) منتشرة في الجزيرة العربية، وكان العرب وغيرهم يأتون إليها للحج، أو الاعتمار، أو الاتجار، أو المشاركة في المهرجانات الثقافية التي تتميز بالمباريات الشعرية في أسواق مكة، ومن بينها سوق عكاظ.

وقد كان مردود قريش من نشاطها التجاري عظيماً ساعد على ظهور (١٧) طبقة من الأثرياء من أمثال أبي سفيان، والوليد بن المغيرة، وعبدالله بن جدعان.

هذه القوة الاقتصادية التي بلغتها قريش جعلت عددًا من كبار تجارها يصابون بالغرور والعجرفة، ومن ثم لم يتورعوا عن الاعتداء على الآخرين، بأكل حقوقهم من دون مسوغ، ومن دون وجه حق.

ومع تفاقم هذه الوضعية، التي تعد انتهاكًا صارخًا لحقوق الإنسان، قررت قريش في خضم هذه الأحداث كلها أن تنشئ آلية ترد بها مظلومية كل من يلجأ إليها من قريش، أو من رعايا البلدان المذكورة أعلاه.

فما هذه الآلية؟ وما مدى فاعليتها؟ وهل تعد بالفعل آلية تحمي حقوق الإنسان المظلوم في عرضه وماله ؟

الإجابة عن هذه الأسئلة ستكون حجر الزاوية في هذا المقال المتواضع.

### حلف الفضول وإعلان دار ابن جدعان

لقد كان الحج شعيرة مقدسة تؤديها القبائل كافة، وكانت كعبة مكة مقدسة أيضًا بالنسبة إلى القبائل، على الرغم من وجود بضع وعشرين كعبة في شبه الجزيرة العربية حين ذاك، ومن ثم فإن قريش كانت تحرص حرصًا شديدًا على توفير الأجواء الآمنة للزوار، إدراكًا منها أن

أي اختلال يصيب موسم الحج وما يعقد بمناسبته من فعاليات تنعكس آثاره مباشرة على التجارة داخل البلد العتيق، إضافة إلى أن الخلل يهز سمعة قريش بين العرب، ويسقط هيبتها، ويهدر كرامتها لظهورها بمظهر العاجز عن حماية الجار، واللائذ بالحمى، والمستجير بالحرم، خصوصًا أن مكة قد أضحت - في إثر هزيمة الحبشة برئاسة أبرهة، واحتدام الصراع بين الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية - مركزًا تجاريًا مهمًا.

كل هذه العوامل كانت سببًا كافيًا لأن يرحب أحياء قريش بأي مبادرة من شأنها تعزيز الأمن والاستقرار بمكة.

## أسباب تأسيس الحلف

يعود سبب تأسيس هذا الحلف إلى قدوم يمني من بني زيد (١٨) إلى مكة معتمرًا، ومعه تجارة باعها لأحد أفراد قبيلة بني سهم، وكان معروفًا بالعناد والباطل والظلم، يدعى العاص بن وائل السهمي، والد عمرو بن العاص، فلم يدفع له ثمنها، ولم يردها إليه، أي: إنه أنكر وقوع عملية الشراء أصلاً.

وما كان من الرجل إلا أن شكا حاله إلى قبيلة المشتري، إلا أن هذه الأخيرة وبدافع العصبية أهانته، ولم تجبه إلى طلبه، فعرف أن لا سبيل إلى استرجاع حقه إلا بالاتصال بقبائل قريش في مرحلة أولى، وبمخاطبة ضمير زعمائها ووجهائها بعد ذلك: فطاف بالفعل في قبائل قريش مستعينًا بحلفي المطيبين، والأحلاف، فتخاذلوا عنه، ولم ينصروه أيضًا.

**القوة الاقتصادية التي بلغتها قريش جعلت عددا من كبار تجارها يصابون بالغرور والعجرفة، ومن ثم الاعتداء على الآخرين**

ومع انسداد الأبواب في وجهه لم يبق أمامه سوى صعود سفح جبل أبي قبيس، وأطل على مجلس زعماء قريش، ونادى بأعلى صوته (١٩):

يا آل فهر لمظلوم بضاعته
ببطن مكة نائي الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته
يا للرجال وبين الحِجر والحَجر

البيت هذا لمن تمت مروءته
وليس للفاجر المأفون والغدر

وعند سماع تلك الاستغاثة الإنسانية الصادقة، قام أحد أشراف بني عبدالمطلب، واسمه الزبير بن عبدالمطلب فقال للزيدي: «لبيك جاءتك النّصفة، والله إن هذا ظلم لا يصبر عليه ولا يترك» (٢٠)، وسارع في الحال إلى بيت رجل من وجهاء قريش اسمه عبدالله بن جدعان، الذي قام بدوره ونهض فنادى في أفناء قريش وأحيائها: هلم يا أشراف مكة إلى بيتي نبرم حلفًا ينصر المظلوم، ويأخذ على يد الظالم. فاستجاب له نفر من أهل الغيرة والمعروف من بني هاشم وبني المطلب، وبني أسد وهم قوم خديجة، وبني زهرة أخوال النبي صلى الله عليه وسلم، وبني تيم، ومنهم ابن جدعان نفسه، فأبرموا، في ذي القعدة في شهر حرام، وهم قيام حلفًا تعاهدوا وتعاقدوا بالله بموجبه ليكونن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه، ما بلّ بحر صوفة، أي: إنه دائمًا وأبدًا (٢١).

لقد تمخض عن اجتماع حلف الفضول إصدار إعلان شامل يسمى إعلان دار ابن جدعان، الذي يمكن صياغة محتواه في مادتين على النحو الآتي (٢٢):

المادة الأولى: أن لا يظلم بمكة غريب، ولا قريب، ولا

حر، ولا عبد، إلا كانوا معه، حتى يأخذوا له حقه، ويردوا إليه مظلمته، من أنفسهم، ومن غيرهم.

المادة الثانية: أن لا يدعوا بمكة كلها، وفي الأحابيش، مظلومًا يدعوهم إلى نصرته، إلا أنجدوه، أو يبلغوا في ذلك.

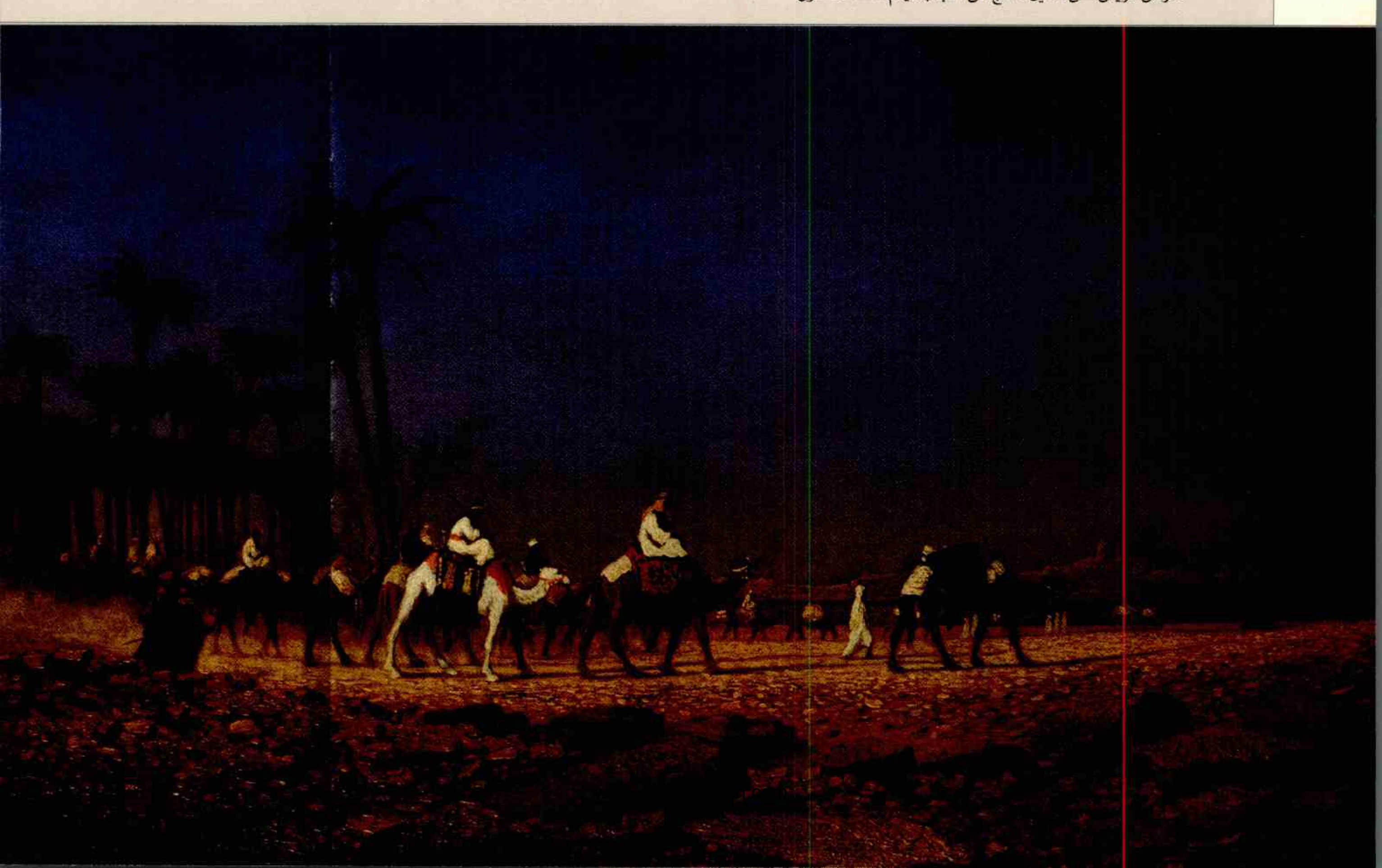
غير أن هناك من يرى بأن سبب إنشاء حلف الفضول يعود بالدرجة الأولى إلى حاجة المجتمع القريشي إلى الأمن والاستقرار، بعد حرب الفجار، التي دفعت قبائل قريش إلى الاجتماع في دار عبدالله بن جدعان للتفاوض في أمر إحلال الأمن والسلام في مكة؛ لأن حياة أهل مكة تقوم على الوافدين إليها من الحجاج والتجار، وما حادثة العاص ابن وائل السهمي إلا ترجمة عملية لهذا الانفلات الأمني.

ومهما يكن من أمر فإن هذه الحادثة، وغيرها كثير، تدل على أن الأمور قد اضطربت في مكة، إلى درجة بات عصب الحياة فيها، وهي التجارة، مهددًا، وهذا أمر يسيء إلى أهلها، ويلحق أبلغ الأضرار باقتصادها، ويؤثر سلبًا في سمعتها التجارية العالمية، إضافة إلى قداستها الدينية. وهذا كله راجع إلى افتقاد مكة آلية سياسية وأخلاقية لردع المعتدين، وإنصاف المظلومين.

وضعية مضطربة كهذه التي تعيشها مكة، في هذه الفترة، أقلقت الكثيرين، وكانت سببًا رئيسًا وراء ذلك القرار الحاسم الذي اتخذه الأقوياء والعقلاء في قريش، القاضي بضرورة تحمل المسؤولية لوضع حد للتدهور الخطير في مجال حقوق الإنسان؛ نتيجة لتفشي ظاهرة الظلم.

ومهما تكن الأسباب وراء إنشاء حلف الفضول فإن

حرص قريش على تأمين الحج من أسباب قيام حلف الفضول



المهم يبقى إلى أي مدى سينجح هؤلاء الأقوياء والعقلاء في مشروعهم القائم على الانتصار للمظلوم؟

### أطراف الحلف المتعاقدة

كانت أطراف الحلف تتكون من أحياء قرشية تتمتع بثقل سياسي واقتصادي وأخلاقي داخل قريش وخارجها، وهذا في رأيي ما أكسبها القدرة على إنفاذ مقررات الحلف. وهذه الأحياء هي:

- حي بني هاشم: ومنهم العباس بن عبدالمطلب الذي كان من كبار أغنياء مكة، بل امتدت ثروته إلى يثرب فتملك بستانًا فيها، ومنهم أبو لهب الذي قال في حقه القرآن الكريم: ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ وهو توصيف بالغ الدلالة على غناه.

- حي بني تيم: وعلى رأسهم عبدالله بن جدعان، الذي عقد الحلف في داره، والذي من شدة غناه كان يكنى بحاسي الذهب، إذ كان يشرب في كؤوس من الذهب الخالص، ومنهم أيضًا عبدالله بن أبي قحافة المعروف بعد إسلامه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه، الذي هو من كبار التجار في مكة.

- حي بني أسد: ومنهم يزيد بن زمعة الأسود الذي هو الآخر من كبار الأغنياء في مكة.

- حي بني زهرة: وهم من الذؤابة العليا من قبيلة قريش، وقد صاهرهم عبدالمطلب بزواجه من هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وزوج ابنه الأصغر عبدالله، آمنة بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة، أم النبي صلى الله عليه وسلم.

إن اجتماع إرادة هذه الأحياء ورغبتها الأكيدة في الوصول إلى قرارات يلتزمها الجميع، على الرغم من التنافس الشديد بين هذه الأحياء من أجل السيادة والريادة، كان عاملاً رئيسًا في إخراج وثيقة دار عبدالله بن جدعان إلى الوجود.

- بعض الشخصيات المؤسسة للحلف: سنقصر حديثنا على شخصيتين مهمتين أدتا دورًا محوريًا في إعداد وثيقة،

**تسمية الحلف بالفضول مرده حضور ثلاث شخصيات من أشراف قريش اسم كل واحد منهم فضل**

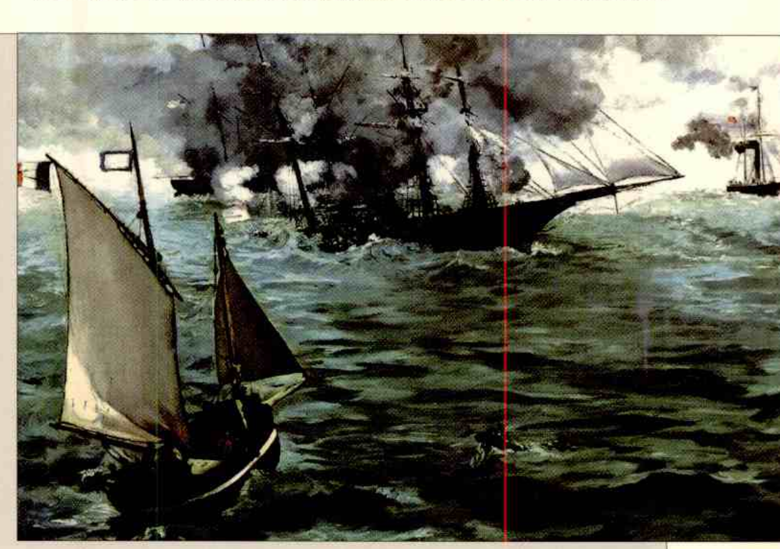
أو إعلان دار عبدالله بن جدعان حول نصرة المظلوم، وهاتان الشخصيتان هما:

أ- الزبير بن عبدالمطلب: الزبير بن عبدالمطلب هو الابن الأكبر لسيد مكة عبدالمطلب، وأكبر أعمام النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو عم شقيق له، والزبير وأبو طالب (واسمه عبد مناف) وعبدالله إخوة أشقاء أمهم فاطمة بنت عمر المخزومية. وكان الزبير يكنى بابنه الطاهر، الذي كان من أظراف فتيان قريش المشهود لهم بالاستقامة والسيرة الحسنة وبه سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه الطاهر.

وأخبر الزبير أن ظالمًا كان بمكة قد مات فقال: «بأي عقوبة كان موته» فقيل له: «حتف أنفه» فقال: «وإن فلابد من يوم ينصف الله فيه المظلومين» (٢٣).

وتجمع المصادر على أن الزبير بن عبدالمطلب (٢٤) كان أول من تكلم عن حلف الفضول، وكان أول الداعين إلى إنشائه.

ب- عبدالله بن جدعان: هو عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة سيد تيم، وهو ابن عم والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان من الكرماء الأجواد في الجاهلية المطعمين للمسنين، وكان في بدء أمره فقيرًا معدمًا، وكان شريرًا مولعًا بارتكاب الجنايات حتى أبغضه قومه


سفن أوربا جابت العالم بحثًا عن العبيد


الضغوط الشعبية كانت وراء الإعلانات الأوربية

وعشيرته وأهله وقبيلته، وحتى أبوه.

وخرج الرجل ذات يوم في شعاب مكة حائرًا تائهًا مقررًا وضع حد لحياته، فرأى شقًا في جبل فظن أن يكون به شيء يؤذي، فقصده لعله يموت فيستريح مما هو فيه، فلما اقترب منه إذا ثعبان يخرج إليه ويثب عليه. فجعل يحيد عنه فلم يغن عنه ذلك شيئًا، فلما دنا منه إذا هو من ذهب وله عينان هما ياقوتتان فكسره وأخذه، ودخل الغار، فوجد به قبور لرجال من ملوك جرهم، ومنهم الحارث بن مضاض، الذي طالت غيبته، ولم يدر أحد أين ذهب، ووجد عند رؤوسهم لوحًا من ذهب فيه تاريخ وفاتهم، ومدة حكمهم، وعندهم من الجواهر واللآلئ والذهب والفضة شيء كثير فأخذ حاجته ثم خرج.

وقبل مغادرته الغار وضع علامة على الباب ثم انصرف إلى قومه، فأعطاهم حتى أحبوه ومن ثم قبلوا به سيدًا عليهم، وجعل يطعم الناس، وكلما قل ما بين يده من ذهب لجأ إلى ذلك الغار فأخذ حاجته ثم رجع (٢٥). وكان من شدة غناه أنه استطاع تجهيز (٢٦) مئة رجل بالسلاح في حرب الفجار (٢٧) الرابعة.

وبشأن عبدالله بن جدعان قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها للرسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن ابن جدعان كان يطعم الطعام، ويقري الضيف، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟»، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا، إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» (٢٨).

### ردود الفعل على مقررات حلف الفضول

لقد كان رد الفعل إيجابيًا إذ نوه الشعراء بهذا الإنجاز الإنساني الضخم، الذي حققته قريش، وحازت به قصب السبق على غيرها من الأمم والحضارات، وخصوصًا في بلاد الروم، وبلاد فارس.

ويقول في هذا الشأن الزبير بن عبدالمطلب -

**الإعلان الصادر عن حلف الفضول قبل البعثة بعشرين سنة، هو من أهم إعلانات حقوق الإنسان، أقدمها، وأعدلها**

صاحب فكرة الحلف، وأحد مؤسسيه البارزين - منوها بهذا الإنجاز وبصانعيه (٢٩):

حلفتُ لنعقِدَنْ حلفًا عليهم
وإن كُنّا جميعًا أهلَ دار
نسمّيه الفضولَ إذا عقدنا
يعزُّ به الغريبُ لذي الجوار
ويعلمُ من حوالي البيت أنّا
أباةُ الضَيْم نمنعُ كلَّ عار
إن الفضولَ تعاقدوا وتحالفو
ألاّ يقيمَ ببطن مكة ظالمُ
أمرٌ عليه تعاقدوا وتواثقوا
فالجارُ والمعْترُّ فيهمْ سالمُ

وإلى جانب ما قاله الشعراء، أشادت شخصيات مكية رفيعة بحلف الفضول وبمقرراته، نذكر منها عتبة بن ربيعة بن عبد شمس الذي قال وهو يشيد بحلف الفضول: «وا عجبًا والله لو أن رجلاً خرج من قومه ونسبه لحلف لخرجت من قومي إلى حلف الفضول» (٣٠)، غير أن أسمى تلك الإشادات جميعها وأكثرها دلالة على أهمية الحلف ما روى الحميدي عن سفيان عن عبدالله عن محمد وعبدالرحمن ابني أبي بكر قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد حضرت في دار ابن جدعان حلفًا في الجاهلية، ولو دعيت إلى مثله لأجبت، أن ترد المظالم إلى أهلها، ولا يعز ظالم مظلومًا» (٣١)، وفي رواية أخرى لطلحة الندى وهو طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري، قاضي مكة في القرن الأول للإسلام، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما أحب أن لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم، ولو دعيت به لأجبت» (٣٢).

ما دلالة هذه الإشادة وهذا الإقرار من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إن دلت على شيء فإنما تدل من جهة، على مدى الأهمية التي توليها رسالة الإسلام لمسألة

**حلف الفضول يمثل من جهة، أحد معالم التطور التاريخي لحقوق الإنسان، وترسيخ مبادئها**

حقوق الإنسان، وتدل من جهة أخرى، على أن القاعدة الأخلاقية لهذا الحلف تتطابق (٣٣) كل التطابق مع تلك الأخلاق الفطرية التي هي جوهر الأخلاق الإسلامية.

### الإعلان بين النظري والتطبيق

إن ما تعاقد وتواثق عليه سادة قريش لم يبق حبرًا على ورق، بل وضع فورًا موضع التنفيذ: ففي الحال توجه أعضاء الحلف، والموقعون على وثيقته إلى بيت العاص بن وائل، وأجبروه على التزام قرار الحلف، وفعلاً أعاد إلى اليمني حقه. وقالت قريش بعد ذلك هذا فضول من الحلف، فسمي (٣٤) حلف الفضول، وقيل إن تسمية الحلف بالفضول مرده حضور ثلاث شخصيات من أشراف قريش اسم كل واحد منهم فضل، وهم: الفضل بن فضالة، والفضل بن وداعة، والفضل بن الحارث، وقيل: هم الفضل بن شراعة، والفضل بن وداعة، والفضل بن قضاعة (٣٥).

وبعد هذه الحادثة بقليل وقعت حادثة أخرى تمثلت في محاولة اغتصاب أحد السادة القرشيين بنتًا لأحد زوار الكعبة: فقد ذكر قاسم بن ثابت أن رجلاً من خثعم قدم مكة حاجًا، أو معتمرًا صحبة ابنته التي تسمى القتول، وقيل تسمى(٣٦) الدريرة، وهي «من أوضأ نساء العالمين» (٣٧) فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج وأخفاها. فقال الخثعمي: من يساعدني على هذا الرجل؟ فقيل له: عليك بحلف

الفضول، فوقف عند الكعبة ونادى يا لحلف الفضول. وما هي إلا لحظات حتى لبى نداءه رجالات حلف الفضول، وجاؤوه وقد اخرجوا سيوفهم من أغمادها دليلاً على حزمهم وعزمهم وهم يرددون: جاءك الغوث فما حاجتك؟ فقال: إن نبيهًا ظلمني في بنتي، وانتزعها مني قسرًا، فساروا معه حتى وقفوا على باب داره فخرج إليهم فقالوا له: أخرج الجارية ويحك! فقد علمت من نحن، وما تعاقدنا عليه، فقال: أفعل، ولكن متعوني بها الليلة، فقالوا: «لا والله ولا شخب لقحة»، فأخرجها إليهم وهو يقول (٢٨):

راح صحبي ولم أُحَيِّ القتولا
لم أودعهم وَداعًا جَميلا
إذا أجدّ الفضولَ أن يمنعوها
قد أراني ولا أخاف الفضولا
لا تخالي أني عشية راح الركـ
ـب هنتم عليّ أن لا يزولا

وهناك حادثة أخرى تدخل فيها الحلف، وفحواها أن رجلا يدعى لميس بن سعد البارقي من بني أسد، وقيل: هو قيس ابن شيبة السلمي، قدم إلى مكة بتجارة فاشتراها منه أبيّ بن خلف الجمحي، غير أن هذا الأخير ظلمه في تجارته.

وقد عبر لميس عن هذا الظلم بقوله (٣٩):

يا لقصي كيف هذا في الحرم
وحرمة البيت وأخلاق الكرم
أظلم لا يمنع مني من ظلم

ولما راح التاجر يبحث عن من يساعده في استرجاع حقه، ويردع الظالم، لم يجد أحدًا، غير أنهم نصحوه قائلين: عليك بأهل حلف الفضول. وبالفعل تقدم التاجر الأجنبي بشكواه للحلف: فطلب الحلف من التاجر أن يذهب إلى أبيّ محملاً إياه رسالة تلزمه برد الحق إلى صاحبه، وقالوا للتاجر لميس فإن رفض فعد إلينا، وأخبره بذلك، فلم يجد أبيّ أمام هذا الإصرار بدًا من إعطاء لميس حقه كاملاً.

**إعلان دار عبدالله بن جدعان هو إعلان عالمي يتعلق بنصرة كل مظلوم بغض النظر عن دينه وجنسه وعرقه**

وقال بهذا الصدد أبيّ (٤٠):

وتأبى لكم حلف الفضول ظلامتي
بني جمح والحق يؤخذ بالغصب

لقد أثبت سادة قريش ووجهاؤها، بمثل هذه التصرفات، أن لهم من جهة، أساسًا من الفضائل، وخلفية من الأخلاق، حتى قبل بعثة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق، ومن جهة أخرى، قدرة هؤلاء على تنفيذ ما تعاقدوا بشأنه، ولاقى قبولاً من الضمير الجمعي القرشي.

ومن هنا يصبح لزامًا على المتحالفين التزام تنفيذ مقررات الحلف بشتى الوسائل والسهر عليها، وبجميع الطرائق، بما فيها استعمال القوة عند الضرورة. وهذا ما تم بالفعل كما سبق أن وضحنا في حالات تدخل الحلف.

وهكذا فإن حلف الفضول يمثل من جهة، أحد معالم التطور التاريخي لحقوق الإنسان، وترسيخ مبادئها، كما أنه من جهة أخرى، أول هيئة مدنية (٤١) تعنى بنصرة المظلوم، والدفاع عن حقوق الإنسان، ووضع الآليات الكفيلة بتطبيق تلك النصرة، وحماية تلك الحقوق.

والواقع أن ما جاء به إعلان دار ابن جدعان حول حقوق الإنسان يلتقي بصورة أساسية مع تعريف إيف ماديو

Yves Madiot لحقوق الإنسان (٤٢).

وأهمية الحديث عن إعلان دار عبد الله بن جدعان الصادر عن حلف الفضول يكتسي أهمية بالغة لكونه يؤكد في المقام الأول أن مفهوم حقوق الإنسان ليس غريبًا عن الثقافة العربية الجاهلية، والثقافة العربية الإسلامية، بل هو مفهوم يضرب بجذوره في أعماق تاريخنا وتراثنا. وإذا أضفنا إلى ما جاء به إعلان حلف الفضول ما أورده الإسلام عن حقوق الإنسان من حيث الحماية والتكريم، فإننا نصل إلى أن احترام هذه الحقوق، في مفهومها الواسع، يشكل مكونًا أساسيًا من مكونات الثقافة العربية الإسلامية، بل هو مدارها وجوهرها، وتؤكد في المقام الثاني قدرة الثقافة والفكر العربي الإسلامي على المشاركة الإيجابية في تطوير آليات تطبيق حقوق الإنسان وحمايتها ونشرها وعدم الوقوف إزاءها موقف الناقل، أو المترجم، إن لم نقل موقف المتلقي.

فإلى متى نبقى نصدق طروحات الغربيين في هذا المجال كما في غيره من المجالات وما أكثرها، حتى ولو كان فيها كثير من التجني على حقائق التاريخ، والجغرافيا، والمنطق؟

لقد حان الوقت، في رأيي، لنعود بصدق وبعزيمة إلى تراثنا لنسأله، ومن دون شك سنجد في غضونه الإجابة الشافية والمقنعة. ونحن إذ نقوم بذلك فإننا ندافع عن ريادتنا التاريخية في مجال تنظيم الدفاع عن حقوق الإنسان والانتصار للمظلومين والمستضعفين، وهذا الدفاع سيكون ذا أثر إيجابي في الدفاع عن مصالحنا، ومكانتنا الإنسانية، في زمن تعمل فيه دوائر الغرب البحثية والإعلامية، ومن ورائها السياسية والدينية على رسم صورة مهينة لراهن الإنسان العربي والمسلم وتاريخه الذي ينظر إليه كسجل طويل لانتهاك حقوق الإنسان.

**لقد بلغ من أهمية حلف الفضول أن وثقه الناس بفاعليته، وأصبح وثيقة مرجعية يتم اللجوء إليها حتى بعد مجيء الإسلام**

## مقارنة بين مضمون إعلان دار ابن جدعان ومضامين الإعلانات الأوربية

إن الإعلان الصادر عن حلف الفضول قبل البعثة بعشرين سنة، أي: في شهر ذي القعدة عام ٥٩١م (٤٣)، هو من أهم إعلانات حقوق الإنسان، وأقدمها، وأعدلها وأكثرها وضوحًا وصدقية، بل وواقعية. وقد سمي بذلك؛ لأن رجالات قريش تحالفوا على مكافحة الظلم، بما يتسم به مفهوم الظلم من الدقة والوضوح، وهو تحالف تقوده القيم والمبادئ الإنسانية، التي لا تعبأ بالمصالح الخاصة، ولا تفرق بين الأعراق والأجناس والديانات، ولا تحابي مقربًا أو محببًا أو معظمًا، فالحق في مفهومهم أحق أن يتبع، والحق عندهم أحق بأن ينتصر له.

وقد تداعت قبائل من قريش فاجتمعوا في دار عبد الله ابن جدعان لشرفه وكبر سنه، حيث تحالف بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو أسد بن عبدالعزى، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة، تعاقدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلومًا - من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس - إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته.

ومن خلال ما جاء به إعلان دار عبدالله بن جدعان وما جاءت به الإعلانات الأوربية يمكن القول: إن:

- إعلان دار عبدالله بن جدعان هو إعلان عالمي يتعلق بنصرة كل مظلوم بغض النظر عن دينه وجنسه

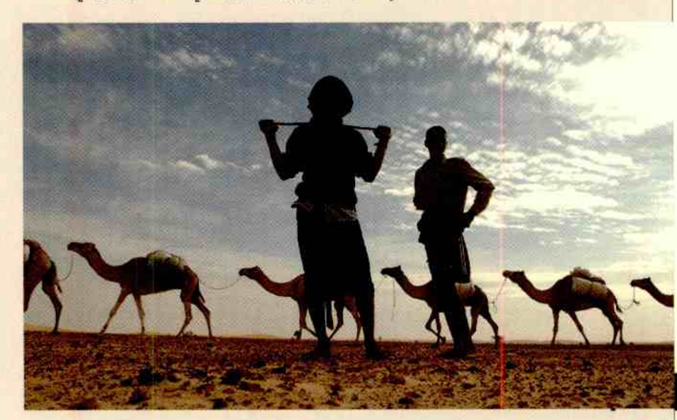
وعرقه. وبغض النظر عن كونه يقيم في مكة، أو يلجأ إليها، وأما الإعلانات الأوربية فهي محلية تتعلق فقط بمعالجة قضايا الشعب الذي ظهرت الوثيقة على أرضه، ومن ثم فهي لا تشمل الشعوب الأوربية فضلاً عن شعوب العالم الأخرى.

- إعلان دار عبدالله بن جدعان هو نتاج تطور طبيعي في العقلية العربية القرشية، ووعي بخطورة تفشي ظاهرة الظلم بين الناس، التي يروح ضحيتها الضعفاء والغرباء، وأما الإعلانات الأوربية فهي لا تعدو كونها إصلاحات داخلية محدودة، وفي كثير من الأحيان ظرفية.

- إعلان دار عبدالله بن جدعان لم يصدر فقط لمعالجة حادث معزول قائم على عدم احترام قواعد البيع والشراء، بمعنى استجابة لصرخة ذلك الرجل اليمني، وإنما صدر ليؤسس لمعالجة جذرية لمشكلة الظلم والظالمين ببطن مكة، على العكس من ذلك نجد أن الإعلانات الأوربية جاءت نتيجة ضغط شعبي على السلطة الحاكمة، بمعنى أن تلك الإصلاحات ذات طابع مؤقت وافقت عليها تلك السلطة مكرهة وحفاظًا على مصالحها.

- إعلان دار عبدالله بن جدعان لم يبق حبرًا على ورق، وإنما وضعت له آلية للتنفيذ تتمثل في تعهد الأقوياء

إعلان دار ابن جدعان يحمي الشخص من أي اعتداء



بتنفيذ بنوده، ووضع بالفعل هذا التعهد - كما أشرنا آنفًا - موضع التنفيذ في أكثر من حالة، وهذه خاصية لا تتوفر عليها الإعلانات المحلية الأوربية، بل حتى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في وقتنا الحاضر.

- إعلان دار عبدالله بن جدعان لاقى القبول والرضا من العامة، وخصوصًا المجتمع القرشي، كما أنه لم تكن هناك أية مقاومة لهذا الإعلان، خلافًا للإعلانات الأوربية التي لم تكن ترضي كل الشرائح، وبعضها قام على الدماء، كما هو الشأن بالنسبة إلى إعلان الثورة الفرنسية الذي أزهقت من أجله أرواح بشرية كثيرة، كما هو الحال بالنسبة إلى جماعة الجروند في بوردو، جريرتها الوحيدة معارضة الثورة، ومبادئها العلمانية على وجه الخصوص.

- إعلان دار عبدالله بن جدعان ليس إعلانًا إيديولوجيًا، ولا سياسيًا، وإنما كان إعلانًا لدواع إنسانية وأخلاقية بحتة، بخلاف الإعلانات الأوربية، وعلى الأخص إعلان الانقلاب على الملكية أو ما يسمى «الثورة الفرنسية».

- إعلان دار عبدالله بن جدعان يؤكد من خلال تطبيق بنوده مبدأ ترابط حقوق الإنسان وعدم قابليتها للانقسام، وهو أمر لم يتم الاهتمام به في إعلانات ومواثيق حقوق الإنسان وأنظمة حمايتها إلا في وقت حديث جدًا.

- إعلان دار عبدالله بن جدعان يتحدث بطريقة غير مباشرة عن الخصوصية «كحق عام» يمتد نطاقه لحماية الشخص من جميع أوجه الاعتداءات أيا كان مظهرها، أو طبيعتها. والخصوصية تعد أحد حقوق الإنسان الأساسية الذي أثار جدلاً واسعًا ولا يزال، ولعله الحق الذي يعاد التركيز فيه بشكل متعاظم في الوقت الحاضر.

- إعلان دار عبدالله بن جدعان يعود تاريخه إلى أواخر القرن السادس الميلادي، أي: قبل البعثة المحمدية بعشرين سنة، الذي يوافق عام ٥٩١م، وهو هنا يسبق بنحو أكثر من ستة قرون أول «إعلان أوربي» وهو الماقنا كارتا



وثيقة استقلال الولايات المتحدة جسدت أيدلوجية فئة على حساب أخرى

الذي يعود إلى عام ١٢١٥م.

ولقد بلغ من أهمية حلف الفضول أن وثقه الناس بفاعليته، وأصبح وثيقة مرجعية يتم اللجوء إليها وقت الحاجة، حتى بعد مجيء الإسلام، حيث يروى في هذا الصدد أن الحسين بن علي نازع الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والي المدينة في مال بينهما، فقال له الحسين: «أحلف بالله لتنصفني من حقي، أو لآخذن سيفي، ثم لأقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لأدعو بحلف الفضول... وقد أنصف الوليد الحسين بعد ذلك» (٤٤).

ألا يعد هذا الإعلان أول ثورة حقيقية يشهدها العالم على الظلم أيًا كان مصدره، وأيًا كانت المكانة الاجتماعية لمرتكبيه؟

## استنتاج

لقد كان حلف الفضول المنعقد في دار عبدالله بن جدعان تجمعًا تنادت فيه المشاعر الإنسانية؛ من أجل الخروج بمقررات كفيلة بنصرة الإنسان المظلوم، والدفاع عن الحق الضائع، فكان إعلان دار عبدالله بن جدعان الذي يتميز عما جاء بعده لكونه إعلانًا لم تحدثه سلطات، ولا قوى دولية، بل أنشأته قوى اجتماعية بدوافع إنسانية، وإحساس وجداني عميق، بضرورة نصرة المستضعف والمظلوم، بغض النظر عن دينه، وعشيرته، وبلاده.

إن مفهوم حقوق الإنسان هو إذًا مفهوم متطور ومتغير بحكم تطور الحياة البشرية وأوضاعها المادية، وظروفها الاقتصادية والاجتماعية، وهو فوق كل ذلك إنتاج مجتمعات الشرق قبل الغرب، وثمرة جهود عدة نخب على مر العصور.

ومن هنا تبدو أهمية القراءة المفاهيمية المغايرة، لما هو مكتوب حول موضوع حقوق الإنسان من طرف الغربيين، لكونها آلية مهمة جدًا في تطوير الكتابة وتحديثها، والبحث في أركيولوجيا حقوق الإنسان كما في غيرها، ومن ثم إبراز إسهامات الحضارات الأخرى ومنها مساهمة الحضارة العربية الإسلامية في كثير من القضايا، التي يحاول التاريخ الغربي احتكارها وإبرازها بصفتها منتوجًا يخص الحضارة الغربية المسيحية دون سواها.

إن ما قلناه، والذي حاولنا أن نكون موضوعيين في طرحه، ألا يدل دلالة واضحة على أسبقية العرب وسكان الجزيرة العربية على الخصوص - في الخروج إلى العالم، في عام ٥٩١م، بإعلان حول حقوق الإنسان مقصده الأول والأخير نصرة المظلوم بكل الوسائل، وبغض النظر عن انتماء هذا المظلوم الجغرافي، والعرقي، والديني؟.

## المراجع والهوامش

١- لقد اعتمدنا في تحديد تاريخ صدور إعلان دار عبدالله بن جدعان المتعلق بنصرة المظلوم اعتمادًا على الحقائق التاريخية الآتية:
- صدور الإعلان كان قبل البعثة بعشرين سنة.
- البعثة المحمدية كانت في عام ٦١١م، وعليه ٦١١م - ٢٠ سنة = ٥٩١م.

٢- بشير عاني: جورج جبور: حلف الفضول أقدم وثيقة بشرية في مجال حقوق الإنسان، (موقع الاتجاه الآخر كوم)، وثيقة سحبت في ٢٥ مارس عام ٢٠٠٤م.

٣- البريطانيون يزعمون أنهم الأسبق في وضع أسس حقوق الإنسان، حينما أصدروا الماقنا كارتا .Magna Carta التي تمت صياغتها في ١٢ يونيو عام ١٢١٥م، وهو نص عام مكون من ثلاث وستين مادة، وجهه الملك إلى العامة والخاصة في البلاد. وتنص المادة الأولى منه

على أن الحرية ممارسة كل الحقوق والحريات، وحرية الانتخاب لكنيسة إنكلترا، وكذلك منح حقوقًا كثيرة لكل الأشخاص الأحرار المقيمين في المملكة، وهي تقيد حق التصرف الملكي بالأموال العامة، ويعطي الميثاق في المادة ١٣ كل الحريات والتقاليد الحرة القديمة في البر والبحر، لكل المدن والقرى في البلاد، كما أعطت الوثيقة ضمانات للمحاكمة والإدانة، وحظرت الاعتقال والسجن ونزع الملكية والنفي، أو إعلان شخص حر خارجاً عن القانون، وخارج محاكمة عادلة.

٤- الأمريكيون يزعمون أنهم السباقون في صياغة مبادئ حقوق الإنسان، وأن الفرنسيين ليسوا سوى مقلدين لهم، وحجتهم أن وثيقة إعلان الاستقلال الولايات المتحدة l (indépendance des USA Déclaration de) تحمل تاريخ ١٧٧٦م، ومن ثم فهي أسبق زمانيًا من الثورة الفرنسية. وقد جاء في مقدمة الوثيقة التي وضعها ممثلو الولايات المتحدة الأمريكية ما يأتي: «إننا نعد الحقائق الآتية من البديهيات: خلق الناس جميعًا متساوين، وقد منحهم الخالق حقوقًا خاصة لا تنزع منهم: الحياة، والحرية، والسعي وراء السعادة».

٥- الفرنسيون يزعمون أنهم أول شعب أعلن حقوق الإنسان: ففي ٢٦ أغسطس عام ١٧٨٩م حين تسلم رجال الثورة (الانقلابيون) الحكم في فرنسا، ونشروا بيان حقوق الإنسان والمواطن، Déclaration des Droits de l Hommes et des citoyens تحقيقًا للمثل العليا والمبادئ الرفيعة التي دعا إليها الفلاسفة الفرنسيون، ثم جعلوا هذا البيان مقدمة للدستور الفرنسي عام ١٧٩١م، وبذلك أضفوا عليه صبغة قانونية متميزة. وقد لخصوا حقوق الإنسان في ثلاثة مصطلحات: الحرية، والمساواة، والأخوة.

٦- وتتمثل في الآتي:

-Edit de Milan. 1313.

-Edit de Nante ou Edit de Tolérance. 1598.

٧- الزبيري محمد العربي: مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، المؤسسة الجزائرية للطباعة- الجزائر عام ١٩٨٥م، ص ٧٥.

٨- عبدالرحمن بن خلدون: المقدمة، ط.١، دار الفكر، بيروت عام ١٩٨١م.

٩- نصرة المظلوم والدفاع عن حقوق الإنسان، البلاغ، (موقع بلاغ كوم)، وثيقة سحبت في ١٥ ديسمبر عام ٢٠٠٥م، نقلاً عن ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص. ص ٥٩ -٦٠.

١٠- ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق أحمد عبيد، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٣م، نقلاً عن أحمد أبو الوفاء: «الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز ومسائل حقوق الإنسان» رسالة قسم الدراسات والبحوث في الإسلاميات، جامعة ستراسبورق - فرنسا، السنة الثانية، الجزء الثاني، العدد الأول، شتاء عام ١٩٩٨م، ص ٧٣.

١١- نقلاً عن المرجع نفسه.

١٢- لقد انتقلت السيادة على ولاية مكة من خزاعة إلى قريش بقيادة قصي بن كلاب عام ٤٤٠م، حيث اجتمعت لها السقاية، والحجابة، والرفادة، واللواء. وهذا ما جعل مكانة قريش تتعاظم، واحترامها ونفوذها بين القبائل يتزايد.

١٣- لقد أراد أبرهة الأشرم بناء كنيسة في اليمن يصرف إليها الحجاج العرب، ومن ثم يحول تجارة قريش إلى صنعاء. ومن أجل تجسيد هذه الفكرة راسل أبرهة قيصر الروم طالبًا منه العون والمساعدة في تشييد الكنيسة، فقدم له البنائين المهرة والمواد الأولية الضرورية، من رخام وفسيفساء. لقد أثار هذا العمل حفيظة الضمير العربي: فخرج رجل من بني مالك بن كنانة إلى اليمن، ودخل الكنيسة، وعبث بأسسها، فأثار ذلك الفعل حفيظة أبرهة، وأقسم على الانتقام بهدم الكعبة، حيث جهز جيشاً كبيراً تتقدمه الفيلة وسار على رأسه وعسكر بقرب مكة في مكان يقال له المغمس في طريق الطائف يرجم فيه الحجاج قبر أبي رغال دليل أبرهة على هدم الكعبة.

لقد وجد القرشيون والعرب عموماً أنفسهم عاجزين عن حماية كعبتهم، كما هم عاجزون اليوم عن الدفاع عن قدسهم أمام أخطار الهدم الحقيقية، التي يقوم بها أبرهة العصر الصهاينة المجرمون.

أرسل أبرهة الأسود بن مقصود إلى مكة فصادر ممتلكات القرشيين وغيرهم ومن بين ما صادر ٢٠٠ بعير لسيد قريش عبدالمطلب. فحاولت قريش، وكنانة وهذيل، ومن كان بالحرم رد العدوان، لكن رأوا أن لا طاقة لهم بجيش أبرهة. ثم بعث أبرهة حناطة الحيري إلى مكة ليقابل عبدالمطلب، ويبلغه رغبة إبرهة في مقابلته، وليشرح له هدفه من القدوم إلى مكة، فلما وصل مع وفد من قريش إلى معسكر أبرهة، قال لترجمانه: «حاجتي إلى الملك أن يرد على مئتي بعير أصابها لي»، فلما سمع أبرهة هذا الكلام من سيد قريش، قال لترجمانه: «قل له كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتني. أتكلمني في مئتي بعير قد أصبتها لك، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه ؟، أجابه عبدالمطلب إجابة العاجز عن صد العدوان والدفاع عن الحرم: «إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربًا سيمنعه»، وعرض على أبرهة ثلث أموال تهامة من أجل أن يعدل عن هدم الكعبة، فرفض. فغادر عبدالمطلب والوفد المرافق له المعسكر مذمومًا مدحورًا وهو يقول:

يا رب لا أرجو لهم سواك ... يا رب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا ... أمنعهم أن يخربوا قراكا

وأمام تصميم أبرهة وعجز قريش والعرب عن الدفاع عن أنفسهم فضلاً عن الدفاع عن مقدساتهم، تدخلت العناية الإلهية، حيث أرسل الله طيرًا من البحر تشبه الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار: حجر في المنقار وحجران في الرجلين بحجم حبة الحمص، أو العدس إذا أصابت فردًا قتلته. وهكذا هزم أبرهة وجيشه شر هزيمة.

وهذه الواقعة مؤكدة قرآنًا، حيث يقول الله تعالى في سورة الفيل : ﴿ألم تر

كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرًا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول﴾.

حول هذا الموضوع انظر: حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص. ص ٤٤-٤٥.

١٤- نقلاً عن المرجع نفسه، ص ٤٥.

١٥- كانت قوافل التجارة تنظم في رحلتين: رحلة الشتاء Caravane dhiver إلى اليمن ورحلة الصيف Caravane d été إلى الشام. وكان بنو عبد مناف يتوجهون على رأس القوافل التجارية فكان هاشم يشرف على قوافل التجارة مع الشام، وعبد شمس يشرف على تلك المتجهة إلى الحبشة، وعبدالمطلب كان يشرف على تلك المتاجرة مع اليمن، وأما نوفل فكان يشرف على القوافل المتجهة لبلاد فارس. لقد كان هؤلاء الإخوة بمنزلة الضامن للقوافل التجارية، حيث كان كل واحد منهم يتولى الحصول من سلطات البلدان المتاجر معها على التصريحات الضرورية للمتاجرة بكل حرية وأمان.

وفي الواقع، هذا المورد الاقتصادي هو منة من الله سبحانه وتعالى على قريش، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾.

لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع نحيل القارئ الكريم إلى كتاب العلامة الألوسي البغدادي: «سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب»، بغداد، ١٢٨٠هـ.

١٦- أبو جوهر محمد أمين: من التاريخ: حلف الفضول، نقلاً عن محمد بن إسحاق الفكاهي: «مكة في قديم الدهر وحديثه»، (موقع النور كوم)، وثيقة سحبت في عام ٢٠٠٥م.

١٧- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج١، الدولة العربية في الشرق ومصر والمغرب والأندلس، دار الجيل- بيروت، ط ١٤، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٥٥.

١٨- المرجع نفسه.

١٩- سيرة ابن هشام: حلف الفضول، ج١، ص ٢٤٢.

٢٠- المرجع نفسه.

٢١- الإمام الشيرازي: وأول مرة في تاريخ العالم، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، (موقع الشيرازي كوم)، وثيقة سحبت في ١٦ ديسمبر عام٢٠٠٥ م.

٢٢- محمد عدنان سالم: الإرهاب أم الظلم أيهما أجدر بالمكافحة؟!، (موقع الوطن كوم)، وثيقة سحبت في ١٤ مايو عام ٢٠٠٥م.

٢٣- أبو جوهر محمد أمين، مرجع سابق.

٢٤- الإمام الشيرازي، مرجع سابق.

٢٥- ناصر بن محمد الزمل: عبد الله بن جدعان، من أحاديث السمر، ص١٩٠ ، وثيقة سحبت بتاريخ ٢٠٠٤/٩/١٥م.

٢٦- حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، الصفحة نفسها.

٢٧- هي أيام حروب وقعت في الأشهر الحرم بين قبائل من عرب الحجاز. وكان عددها أربع حروب: الأولى بين كنانة وهوازن، والثانية بين قريش وهوازن، والثالثة بين كنانة وهوازن وأما الرابعة فكانت بين قريش وكنانة من ناحية وهوازن من ناحية أخرى، وقد وقعت قبل البعثة بـ ٢٦ سنة، أي: في عام ٥٨٥م.

وهذه الحرب شارك فيها النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع أعمامه، وعمره أربع عشرة سنة، وقال بهذا الصدد: «كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار، وأنا ابن أربع عشرة سنة، يعني أناولهم النبل».

وسميت هذه الحروب بالفجار؛ لأنها كانت في الأشهر الحرم، وهي الشهور التي يحرمونها ففجروا فيها.

٢٨- أخرجه مسلم.

٢٩- سيرة ابن هشام، مرجع سابق.

٣٠- المنمق من أخبار قريش، (موقع الأمان كوم)، وثيقة سحبت في ٢٤ ديسمبر عام ٢٠٠٥م.

٣١- محمد الشاويش: الإسلام والعالم، (موقع خيمة كوم)، وثيقة سحبت في ٢٨ أكتوبر عام ٢٠٠٥م، نقلاً عن سيرة ابن هشام، مرجع سابق.

٣٢- نقلاً عن محب الدين الخطيب: البيئة العربية التي بعث فيها الرسول صلى الله عليه وسلموجاء فيها الإسلام، (موقع فسطاط كوم)، وثيقة سحبت في ٢٦ أكتوبر عام ٢٠٠٥م.

٣٣- محمد الشاويش، مرجع سابق.

٣٤- الإمام الشيرازي، مرجع سابق.

٣٥- منصور عرابي: ذو القعدة.. عهود ومواثيق، (موقع رصيد كوم)، وثيقة سحبت في ١٦ ديسمبر عام ٢٠٠٥م.

٣٦- سيرة ابن هشام، مرجع سابق، ٢٤٤.

٣٧- أبو محمد عاصم المقدسي: حلف الفضول، (موقع توحيد وس)، وثيقة سحبت في ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٥، نقلا عن البداية والنهاية لابن كثير، الجزء ٢، ص ٢٩٠ .

٣٨- نصرة المظلوم والدفاع عن حقوق...، مرجع سابق.

٣٩- اليعقوبي : تاريخ البلدان، ج٢، ص١٧، نقلاً عن المرجع نفسه.

٤٠- المرجع نفسه.

٤١- نعمان عبدالغني: «حلف الفضول في دار عبدالله بن جدعان، حقوق الإنسان في الوطن العربي»، الأزمنة العربية الحديثة (مجلة إلكترونية)، عدد ٢٧٢، ١ جوان ٢٠٠٤م، (موقع حوزة نات)، سحبت الوثيقة في ٢٨ إبريل عام٢٠٠٥ م.

42- J. M. BECET. D. COLARD: Les droits de lhommes. dimensions nationales et internationales". Paris. Economica . 1982. p.p. 10-11.

٤٣- غير أن هناك من يرى أنه نشأ بمكة بحدود ٥٩٠ - ٥٩٥م، بشير عاني: جورج جبور...، مرجع سابق.

٤٤- محمد قجة، مرجع سابق.

# وجد

**بهيجة مصري أدلبي**

حلب - سورية

لكلِ حالٍ من الأحوالِ تبديلُ
وليسَ للوجدِ غيرَ الوجدِ تعليلُ

منهُ لهُ وبهِ أسعى وقدْ ولِهَتْ
روحي فخضَّبَها في الغيبِ مجهُولُ

أفضي بلوعةِ أشواقي فتأخذُني
بالشوقِ غاشيةٌ والشوقُ مسلَولُ

كأنَّني في كتابِ الغيبِ هائمةٌ
بالصمتِ مكتوفةٌ والصمتُ مجدُولُ

أُخفي وأُبدي مرارات فيسلِبُني
في رحلتي قلقٌ والحزنُ مسبُولُ

يا أرضُ هادمُنا ما زالَ يغرقُنا
كأنَّنا كلَّنا - يا أرضُ - قابيلُ

الحربُ مشرعةٌ في كلِّ زاوية
ولا غرابَ لكي يرتاحَ هابيلُ

كأنَّما أصبحتْ - يا أرضُ
صورتُنا على المدى مجرمٌ يسعى ومقتُولُ

ضاقتْ نوافذُ نفسي من خواطِرها
فطائرُ النفسِ في الآفاقِ مذهُول

أعودُ من تعبٍ والروحُ مرهقةٌ
كأنَّما قلمي - يا شعرُ - مشلُولُ

أفتشُ النفسَ عن أسرارها أبداً
فطينُها السرُّ بالأسرارِ محلُولُ

أتيتُ من حيرةٍ فاضتْ فأقلقَني
من حيرتي عتبٌ والعقلُ مشغُولُ

وحلَّ بي من ضلالِ النفس ما
حملتْ نفسي من العتم تُغويها الأضاليلُ

والقلبُ من تعبِ الأحلام أرسلَني
للوهمِ.. والحلمُ بالأوهامِ مغلُولُ

فجئتُ كي تصطفي روحي منازلَها
لأسكُبَ الدمعَ تطويني المناديلُ
أتيتُ من رحلتي أسعى ليأخذني
في البيتِ «لبيكَ» والقرآنُ ترتيلُ
أطوفُ بالبيتِ أُفضي ما ينازعُني
وأستجيرُ وطرفُ النفسِ مكلُولُ
وأمسكُ البابَ والأطرافُ متعبةٌ
والقلبُ منكسرٌ والحالُ مذلُولُ
لبيكَ لبيكَ قد تاهتْ رواحِلُنا
والحزْنُ خيَّم والإسلامُ مثكُولُ
لبيكَ لبيكَ ربَّ البيتِ قدْ ثَقُلتْ
في القلبِ آثامُنا والعفوُ مأمُولُ

أتيتُ بيتاً رسولُ الله طافَ بهِ
أرسلتَهُ رحمةً بالنورِ مجبولُ
مَنْ غيرُه في العُلى تُرضى شفاعتُه
هو الشفيعُ لنا في العرشِ مقبُولُ
نفسي معفرةٌ بالذنبِ مقبلةٌ
والعفوُ عندكَ بعدَ التوبِ مكفُولُ
لبيكَ لبيكَ هذي الأرضُ ذاهلةٌ
عن حالِها.. حالُها بالدمِّ مغسُولُ
إسلامُنا باتَ في جلبابِ غُربته
يا للغريبِ وفي شكوايَ مدلُولُ
لبيكَ لبيكَ يُنبي الحالُ عن طلبي
وفي اللسانِ نزيفُ الروحِ محمُولُ

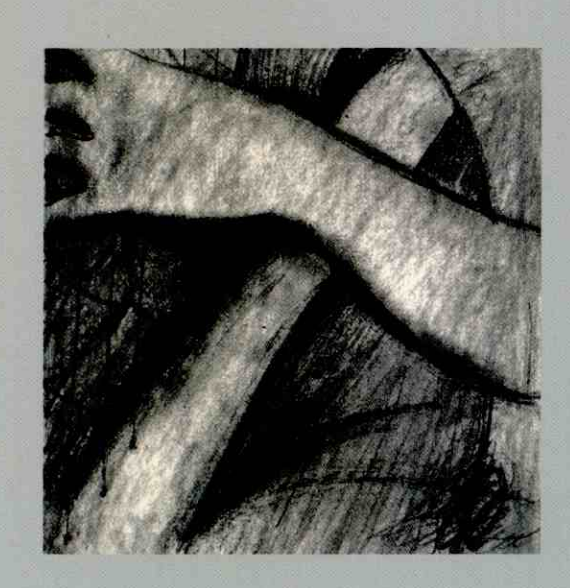


# أنا مُطَلَّقَةٌ

علي محمد عبدالمنعم
الإسكندرية - مصر

أَكُلَّمَا سُئِلْتُ عَنْ هُوِيَّتِي
تُجِيبُهُمْ بِطَاقَتِي
بِأَنَّنِي مُطَلَّقَةْ؟!!!
شَهَادَةٌ بِأَنَّنِي يَا سَادَتِي
أعِيشُ بَيْنَكُمْ مُمَزَّقَةْ
يَا وَيْلَتِي
أَكُلَّمَا نَظَرْتُ فِي الْعُيُونِ مِنْ حَوْلِي..
رَأَيْتُ وَابِلاً يَسُبُّنِي..
يا خَاطِئَةْ.. يَا خَاطِئَةْ!!!
والغَمْزُ واللَّمْزُ الْمُمِيتُ حَاطَنِي
كأنني فِي شَرْنَقَةْ
أَمَا كَفَانِي ذِكْرَيَاتٌ بَائِسَةْ
أظْلَمَ فِيهَا نِصْفُ عُمْرِي..
فِي لَيَالٍ عَابِسَةْ
يَا وَيْلَتِي
إِذَا الرِّجَالُ طَلَّقُوا لا يُسْأَلُونْ
فَحَقُّهُمْ قَدْ مَارَسُوهْ
إِذَا النِّسَاءُ دُونَ مَا جَرِيرَةٍ
طُلِّقْنَ ظُلْماً أَعْرَضَتْ..
كُلُّ الوُجُوهْ
أَصْبَحْنَ عَارًا يَنْبَغِي..
أَنْ يَغْسِلُوهْ
أَصْبَحْنَ وِزْرًا فِي الْوَرَى..
تَسَابَقُوا كَيْ يَفْعَلُوهْ
يَا وَيْلَتِي
لَمْ يَكْتَفُوا بَلْ وَاصَلُوا..
غَمْزًا وَلَمْزًا كُلَّمَا تَفَكَّهُوا

فَبَيْنَهُمْ مُطَلَّقَهْ
تَسَابَقُوا لِيَقْطِفُوا ثِمَارَهَا
لأَنَّهَا فِي ظَنِّهِمْ قَدْ أَصْبَحَتْ..
فَرِيسَةً بَيْنَ الرِّجَالِ مُطَلَّقَهْ!
لأَنَّهَا فِي ظَنِّهِمْ..
قَدْ أَصبحت أَرضًا مُباحةً..
لِكُلِّ حَارِثٍ مُهَيَّأَهْ!
يَا مَعْشَرَ الرِّجَالِ قَدْ عَرَفْتُكُمْ
تَبْغُونَنَا لَكُمْ إِمَاءً
وَتَرْتَدُونَ زَيْفَ عِفَّة..
وَتَسْرَحُونَ كَالذِّئَابِ فِي الصَّباحِ وَالمَسَاءِ!
يَا وَيْلَتِي
قَضَيْتُ عُمْرِي دُمْيَةً أَسِيرَة
أَقضي الليالي وَسْطَ جُدرانٍ تُواسِيني بِصَمْتِهَا..
وأَسْتَارٍ كَأَكْفَانٍ تُوَاسِيني بِمَوْتِهَا..
وَأَشْبَاحٍ تُوَاسِيني بِرُعْبِهَا!
وَبَعْدَ أَنْ يَأْتِي الضِّيَاءُ مُعْلِنًا..
فَجْرًا جَدِيدًا فِي الوُجُودْ
إِذا بِمَنْ يُدْعَى قَرِينِي قد أَتى.. يا فَرْحَتِي؟!!
يأتي إِليَّ مُنْهَكًا.. يَبْغِي الرُّقُودْ
يأتي إِليَّ مُتْخَمًا
من وجبة السيقانِ والأَرْدَافِ والنُّهُودْ!
يأتي إِليَّ زائغًا
تَرَنَّحَتْ سَاقَاهُ مِنْ سُكْرٍ..
وَآثَارُ المُجُونِ وَقَّعَتْ..
عَلى الشِّفَاهِ والخُدُودْ!
يأتي إِليَّ مُفْلِسًا
فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لَعُوبٌ فَرَّغَتْ مِنْهُ الجُيُوبْ
أُصَارِحُهُ:
- «يا سَيِّدي أَنا أُرِيدُ ما تُرِيدْ



هَلْ أَبْتَغِي ما تَبْتَغِي خَلْفَ السُّدُودْ؟!»
في صَرْخَة يَرُدُّ هَاذِيًا:
- «أنا الرَّجُلْ.. أنَا الَّذِي أَسُودْ
أَنْت امْرَأَةْ.. تنالُ منِّي مَا أَجُودْ
قَضَيْتُ لَيْلَتِي طَلِيقًا سَابِحًا وَسْطَ المَهَا
لا تُفْسدي لي نَشْوَتِي»
- ومَنْ يُداوي رَغْبَتِي؟!
أنَا دماءٌ لا حديد!!!
لمَ الزَّوَاجُ طَالَمَا
وَكَرُكَ سارحٌ بلا حدود؟!
أَتَهْجُرُ الحَلالَ شَهْدًا صَافِيًا..
إلى وجوه لُطِّخَتْ بكُلِّ لَوْنٍ في الوجودْ؟!
إلى دُمًى بكُلِّ عَوْرَة تَجُودْ؟!
إلى بَغَايا يَشْتَهِينَ فَتْحَ كُلِّ بَابْ؟!
أَجْسَادُهُنَّ جِيفَةٌ تَجَمَّعَتْ مِنْ حَوْلِهَا..
كُلُّ الذِّئَابْ
آبَارُهُنَّ مَرْتَعٌ لِكُلِّ دَلْوِ عَابِرٍ..
وَلَوْ منَ الكلابْ!
يَا سيِّدي لَقَدْ قَضَى رَبُّ العِبَادْ
إمَّا ارْتِبَاطًا في تَوَادْ..
أو انفصالاً عن تراضْ
- «هذا هُرَاءٌ قطَّتي
أَنْت هُنَا في قَبْضَتِي مُعَلَّقَهْ..
لا زَوْجَةٌ أَنْت.. ولا مُطَلَّقَهْ!!!»
يَا وَيْلَتِي
وَيَنْقَضِي رَبِيعُ عُمْرِي في جَفَافْ
كَأَنَّهُ السَّبْعُ العِجَافْ
وَتَذْبُلُ الأَزْهَارُ في حَدِيقَتِي
تَهَدَّلَتْ أَثْمَارُ جَنَّتِي
عَفِيفَةٌ ظَمْأَى تُعَانِي أَسْرَ ظَالِمٍ فَهَلْ أَحْيَا..
بلا مَاء ولا حَنَانْ!
وَيَنْتَهِي أَمْرِي إلى القَضَاءْ
عَرَفْتُ كُلَّ مَدْخَلٍ وَمَخْرَجٍ وَمَوْقِفٍ وَمَقْعَد..
وَمَسْنَد وكُلَّ مُرْتَشٍ وَعَابِسٍ وطَامِعٍ وظَالِمٍ..
في المَحْكَمَهْ!!!
وَكُلَّمَا آنَ الأَوَانْ
يُؤَجِّلُ القاضي حياتي بازْدِرَاءٍ قَائِلاً..
«قَرَارُنا نَبُتُّ فيه بعد عامْ!»
يمُرُّ عامٌ تِلْوَ عَامْ
يَخْبُو جَمَالي في ظَلامْ
كأنني قاطنَةٌ تحتَ الرُّكَامْ
يَا وَيْلَتي
وَبَعْدَ أَنْ طَالَ الرَّجَاءْ
أتى يَوْمُ القَضَاءْ
وَكَمْ صَبَرْتُ كَيْ أرى..
عَدَالَةَ السَّمَاءْ
مَحْكَمَةُ الرِّجالِ قَدْ تَهَيَّأَتْ..
وَهَيَّأَتْ قَاضي الجُنَاة - لا الضَّحَايَا -..
كَيْ يَبُتَّ في قَضِيَّتِي
نَادى المُنَادي سَائِلاً عَنِّي..
فَقُلْتُ هَا أَنَا
أَلَيْسَ هَذَا سَادَتِي يَوْمُ الخَلاصْ
وَنَاوَلَ القاضي مصيري في وُرَيْقَاتٍ..
ثَلاثْ
تَنَاوَلَ الأَوْراقَ عَابِسًا ولا يَدْري..
بأَنَّ في ثَنَاياها مَصِير دُنْيَتِي
يَهُزُّ رأسَهُ..
ويَقْطبُ الجبينَ في أسىً كَأَنَّهُ
يَقُولُ لا مَنَاصْ
وَيَرْفَعُ الكُوبَ الذي أَمَامَهُ..



ليَرْتَوي!
أَتَرْتَوي..
وقَدْ خَلَتْ كُلُّ العُرُوق مِنْ دَمِي؟!
تَنَحْنَحَ القاضي ونادى ظالِمي
فَرَدَّ صَوْتٌ خافِتٌ مِنْ جانبي
فَقُلْتُ لاَ شَمَاتَةً يا قَاتِلي
واسْتَبْشَرَتْ نَفْسِي..
بِحُسْنِ طَالِعي!
وَحَرَّكَ القاضي الشِّفَاهَ هَمسًا مُجَرِّبًا فَاهُ
لِيَنْطقَ الحُكْمَ الأخيرَ في قَضِيَّتي
أَكُلُّ هَذه الأناة في الوَرَى
عَجِّلْ وَقُلْ - لا فُضَّ فُوكَ سَيِّدي -!
ويَنْبَري قَاضي الجُنَاة بانْتشاء مُعْلنًا
حُكْمَ الرِّجالِ في ضَحِيَّة مُمَزَّقَةْ
لَقَدْ قَضَى - الباشا - طَلاقي حَيْثُ إنِّي..
فاسِدَةْ..
وفاسِقةْ..
وخائنةْ..
وَنَاشِزُ..
وأنني لَوَّثْتُ طاهِرًا بَريئًا بِادِّعاءَاتي..
وَأَنِّي كَاذِبَةْ!!!
لأَنَّهُمْ هُمُ الخُصُومُ والقُضاةْ
ويَمْلكُونَ كُلَّ شَيء في الحياةْ
قَدْ صَدَّقُوا ذِئبًا وَضِيعًا فَاجِرًا لأنَّهُ..
مِنْ جِنْسِهِمْ!!!
وَكَذَّبُوا ضَحِيَّةً لأَنَّهَا..
لَيْسَتَ كَمَالاً مِثْلَهُمْ..
في دينهم وَعَقْلِهِمْ
وأنها لَهْوٌ وَزِينَةٌ لَهُمْ..
في سِرِّهِمْ وَجَهْرِهِمْ
إلى متى النِّساءُ كالإِمَاء عِنْدَكُمْ؟!
إلى متى تبقى النِّساءُ كالإِمَاء عِنْدَكُمْ؟!
يَاوَيْلَتي.. يَاوَيْلَتي.. يَاوَيْلَتي!!!

# هجمة الحملان

فرديناندو سورنتينو

ترجمة: حسين عيد مادي

طبقاً لمصادر متنوعة، موثوق بها دائماً، فإن «هجمات الحملان» أصبحت شائعة في أنحاء مختلفة من بوينس آيريس والمناطق المحيطة.

تتفق كل التقارير في وصفها الهجمة: يظهر فجأة خمسون من خراف بيض - يمكنك أن تقول: «على نحو غير متوقع» - تتوجه فوراً نحو ضحية، من الواضح أنه سبق اختيارها سلفاً. تلتهم ذلك الشخص في عدة ثوان قصيرة، تاركة فقط هيكله العظمي، وبمثل ما وصلت فجأة، فإنها سرعان ما تتشتت، ومسكين هو الشخص الذي يحاول أن يعترض هروبها!. وقد سجلت عدّة حالات سابقة، قبل أن يتعلم الأبطال المأمولون من مصير أسلافهم، وحالياً لم يعد هناك من يجرؤ على اعتراض الهجمات.

ذلك، فإن أغلبية السكان كانوا قلقين من الهجمات وعواقبها، إلاّ أن أغلبيتهم كانوا بسطاء، يفتقدون التعليم، وقوة التفكير. كان أملهم قد تقلص إلى مجرد رغبة في أنه لو لم توجد تلك الهجمات. وبطبيعة الحال، فإن تلك الرغبة لم تضع نهاية للهجمات، ولم تساعد بالتأكيد على أن تحد من أسبابها أو علة وجودها.

كان خطأ هؤلاء البشر الأساسي، بقدر ما كان استغراقهم في حقائق الهجمات نفسها، هو تناسيهم الضحايا. وخلال المئة العملية الأولى، للمثال، فإن ما أرقني ليلاً هو أن وجود الخراف كان أمراً لا يقبل الجدل، وأنها لم تكن مجرد حيوانات آكلة للحوم فقط، بل مفترسة للحم البشري أيضاً. ومع ذلك، فقد لاحظت مؤخراً أني بالتركيز في تلك التفاصيل، قد أهملت شيئاً جوهرياً: هو شخصية الضحايا.

وهكذا بدأت أتقصى عن حياة الأشخاص الميتين، مستعيراً منهجي من المتخصصين في علم الاجتماع، بادئاً

بالأكثر بداهة: بيانات الاقتصاد الاجتماعي، وسرعان ما أصبحت الإحصاءات غير ذات قيمة؛ لأن الضحايا جاؤوا من كل الطبقات الاجتماعية والاقتصادية.

قررت أن أغير ما أركز فيه في استقصائي، فبحثت عن الأصدقاء والمعارف، ورتبت أخيراً أن أستخرج المعلومات وثيقة الصلة بالموضوع منهم. كانت إفاداتهم متنوعة، وأحياناً متناقضة، لكنني بدأت أسمع بالتدريج جزءاً من جملة تتكرر غالباً: «دع المسكين يرقد في سلام؛ لأنّ الحقيقة هي أن..».

أصبح لدي استبصار مفاجئ بالنسبة إلى الموقف، لا يمكن مقاومته تقريباً، وكنت متأكداً تقريباً بشكل كامل من فروضي الجرمانية يوم هاجمت الحملان الثري الدكتور ب. ر. ف.، وهو الشخص نفسه الذي كان مكتبه.. لكنني سأصل إلى ذلك فيما بعد.

لقد قادتني حالة ب. ر. ف. إلى تفهم كامل للغز بشكل طبيعي تماماً.

كنت في الحقيقة أكره نفاريو.. وبينما كنت لا أريد أن يلوث هوى كراهيتي له موضوعية التقرير الهادئة، وذلك حتى أقدم شرحاً كاملاً للظاهرة، فإنني أشعر بأنني مجبر على أن أسمح لنفسي باستطراد يرجع إلى طبيعة شخصية، وعلى الرغم من أن ذلك قد لا يهم أي شخص، فإن هذا الانحراف يعد أساسياً للناس - ما دمت أؤمن بذلك، حتى تحاكم شره فرد غني فيما يتعلق بشروط ضرورية لتفجر هجمات الحملان.

ها هو ذا الاستطراد:

في الحقيقة، إن ذروة الهجمة تزامنت مع مدة حزينة من حياتي، حين كنت مأزوماً بفقر، وارتباك، وحزن، نتيجة شعوري بأنني في قاع بئر عميقة مظلمة، وغير قادر



على تخيّل أي طريق للخروج، كان ذلك هو ما شعرت به.

كان نفاريو في غضون ذلك.. حسناً، وكما يشاع، أن الحياة قد ابتسمت له، وكان من الطبيعي أنه منذ ذلك الوقت، فإن وجوده الموضوعي الشرير كان يرتكز فقط في المال، كان ذلك هو همّه الوحيد - كسب المال - المال لذاته، ولتحقيق هذا الهدف المقدس ركز في تحقيقه كل طاقته التي لا ترحم، من دون النظر إلى الآخرين. لا يحتاج الأمر إلى التنويه بأن نجاحه كان غامراً، كان نفاريو في الحقيقة، هو ممن يمكن أن ندعوهم «بالمنتصر».

في ذلك الوقت - وقد سبق أن قلت هذا - وجدت نفسي في موقف احتياج شديد، ومن السهل أن تستفيد من معاناة أي شخص! نفاريو - ذلك النهم، الذي لم يقرأ كتاباً أبداً - كان ناشراً. ومن أجل أن تتحسن أحوالي، كان عليّ أن أقوم ببعض ترجمات ومهام تصحيح التجارب الطباعية له. لم يكن نفاريو يدفع لي أجراً زهيداً فقط، بل كان يسرّه أن يذلني أيضاً بأعذار وتأخيرات مختلفة.

(كانت المعاناة والإخفاق جزءاً من شخصيتي، وكنت قد استكنت لهما).

حين سلمته حصتي الأخيرة من العمل - ترجمة صعبة المراس وبشعة - فإن نفاريو كما حدث في مناسبات أخرى كثيرة، قال لي:

«لسوء الحظ، لست قادراً على أن أدفع لك اليوم، فلم أحصل على أي مال».

أخبرني بذلك، وهو يرتع في مكتبه السخي، بهندام حسن، تفوح منه رائحة عطر، مع ابتسامة على وجهه، بطبيعة الحال، «كمنتصر»، فكرت في حذائي المتشقق، وملابسي الممزقة، وحاجات أسرتي العاجلة، وحمولتي من الألم.

بذلت جهداً، كي أسأل:

«ومتى تعتقد..؟»

«دعنا نقم بذلك»

كانت لهجته وقائية متفائلة، كما لو كان يحاول أن يساعدني: «لا أستطيع أن أقوم بذلك يوم السبت المقبل؛ لأنني سأقوم بإجازة قصيرة على شواطئ «ريو». إذن، ليكن الموعد هو السبت التالي، عند الحادية عشرة صباحاً، تعال إلى بيتي، وسوف نسوّي هذا الحساب الصغير».

هزّ يدي بمودة، ومنحني ربتّة صداقة مشجعة على ظهري.

مضى أسبوعان، وجاء يوم السبت المنشود، وهكذا مضيت إلى شارع أونس دي سبتمبر» الجميل. جعلتني خضرة الأشجار، ورائحة الخضرة، وتألق السماء، وجمال الضاحية أشعر بأنني أكثر بؤساً.

رننت جرس الباب في الحادية عشرة وخمس دقائق.

أجابت خادمة ترتدي زيّاً خاصاً «إن السيد يرتاح الآن».

ترددت لحظة، ثم سألت:

وهل سيدة البيت موجودة؟»

سمعت صوتاً يسأل: «من الطارق، يا روزا؟»

رفعت صوتي، متشبثاً بالأمل «إنه أنا، أيتها السيدة. هل السيد نفاريو في البيت؟»

اختفى وجه روزا وحلّ محله وجه زوجة نفاريو المغطى بمستحضرات تجميل، وسألتني بلهجة ذكرتني بأحد ملوك المال، الذين يدخنون السيجار بشراهة: «ألم يتم إخبارك أن السيد يرتاح؟»

«نعم، يا سيدتي، لكن كان لدينا موعد في الحادية عشرة..»

ردّت بأسلوب غير قابل للاستئناف «نعم، لكنه دخل الآن فقط ليرتاح».

«ربما يكون قد ترك شيئاً لي؟» سألت متغابياً، كما لو أنني لا أعرف نفاريو!

«لا».

«لكن كان لدينا موعد في..».

«إنني أقول لك، إنه لم يترك شيئاً، يا سيد، أرجوك لا تكن مزعجاً، يا سيد».

في تلك اللحظة سمعت صوت ثغاء وبربرة، وشاهدت وصول هجمة الحملان، تحركت إلى جانب أكون فيه بمأمن أكثر، وتسلقت السور، على الرغم من أنّ وعيي أخبرني أن الهجمة لم تكن تنشدني، ومثل إعصار قمعي، انطلقت الحملان إلى الحديقة الأمامية، وقبل أن يصل الأخير منها، كانت الحملان المتقدمة في داخل المنزل فعلاً.

امتص باب نفاريو كل الحيوانات في عدة ثوان، مثل مصرف يبتلع الماء من حوض، تاركاً الحديقة مداسة والنباتات مدمرة.

ظهرت السيدة نفاريو، عبر نافذة مصممة على نحو فاتن:

«تعال يا سيد، تعال!»

ناشدتني دامعة العينين، محتقنة الوجه.

«من فضلك ساعدنا، يا سيد!»

دخلت من دون أي حس بالفضول. رأيت الأثاث مقلوباً، والمرايا متكسرة. لم أستطع أن أرى الحملان.

«إنها بأعلى السلالم!»

أخبرتني السيدة نفاريو، وهي تدفعني باتجاه الخطر، «إنها في حجرتنا! افعل شيئاً، ولا تكن جباناً، تصرف كرجل!»

قررت أن أقاوم بثبات، لم يكن هناك شيء ضد مبادئي أكثر من مواجهة هجمة الحملان. أمكنني أن أسمع حوافر فوضى متنافرة النغمات قادمة من أعلى السلام، وأمكنني أن أرى الظهور الصوفية المستديرة، وهي تهتز بسعادة، مصحوبة ببعض حركات عنيفة متعلقة بهدف غير مرئي. لاحظت نفاريو بين القطيع للحظة زائلة، كان ذلك فقط لوهلة مشعثة ومرعبة، صرخ بشيء ما وحاول أن يهاجم الحملان بكرسي. ومع ذلك، فإنه سرعان ما غاص وسط الصوف الأبيض المجعد مثل شخص ابتلعته بعنف رمال متحركة. كانت هناك فوضى هياج مركز آخر، وضوضاء متنامية لأفكاك تمزق وتسحق، وما بين لحظة وأخرى تبرز ضجة حادة رفيعة لعظمة تتكسر. أنبأتني مناورات انسحابه الأول بأن الحملان أنجزت عملها، وسرعان ما بدأت الحيوانات الصغيرة هبوطها السريع على السلالم، أمكنني أن أرى لطخات دم على بياض صوفها الآخر غير الملوّث.

بفضول، كان ذلك الدم - بالنسبة إلي رمز إثبات أخلاقي - قد سبّب للسيدة نفاريو أن تفقد كل أمل، ما زالت تنعتني بإهانات دامعة وتخبرني بأنني جبان، ثم اقتحمت غرفة الجلوس مع سكين كبير بيديها، ولأنني كنت أعرف جيداً قدر أولئك الذين حاولوا أن يعترضوا هجمة الحملان، فقد ظللت باحتراس في الخلفية، أراقب المشهد القصير والجدير بالملاحظة لتقطيع أوصال، وتناول طعام السيدة نفاريو.

بعد ذلك وصلت الخمسين من الحملان إلى شارع «١١ سبتمبر»، وكما حدث في مناسبات أخرى، هربت مشتتة إلى المدينة.

روزا - لا أعرف لماذا - بدت متأثرة قليلاً، طيبت خاطرها بعدة كلمات قبل أن أقول، متحرراً من الكراهية، وداعاً للفتاة مع ابتسامة.

إنها حقيقة: لم أكن قد نجحت في أن أحصل من نفاريو على أجر تلك الترجمة البشعة صعبة المراس، ومع ذلك، فإن خضرة الأشجار، رائحة الخضرة، وتألق السماء، وجمال الضاحية، قد ملأت قلبي بالفرح، فبدأت أغني.

عرفت عندئذ، أن البئر المظلمة، التي غصت فيها، كانت بداية ضوء لأول شعاع من الأمل.

يا هجمة الحملان: كم أشكرك.

# صور الأصدقاء

**وليد إبراهيم قصاب**
**الرياض - السعودية**

سهام زميلتي في كلية الفنون.. فتاة رقيقة جميلة، هيفاء القامة، تتدفق حسناً وجاذبية لفتت نظري - كما لفتت نظر كثيرين - مذ كنا في السنة الأولى، فكنت أخالسها النظر من غير أن تدري.. ومع مرور الأيام أتيحت لي فرصة الاقتراب منها، والاحتكاك بها، فنشأ بيننا ضرب من المودة والاستلطاف، سرعان ما تحول إلى عاطفة جياشة عفيفة..

اتفقنا - ونحن على أعتاب التخرج - على الزواج، ورحنا نبني أحلام المستقبل، ونشيدّ في الفضاء ناطحات الأماني..

لكن سهام الجادة المتوثبة لم يكن لطموحها حد، ولا لأمانيها غاية.. كانت أحلامها أبعد من النجوم..

كنت أقول لها كلما أسرفت في التمني:

- تواضعي يا عزيزتي.. ابقي على الأرض.. أهبطي إلى دنيا الواقع، ولا تطيري فوق السحاب..

فكانت تجيبني، وهي بين الجد والهزل:

- لولا الأحلام لما تحقق الواقع.. أكثر ما تراه من واقع حولك كان آمالاً صعبة المنال..

بقدر ما كنت معجباً بطموح سهام، كنت أخاف منه، كان يعتريني دائماً إحساس بالقلق كلما رحنا نناقش أحلام المستقبل، كنت أشعر بها سابحة فوق الغيم، وأنا أحاول اللحاق بها عبثاً..

أشعر أحيانا كثيرة أن البون بيننا في المطامح والرغبات بعيد جداً، وكان ذلك يحملني على التعاسة، وأحياناً على العجز واليأس، أسأل - متجاهلاً - أأنا مخول أن تبحر معه سهام على سفينة الأحلام التي تنشد؟

كانت سهام عندما تتحدث عن عش الحياة التي تريد تبدو وكأنها تتحدث عن شريك فيه بعيد عني كل البعد، وشريك لا يمكن - مهما اجتهدت أن أشد عزمي كما تقول - أن أكونه..

وكان هذا دائماً مثار قلق خفي لي، ومبعث توجس



وحذر، ولم أكن أصرف ذلك إلا بتغيير دفة الحديث عن أحلام الغد وآمال المستقبل..

كنت أحب سهام حباً عنيفاً، وكنت أتمناها برغبة عارمة، وشوق متدفق جياش، فكنت أغير - على عجل - كل حديث يمكن أن يجرنا إلى خلاف في وجهتي النظر، ولا سيما أحاديث الأماني والرغبات..

حدث أمر لم يثر ريبتي إلا فيما بعد، أريتها ذات يوم «البوم» صور لي رحنا نقلب فيه، ونسترجع الذكريات:

- هذه صورة لي عندما كنت في الثالثة من عمري.. وهذه أخرى عندما كنت في المدرسة الابتدائية.. وهذه التقطناها في رحلة إلى اللاذقية.. وهذه.. وهذه.

وجدت نظرها يتوقف طويلاً عند صورة لي تضم اثنين من الأصدقاء في حفلة عرس لأحد أقربائنا.. رأيتها تتفرس في الوجوه باهتمام بالغ، ثم قالت:

- هذه من أروع صورك..

لم أدر ما الذي لفت نظرها في هذه الصورة؟ كنت أحسبها صورة عادية، لكنها مضت تقول وهي تتأمل الصورة بإمعان شديد:

- من هذان اللذان معك؟

- هذا الدكتور عصام صديق أخي زياد، وهو طبيب مشهور، تخرج في أمريكا.. وعاد إلى دمشق في السنة الماضية، فافتتح عيادة ضخمة في حي المالكي.. وهذا رسلان صديقي من أيام الطفولة.. وهو طالب في السنة النهائية في كلية الهندسة.. وهو ....

بدا أنها لم تعد تتابع ما أقول، بل قاطعتني سائلة:

- ما هو تخصص الدكتور عصام؟

- إنه أحد أطباء القلب اللامعين..

لم أعر تلك الحادثة في حينها أي اهتمام، ولم أربطها بشيء مما حدث بعد ذلك.. أصبحت سهام تكثر الحديث عن أحلامها، وتطيل في ذلك إطالة تشعرني بالضآلة.. ثم لاحظت أن علاقتها بي تفتر شيئاً فشيئاً.. أصبحت تتجنب أن تنفرد بي.. وكلما دعوتها لنجلس في حديقة الكلية، أو نشرب شيئاً في «الكافتيريا» اعتذرت متعللة:

- مشغولة.. عندي موعد مع صديقة لي.. أحس بالصداع.

ثم لاحظت أنها أصبحت تنقطع عن بعض المحاضرات أحياناً، ولما سألتها عن ذلك قالت:

إنها تحضر في الشعبة الأخرى المسائية؛ لأن وقتها أنسب..

استغربت، وقلت لها:

أنت من أول العام تحضرين في شعبتنا الصباحية.. ماذا جرى؟

ماذا جرى.. هل تهرب مني؟ قلت هذا بيني وبين نفسي.. لم أشأ أن أقوله أمامها.. عزت عليّ كرامتي.. أجابت:

- صحيح.. ولكني اضطر - أحياناً - أن أذهب مع والدتي إلى طبيب القلب.. لم أدر لمَ لَمْ أطمن إلى جوابها.. أحسست أنها تراوغ، وأنها تحاول أن تبتعد عني..

ولم تكن كرامتي تسمح أن ألاحقها، أو أن أظل أجري وراءها.. قلت في نفسي:

- أتركها وشأنها بعض الوقت.. ولا بد أن تثوب إلى رشدها.. ولكن سهام تزداد ابتعادًا عني.. تتظاهر أحياناً بأنها لا تراني.. بل أصبحت تدخل إلى قاعات المحاضرة متأخرة لتجلس بمنأى عني، إنها كمن تحاول أن تقطع ما بيننا عروة عروة..

حاولت أن أجد تفسيراً لذلك.. قلت في نفسي:

- هل أزعجتها في شيء؟.. لا أذكر.. هل رأت مني ما يريب؟ لا أظن.. ورحت أستحضر في ذهني علاقتنا البريئة الجادة.. كانت أصفى من الماء الزلال، وأرق من نسائم الصباح.. ماذا غيرها؟ كنت أتفانى في إرضائها.. أنقل لها المحاضرات.. وألخصها.. أشرح لها ما غمض من الدروس.. وكنت أتجنب الكلام مع أي زميلة من زميلاتها في الجامعة حتى لا أثير حفيظتها أو غيرتها.. ثم إننا تعاقدنا على الزواج.. هل يعقل أنها نسيت أو تخلت بهذه البساطة؟..

قررت أن أضع حداً لهذه الجفوة الطارئة.. وقفت يوماً أنتظرها خارج القاعة، ولمّا خرجت وهي تتظاهر بأنها لم ترني «كسرت على أنفي بصلة» واقتربت منها قائلاً:

- سهام.. ما بالك؟ لماذا تعاملينني بهذا الأسلوب؟

بدت مرتبكة متعجلة، قالت من غير أن تحاول الوقوف:

أي أسلوب؟

لا تعرفين؟

أبداً.. ولكن ظروفي أصبحت حرجة.. وقد بلغ والدي أني أكلم بعض الزملاء فغضب غضباً شديداً وهددني بمنعي من الحضور إلى الجامعة إن تكرر ذلك..

كان كلاماً غريباً أسمعه منها أول مرة.. فيه رائحة الجفوة والتنكر. أحسست أن سهماً يخترق سويدائي، وحملت على كرامتي قائلاً وأنا أشعر أن كل شيء بيننا يوشك أن ينهد:

- ولكننا متحابان.. متفقان على الزواج.. أليس كذلك؟ هكذا أذكر.. هل نسيت أنت؟ سكتت.. قلت أستحثها وهي تمضي غير متوقفة وغير محاولة أن تنظر إليّ:

لم تجيبي..

قالت بعد إلحاح ما لا يصدق:

أنس ذلك.. جدت في حياتي ظروف معينة تجعل هذا الموضوع غير وارد على بالي.. اتركني أرجوك..

مضت تخب الخطا، بقيت وحدي ذاهلاً. أمعقول ما حدث؟ عرتني مشاعر شتى: الاستياء، والحزن، والإحساس بالمهانة، شممت بأنفي رائحة الغدر.. كان

كلامها كوخز الإبر.. ما أصعب أن تشعر فجأة أنك كنت تعيش في وهم كبير، أو أن ما ظننته حلماً وردياً يتكشف عن سراب خادع!!.

عشت أياماً صعبة وقاسية، ولكن كرامتي منعتني من أن أبدو أمام أحد خائراً أو منهاراً.

كان صديقي أشرف هو الوحيد الذي يعرف ما بيننا، وكان وحده يحس بما أعاني.. ويدرك أني لا أزال أفكر في سهام.. قال لي يوماً ونحن خارجان من المحاضرة:

- من الخير لك أن تنسى موضوع سهام نهائياً..

قلت له مصطنعاً اللامبالاة:

- من قال لك إني لم أنس؟

- لم تنس.. وأنت تفكر فيها.. أنا أعرف.. ولكنها يا صاحبي لا تستحق.. البنت خطبت..

- خطبت؟

صحت غير مصدق بألم وحسرة:

- خطبها طبيب مشهور..

نزل الخبر عليّ نزول الصاعقة، تجدد حزني وحسرتي، ورحت أجتر المهانة والإحساس بالغدر.

كان يمكن أن ينتهي كل شيء عند هذا الحد، وكانت الأيام وحدها كفيلة أن تبرئ كل جرح..

ولكن مفاجأة أخرى حدثت نكأت ما يمكن أن يندمل.

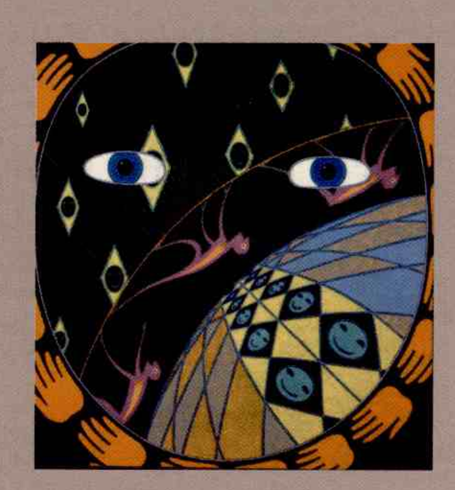
خرجت ذات يوم من الجامعة لأجد سهام واقفة عند بوابتها الرئيسة.. بدت كأنها تنتظر أحداً.. لم تلاحظ وجودي.. وما هي إلا لحظات حتى جاء الشخص الذي تنتظره.. لم أصدق عيني.. خيل إليّ أنني أحلم.. حدقت فيه طويلاً.. كان الدكتور عصام صديق أخي الذي رأته سهام معي في الصورة التي أعجبت بها..

ما هذا؟ ما تفسيره؟ أهذا معقول؟ أهو من قبيل المصادفة؟ .. مستحيل.

حسبت أن الأرض ستميد بي.. طوحتني الخواطر والظنون يميناً وشمالاً، قرعت مسامعي عبارة أشرف صديقي:

- خطبها طبيب مشهور..

تقدمت منها أريد أن أقول شيئاً، ولكن الطبيب المشهور كان قد تأبط ذراع سهام، ومضى بها يعبران الشارع إلى سيارة فخمة تنتظرهما في الطرف الآخر..



# إيضاح:
# حول رسالة الجراح

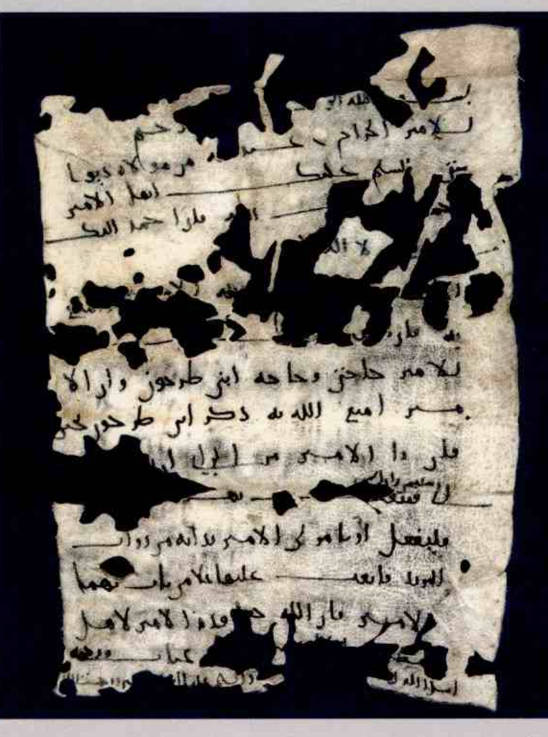
من خلال الأسطر الآتية أود توضيح نقطة مهمة تخص الدراسة العلمية التي تم لي تقديمها إلى مجلة الفيصل، وقد جاءت عنونتها: «رسالة الجراح الحكمي وجغرافية الدولة الإسلامية»، التي نشرت في مجلة الفيصل، في إصدارها الأخير في عدديها رقم ٣٧٣ - ٣٧٤ المؤرخين في رجب وشعبان لسنة ١٤٢٨هـ يوليو - سبتمبر ٢٠٠٧م.

فهذه الدراسة اعتنت بدراسة وثيقة نادرة، وهي كناية عن رسالة من أحد ولاة الجراح الحكمي واسمه «ديواقشين» إلى الجراح نفسه، وكان والياً للخليفة عمر بن عبدالعزيز في بلاد القوقاز والصغد وداغستان، وهذه الرسالة كانت قد حملت مع مجموعة من الأوراق والكتابات التي تعود إلى تاريخ الرسالة، وهو سنة ١٠٠ هـ، إلى مدينة سان بطرسبرج - أكاديمية العلوم الروسية -، وقد أشار المستشرق الروسي إلى تاريخ تملكها، فكان ذلك عام ١٩٣٣م، وقد حملت من طاجكستان، وهذه الوثيقة في أهميتها وندرتها لا تقدر بثمن؛ لأنها أرخت للوجود الإسلامي في تلك البلاد.

هذا وقد رغبت أن تكون مجلة «الفيصل» صاحبة الريادة في مثل هذه الدراسة، فتقدمت بها للنشر، وقد نشرت الدراسة كاملة غير منقوصة إلا من صورة الوثيقة، التي بنيت عليها الدراسة لكونها دراسة وصفية، لتاريخها، وخطها، ومواصفاتها. والدراسة لأي وثيقة إما أن تكون دراسة عن نص مكتوب، وإما دراسة وصفية، وهي التي كانت. لكن إدارة التحرير في المجلة قد أسقطوا هذه الصورة ظناً منهم أن حالها المتهالك لا فائدة منه، وهنا يتحمل القائمون على تحرير المجلة مثل هذا الأمر وليس صاحب الدراسة، فقد تم لي مراجعتهم مرة واحدة، ثم أتبعتها بأخرى حاملاً معي صورة الرسالة المبينة، مع قاعدة كبيرة من الصور والخرائط لبلاد تلك الوثيقة، بوصفها مواد مساعدة تقوم عليها هذه الدراسة.

وعندما شاهدت الإصدار مع سقط متعمد لصورة الوثيقة التي تقوم عليها الدراسة كلها، انتابني كثير من الأسي والحزن على القارئ الذي يريد أن يشاهد صورة هذه الوثيقة، وما أثلج صدري وجود دراسة علمية نادرة عن الوجود الإسلامي في روسيا في الصفحة (٥٩) من هذا الإصدار، لكاتبه مراد مورتازين، فكلا الدراستين مهمتين في غرضهما العلمي، والتقتا على مسار واحد، فإذا كانت دراسة مراد هذه قد اعتنت بالوجود الإسلامي في روسيا وتاريخه، فقد وثقت الدراسة الثانية

# ردود وتعقيبات



المعنية برسالة الجراح الحكمي ما جاءت الدراسة عليه في سياق نصها، فكلا الدراستين شكلتا ملفاً علمياً موثقاً عن تاريخ الوجود الإسلامي في روسيا.

وهنا كان لزاماً عليَّ أن أبين لقراء المجلة ومحبيها أن هذا الخطأ قد وقع فيه قسم تحرير المجلة، وليس صاحب الدراسة، وقد وجدت إتماماً للدراسة وما اعتراها من خلل بسبب هذا السقط العلمي، أن ننشر الصورة النفيسة بشكلها الذي هي عليه محفوظة في متحف أكاديمية العلوم الروسية، التي وصفها علماء التحقيق بأنها من أقدم الوثائق السياسية الإسلامية في تاريخه السياسي، بعد الرسائل النبوية الشريفة التي اتفق على صحتها علماء التحقيق، ولعل البيان هذا، مع الإيضاح، قد يعوض ما فات، على أمل عدم الوقوع في مثل هذه الأمور من قبل القائمين على التحرير ثانية.

مع أملي الكبير أن تبقى مجلة «الفيصل» قاعدة الوصل والتواصل مع إرث هذه الأمة الحضاري والعلمي، ماضية في طريقها من نجاح إلى نجاح.

والله أسأل أن يوفق القائمين عليها لما فيه خير البلاد والعباد.

عبدالكريم إبراهيم السمك

الرياض - السعودية




## تفسير التاريخ..

# اتجاهات ومدارس

رعد محمود البرهاوي

الرياض - السعودية


هيغل

عرف عن الدكتور نعمان السامرائي نشاطه العلمي الـدؤوب، فقد صدر لـه (٢٠) كتابًا في مجال الشريعة والسيرة الذاتية، وتفسير التاريخ والعقيدة.. فضلاً عن بحوثه العلمية ومقالاته الصحفية الكثيرة. والكتاب موضوع التعريف هو آخر ما صدر له.

يتكون من مقدمة وتمهيد ومن قسمين الأول: يحوي ثلاثة فصول، والثاني: يضم أربعة فصول، تناول المؤلف في المقدمة أهمية الموضوع على صعيد الفرد والجماعة والأمة، وأن محبته للتاريخ هي التي دفعته إلى دراسة تاريخ العرب في مختلف مراحله، وسوغ إعادة النظر في كتاب تفسير التاريخ استنادًا إلى خطة تركز (في أهم ما في الموضوع وهما: اتجاها التفسير، والمدارس التي تعمل في هذا الميدان) ص١٤، وفي التمهيد تناول مصطلح فلسفة التاريخ، وأول من طرح هذا المصطلح هو الفيلسوف الفرنسي فولتير، ثم جاء هيغل، وفيكر.. ويرى أن الهدف من تفسير التاريخ هو الاستنتاج والتنبؤ بالأحداث والبحث عن العلل.

## القسم الأول اتجاهات حركة التاريخ

يتكون هذا القسم من ثلاثة فصول، الأول: في التعريف وسبب الاهتمام بالتاريخ، إذ عرف التاريخ بأنه: «علم قديم هدفه تسجيل الوقائع والأحداث، والتثبت من حصولها، لذا لا تخلو أمة منه» ص٣١. أما فلسفة التاريخ فهي قانون للتقدم يسير عليه التاريخ العالمي خاضعًا لعقل عام، وأن روح العالم هي القوة الرائدة لتقدمه، وأن عباقرة العالم وأبطاله هم الأدوات التي تتخذها الروح بهدف الوصول إلى مراميها. ثم تناول المؤلف أسباب الاهتمام بعلم التاريخ وتفسير التاريخ الذي يمكن حصره في رغبة الإنسان في تفسير الأحداث لا سيما الكبرى منها التي تؤثر في مسيرة الأمم والشعوب.

أما الفصل الثاني اتجاهات التفسير فتناول فيه التفسير بعامل واحد أو أكثر، ويبدأ الفصل بالتساؤل: (ما هو واجب المؤرخ؟ وهل يكتفي بذكر الوقائع بعد التثبت منها، أم يتعدى علمه إلى تفسير وتعليل ما حدث) ص٣٧، ويرى أن الإجابة يجب أن يشترك فيها المؤرخ، وعالم الاجتماع والفيلسوف وحتى الهواة، فالأمر يستحق هذا العناء مادام يتعلق بمستقبل البشرية. وإذا كانت مدارس التفسير تراوح

بين من يرى أن هناك أكثر من عامل يصنع الحدث ومن يرى أن الأمر لا يتعدى صنع عامل واحد لا غير، وهكذا ذهب بعضهم إلى أهمية العرق (الجنس). وقد شاع هذا المفهوم في أوربا في القرنين (١٧و ١٨) وأنتج لنا فيما بعد النازية والفاشية، اللتان أكدتا فكرة النقاء العنصري، في حين نرى آخرين ركزوا في أهمية العامل الجغرافي ودوره في ظهور حضارة وادي الرافدين ووادي النيل، حيث أحواض الأنهار الكبرى مع الأرض والمناخ ودورها في استقطاب الإنسان، ومع ذلك فإن هناك حضارات قامت مع شح الأرض والعوامل المساعدة الأخرى، مثل حضارة اليابان، فالإنسان له القدح المعلى إلى جانب (عوامل مساعدة مثل الأرض والمناخ) ص٤٢.

في حين رأى آخرون أن العامل الاقتصادي هو الحاسم، مثل: الماركسية، فعوامل الإنتاج مسؤولة عن كل شيء ولا خيار للإنسان. في حين رأى فريق رابع أن العوامل الاجتماعية غير الاقتصادية هي الحاسمة، متأثرين بنظرية دارون وتنازع البقاء. كما ذهب آخرون إلى عامل العقيدة، فهي: العمود الفقري للحضارة، بل إن (الحضارة تسقط في اللحظة التي تكون فيها قوة الإنسان أكبر من قوة الدين) ص٤٧.

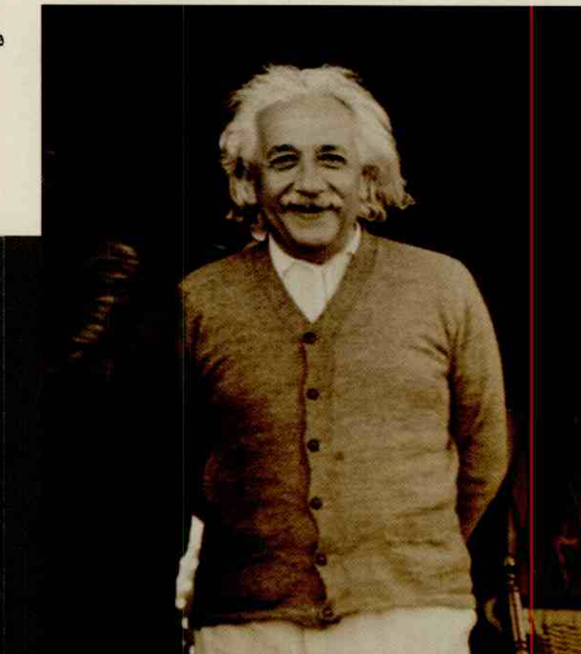
وذهب فريق سادس إلى عامل المعرفة، ولا يجادل أحد في قيمة هذا العامل، إلا أنه ليس العامل الحاسم.

في حين نجد فريقًا سابعًا ذهب إلى أن من يصنع التاريخ هو البطل من خلال الأفراد المبدعين، وهكذا ذهب أينشتاين، وكاريل إلى إعطاء كل شيء للبطل القائد، في حين ذهبت الماركسية إلى الشعب، فالفرد (لا معنى ولا قيمة لوجوده إلا إذا عاش في جماعة ليحقق شيئاً) ص٥١.

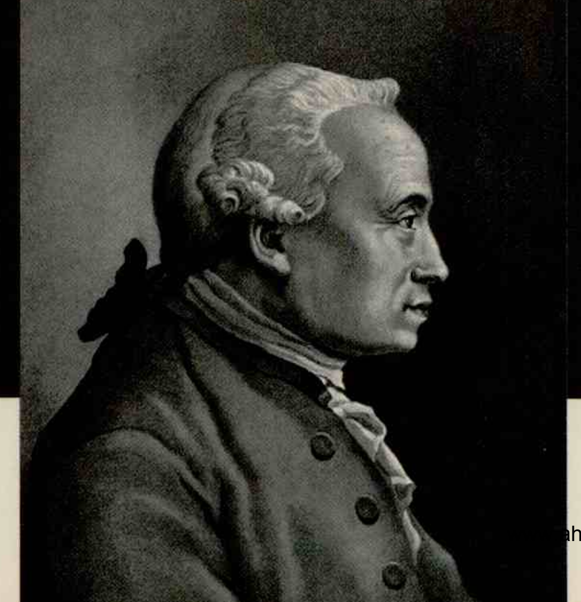
وفي كلا الرأيين غلو وتطرف، كما ذهب إلى ذلك المؤرخ البريطاني توينبي في كتابه «دراسة في التاريخ»، فالعلاقة بين الفرد والجماعة قوية.

وذهب فريق ثامن إلى العلاقة بين الحضارة،

أينشتاين



كانت



والكائن العضوي، فالحضارة والمجتمع مثل الإنسان كائن عضوي يمر بدورة حياة، ومن أكبر مؤيدي هذه النظرية أشبنجلر، وهنا أيضًا مغالاة غير واقعية في تفسير مسيرة الحضارات.

أما الفريق التاسع فيرى تأثير الفتوحات العسكرية التي شهد العالم الألوف منها، من صغيرة وكبيرة، ومع الدور الكبير للحروب في صياغة الأحداث وتوجيه مسارها، إلا أنها ليست الحاسمة، فالعجز عن صد الاعتداءات الخارجية ليس هو السبب في سقوط الحضارة، وإنما الانهيار الذي يسبق ذلك في قلب تلك الحضارة.

أما العامل العاشر فهو شبكة العلاقات الاجتماعية، ومن أصحاب هذه النظرية الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي، إذ يرى أن بقاء الحضارة يعود إلى قوة شبكة العلاقات الاجتماعية، فإذا تحللت سقطت، ويرد على ذلك المؤلف بأن هذا العامل لا يكفي بل لا بد أن (يصاحب ذلك ويواكبه فساد أوسع وأشمل وأعم) ص٥٥.

وفي مبحث حركة التاريخ يرصد المؤلف ثلاثة آراء:

الأول: حركة التقدم الصاعد، وهذه النظرية مع أنها يونانية الأصل إلا أن أبرز من دعا إليها حديثاً هو هيغل، وماركس، وأنجلز.

والثاني: أن الحضارة في نكوص، ودليل هؤلاء غلبة الشرور، وتدهور القيم الجمالية، ومن أبرز دعاتها جوته، وبرنارد شو، وألبرت شفيتز. ويرى المؤلف أن أي حضارة يمكن لبعض مقوماتها أن تتقدم والمقومات الأخرى أن تتأخر، فالأمر ليس شاملاً.

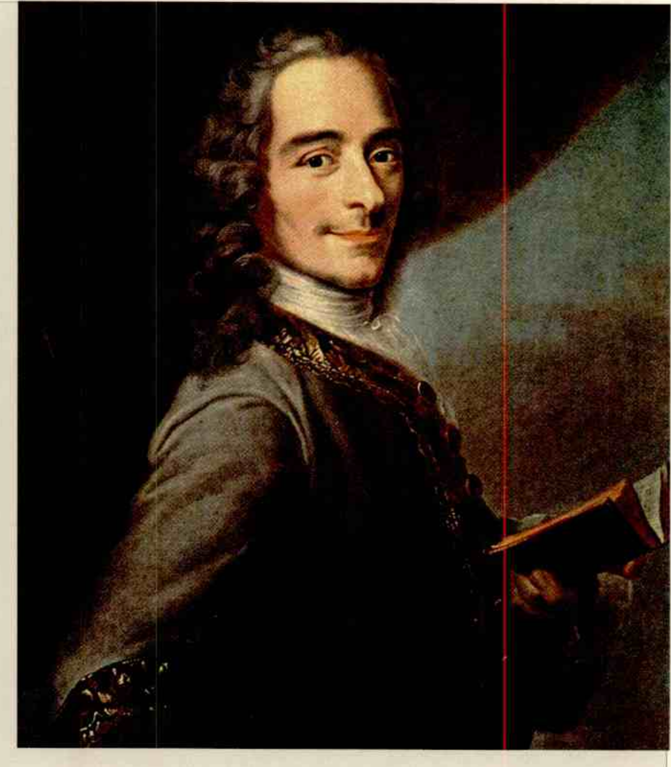
والرأي الثالث: أن هناك دورات حضارية قد تكون مغلقة أو مفتوحة، ومن أبرز أنصارها ابن خلدون، وأشبنجلر، وفيكو، وتوينبي. ففيكو يرى أن هذه المراحل تكون ثلاث اللاهوائية، والبطولة، والإنسانية، ومن أبرز ما تنتقد به هذه النظرية أن هذه المراحل متداخلة ومعهودة في المجتمع الواحد، ولا تختلف نظرية أشبنجلر عن هذه النظرية من حيث تشبيه دور الحضارة بالفصول، وشتاء الحضارة عندما تنصرف إلى الاهتمامات المادية والفتوح العسكرية فتكون مقدمة لانحلالها وانهيارها، وقد لقيت هذه النظرية نقدًا في الغرب لتشخيصها حتمية سقوط الحضارة الغربية.

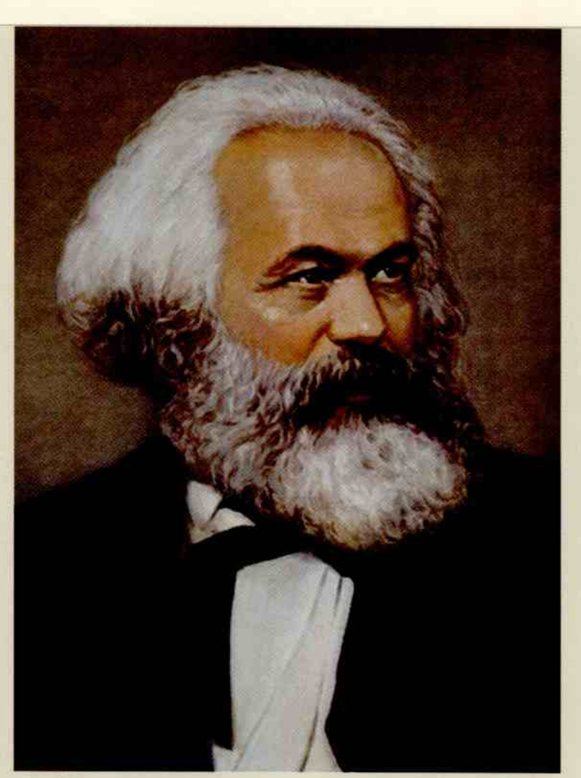
أما توينبي - المؤرخ والفيلسوف البريطاني - فهو قد طرح مساءلة حول حركة الحضارة بأنها حركة شاملة متقدمة إلى الأمام، ناتجة من حركة دورية جزئية من خلال (حركة متجهة إلى غاية (أمامية أو خلفية)، وحركة تدور حول نفسها وتعود إلى ما كانت عليه) ص ٧٠، ومع ذلك يمكن القول: إن حركة التاريخ لا تلتزم خطًا معينًا، وإن محاولة اتخاذ قانون يحكم حركة التاريخ عملية في غاية الصعوبة.

**الفصل الثالث: في أشهر المفسرين**

تناول المؤلف في هذا الفصل ستة مفسرين، أولهم: ابن خلدون الذي تكمن قيمة أفكاره في العمران، في مقدمته، وليس في كتابه، وقد أستند في دراسته إلى تجربته السياسية، والعمل العقلي، والدراسة النظرية: إلا من حقيقة التداول القرآنية ﴿وتلك الأيام نداولها بين

**أفضل ما قدمته الماركسية للعالم هو نقدها القوي للرأسمالية وتعريتها تعرية كاملة.. أما تفسيرها للتاريخ فهو أشبه بالأسطورة**


فولتير


ماركس

الناس﴾ آل عمران: ١٤٠. قد أثرت بشكل حاكم في فلسفته للتاريخ (فلا يبقى المتقدم متقدمًا وكذلك المتخلف، فليس التحضر يصيب أمة، بعينها، ولكن من استوفى تقدم حتى ولو كان كافرًا) ص٨٢، وكذلك التأخر لكل من استوفى شروط التأخر ولو كان مؤمناً، وهو يرجع التغير في الدول إلى جملة من العوامل، مثل: المناخ، وعدالة الدولة، واتساع سلطانها، وكذلك العوامل الاقتصادية والمعرفية.

ثانيًا: هيغل صاحب التفسير الذي يعد من أنصار فلسفة وحدة الوجود متأثراً بالفلاسفة كانت، وفيخته، وشلينج، وهو صاحب الديالكتيك الذي يعني الجدل، والذي هو أيضًا طريقة للتفكير، واعتمد عليه في تفسير المجتمع والتاريخ والدولة.

ويمكن القول: إن التاريخ من وجهة نظر هيغل هو صراع المتناقضات، أي: الإثبات والنفي ونفي النفي. فالفكرة تولد ضدها، ويستمر الصراع حتى تتحد المتناقضات في وحدة عليا. وحتى تصل الفكرة إلى (المطلق)، الذي يخلو من التناقض، الذي هو روح العالم. وإن كل عهد يأتي يكون أفضل من سابقه.

**يرى الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي، أن بقاء الحضارة يعود إلى قوة شبكة العلاقات الاجتماعية، فإذا تحللت سقطت**

وقد ظهر أثر فلسفته في كارل ماركس وتلاميذه، الذين أعلنوا أن تاريخ البشرية ما هو إلا صراع بين الطبقات من أجل المادة وبسببها، وأخيرًا يلاحظ أن هيغل يبالغ في قيمة الدولة حتى يعدها تجسيدًا (للكل المطلق).

ثالثًا: التفسير المادي للتاريخ: إن أول من قال بالتفسير المادي هم اليونان، وآخر من تبناه هو ماركس وتلاميذه، فقد أخذ الديالكتيك من هيغل، والمادية من فيورباخ، وفرقوا بين ماديتين التاريخية والجدلية، ووصفوا المادية التاريخية: (بأنها علم الاجتماع الاشتراكي) ص٩٣، حيث يمكن من خلاله أن نفسر التاريخ وحركته، وبعبارة أدق تقوم كل الأنظمة الاجتماعية على قوى الإنتاج، وإن تطور المجتمع ليس

الحضارة العثمانية لم تستكمل دورتها



## التاريخ من وجهة نظر هيغل هو صراع المتناقضات، أي: الإثبات والنفي

فيه مكان للمصادفة وإرادة البطل ولا إرادة الله، وإنما هناك الحتمية التاريخية؛ وأن تاريخ العالم هو صراع بين الطبقات من أجل المادة وبسببها، وأن مراحل هذا الصراع هي خمس مراحل: الشيوعية، ومرحلة الرق، ومرحلة الإقطاع، ومرحلة الرأسمالية، ومرحلة الشيوعية الثانية التي فيها ينتهي الصراع، ولا تبقى هناك حاجة إلى الدولة، ولا للجيش، ولا لوسائل القهر والاستغلال. وأن أحسن نقد يوجه إلى هذه المرحلة هو وصف جارودي لها عندما وصفها بالخيالية، وهي وإن صدقت في بعض مراحلها على الغرب لا تصدق على بقية أنحاء العالم، وأخيرًا يمكن القول: إن أفضل ما قدمته الماركسية للعالم هو (نقدها القوي للرأسمالية وتعريتها تعرية كاملة.. أما تفسيرها للتاريخ فهو أشبه بالأسطورة) ص١٠٩.

رابعًا: توينبي والتفسير الحضاري: يفسر توينبي التاريخ بحركة المكوك التي سبق ذكرها، وقد درس في كتابه «دراسة في التاريخ» الحضارات التي قامت مثل المصرية، والسومرية، والبابلية، والحيثية، والسريانية، والهيلينية، والإيرانية، والعربية، والهندوكية...

وإن محرك التاريخ في نظره هو التحدي والاستجابة، وهنا يفسر قيام الحضارات في حوض النيل والرافدين وغيرهما، فالجفاف الذي أصاب الشمال الإفريقي استجاب له الناس عبر الهجرة إلى وادي النيل وأقاموا الحضارة (لكن فريقًا بقي في مكانه فظل بدويًا في عيشه وقيمه ومثله) ص١١١، وهؤلاء سكان الصحراء

**أول من قال بالتفسير المادي هم اليونان، وآخر من تبناه هو ماركس وتلاميذه، فقد أخذ الديالكتيك من هيغل، والمادية من فيورباخ**

الكبرى المصرية. ويحصر شروط التحدي والاستجابة بشرطين أساسيين:

- ألا يكون التحدي صعبًا، بحيث يعجز الإنسان عن التعامل معه، مثال ذلك مناطق الإسكيمو، حيث البرد والثلج فلم يستطع الإنسان إقامة حضارة.
- ألا يكون التحدي سهلاً، بحيث لا يثير دوافع الإنسان ويحفز قابليته، مثل المناطق الاستوائية حيث المناخ الملائم، وتوافر الماء والشمس.

وفي مبحث النمو الحضاري يرى أن هناك حضارات لم تستكمل دورتها وتوقفت، مثل الحضارة العثمانية، وهناك حضارات استكملت دورتها وانتهت، مثل الحضارة السومرية، والمصرية القديمة.

وعن أسباب انحلال الحضارات فمع أنه لا يتبنى الحتمية التي قال بها ابن خلدون، وأشبنجلر، إلا أن (أفكاره تؤدي إلى القول بها على استحياء) ص١١٩. فهو يرى أن ضعف القوى المبدعة في الأقلية المسيطرة، وتحولها إلى سلطة تعسفية سرعان ما تنقلب إلى أقلية مسيطرة فيحدث انفصال بينها وبين الأكثرية، وسرعان ما يأتي السقوط نتيجة حروب داخلية أو خارجية.

وعلى الرغم من القبول الذي لقيته نظرية توينبي إلا أن لها نقاداً كثراً مثل: كاردنر، وسوركن، اللذان ركزا في وقوعه، في تناقض في موقفه من مصير الحضارة الغربية، وأنه ينقل شواهد من تاريخ الدول القومية، وكان (الأولى به أن يأخذها من تاريخ الحضارات إن صح وجودها كوحدات مستقلة) ص١٢٤.

خامسًا: بيتر يم سوركن والتحولات الثقافية: تعد نظرية سوركن من أفضل النظريات في تفسير قضايا العالم المعاصر وهو يرى أن هناك ثلاثة أطوار للحضارة: الأولى مادية، ثم روحية، ثم مثالية، وأشار إلى أن هناك نمطين من أنواع الأنماط الثقافية الكبرى، الأولى: نمط الثقافة المعنوية الزهدية التي تؤمن بوجود الله وقدرته، وأن البدن خادم للروح. والثانية الثقافة المادية الحسية، وهي تعتمد الوجود المادي فقط، ولا مكان لعالم الغيب فيها.

إن قيمة سوركن تكمن في أنه يؤشر إلى أزمة الحضارة الغربية، وهي أزمة العقل والجسد، وهو

توينسبي



(يأمل في أن تعود الحضارة إلى رشدها، فتستعيد القيم الروحية والدينية؛ لتتكامل مع ما هو متوافر من جوانب مادية) ص١٣١.

سادسًا: مالك بن نبي: درس الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي الحضارة من خلال مكوثه في فرنسا، وهو يرى أن الحضارة تمر بثلاثة أدوار:

- دور الروح: الذي يرافق ظهور دين، وبداية تركيبة الحضارة، وترويض الغرائز، كما هو الحال في حالة العرب عند ظهور الإسلام.
- دور العقل: وفيه يتوسع المجتمع في العقليات، ويفقد الروح، ويتناسب ذلك مع ضعف سلطة الروح.
- طور هيجان الغريزة: وتفقد الروح قدرتها على الضبط والهيمنة.

إن أهم ملاحظة على نظرية قوس الحضارة لمالك بن نبي هي أنها تتناسب مع الحضارة الإسلامية، حيث المرحلة الروحية في عهد الرسالة، ومرحلة العقل في العصر العباسي.

ثم مرحلة الترف في أواخر هذا العصر، ويرى أن حضارة العصر الحالي نقطة ضعفها في ماديتها، وغياب توجيه الروح فيها، فسقوطها حتمي. ويستعرض المؤلف شهادات مفكرين كبار مثل: سيد قطب، ورشدي فكار، وروجيه الفرنسي، على أهمية الإسلام سفينة إنقاذ للحضارة الحالية التي أغرقت في بحر المادية.

أبن خلدون

**تعد نظرية سوركن من أفضل النظريات في تفسير قضايا العالم المعاصر وهو يرى أن هناك ثلاثة أطوار للحضارة**

**الفصل الثاني التفسير الأسطوري**

إن خطورة هذا التفسير تكمن في أن أصحابه من المسيحيين المتصهينين (المحافظون الجدد) قد بلعوا الطعم اليهودي، وراحوا ينفذون المخطط اليهودي التلمودي عبر تفسير جديد لبعض نصوص التوراة، مثل: رؤيا يوحنا. فهم أكثر من اليهود حماسة لتجميع اليهود في فلسطين، ومحاربة العرب بلا هوادة؛ لأن ذلك يقربهم من معركة هرمجيدون الكبرى، وظهور المسيح. وهكذا وقف هؤلاء المهووسون إلى جانب بوش في احتلال العراق، الذي يشكل خطورة كبرى على اليهود عبر تقسيمه إلى

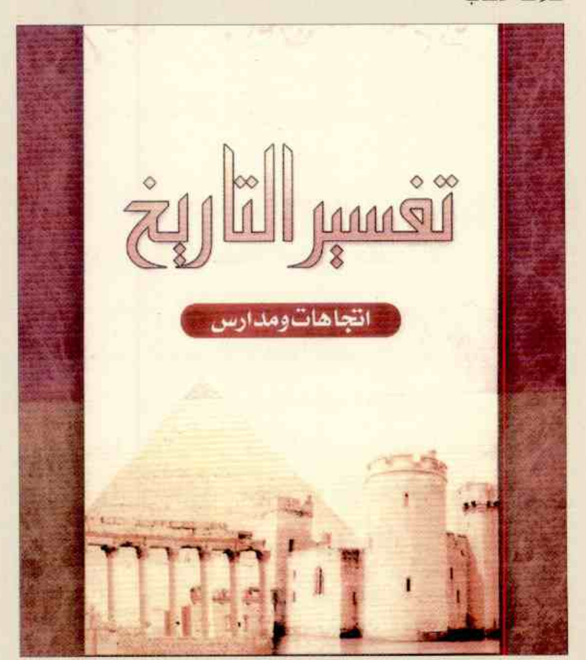
ثلاث دويلات. وهناك كتّاب ينظرون إلى هذا التفسير الأسطوري مثل فارنكلين غراهام وروبرتسون، وغريس هالسل، وجيري فولويل.

ويختم المؤلف هذا المبحث بقوله: إن هذا التفسير قائم (على قراءة متعسفة لنصوص قديمة غامضة مبهمة ومحاولة إنزالها على واقع اليوم البعيد كل البعد عن تلك النصوص) ص٢٢٩.

**الفصل الثالث: التفسير النفسي (سغريد هونكه)**

من أبرز المنظرين لهذا التفسير المفكرة الألمانية سغريد هونكه، وهي ترفض الدورات الحضارية، ونظريتها تقوم على عوامل فكرية نفسية للشعوب، وتغير هذه العوامل يفسر حركة التاريخ، وتتخذ من الحضارة الغربية وأزماتها ميدانًا لهذه النظرية، فالشعوب التي تتعرض للاحتلال، ولجوء المنتصر إلى فرض قيمه وثقافته عليها سرعان ما تتصدى الشعوب لهذا الفرض من خلال العودة إلى قيمها القديمة، التي كبتت زمنًا طويلاً، وتحدث ثورة فكرية استنادًا إلى طبيعتها الذاتية، وقوانينها الخاصة. ويأمل المؤلف أن (يأتي من يؤمن بالنظرية ويقوم بدراسة موسعة لها وضرب الأمثلة من خارج أوربا. ولعل من المفيد أيضًا دراسة الفكر الروماني وأثره في حضارة الغرب، والعلاقة مع المسيحية بما حملت وما استحدثت من قيم حضارية وثقافية) ص٢٣٦.

غلاف الكتاب




**الفصل الرابع: نهاية التاريخ**

يرى المؤلف أن الأديان بصورة عامة، والسماوية منها بشكل خاص، اهتمت ببداية العالم ونهايته، ثم جاء المؤرخون فأدلوا بدلوهم، فالإسلام يعد الآخرة امتدادًا للدنيا (فالزمن يبدأ بالدنيا ويمتد ليشمل الآخرة، وما يحدث في الدنيا يجري الحساب عليه في الآخرة) ص٢٣٩.

فهنري لوفيفر لا يرى أن هناك نهاية للتاريخ إذ إن (التاريخ والزمن يسيران معًا... وإذن ليس للتاريخ نهاية) ص ٢٤٠. ومادام الإنسان حيًا فالتاريخ مستمر وينتهي باختفاء الإنسان، أو البشرية. ويناقش هنري

**تناول المؤلف أسباب الاهتمام بعلم التاريخ وتفسير التاريخ الذي يمكن حصره في رغبة الإنسان في تفسير الأحداث لا سيما الكبرى منها**

**حركة التاريخ لا تلتزم خطًا معينًا، كما أن محاولة اتخاذ قانون يحكم حركة التاريخ عملية في غاية الصعوبة**

برنارد شو

الماركسية ومناهجها التي أثبتت الأحداث مثاليتها عندما نظرت إلى الطبقة العاملة على أنها من تصنع التاريخ، وأن نهاية التاريخ في الاشتراكية الثانية. إلا أن سقوط الشيوعية قبل الوصول إلى هذه المرحلة أثبت عقمها، وفي مبحث الخصوصية التاريخية ينقل المؤلف عن لوفيفر أن هناك خصوصيات ثقافية، وتاريخية للشعوب، وهو ينظر بإيجابية إلى هذه الخصوصيات، وقد أنهى لوفيفر نظريته عندما تحدث عن العلاقة بين الدولة والتاريخ، وطرح ثلاث فرضيات في رسم العلاقة بينهما، الأولى: الاستمرارية التاريخية، سواء على مستوى الإستراتيجيات الأساسية، أو التكتيكات الفرعية. والثانية فرضية الكارثة، وتتمثل في اندلاع القوى العنيفة والعفوية مثل الحروب العالمية، أو المحلية، وقد تصل إلى فناء العالم. والثالثة المناسبة وإن كانت خيالية إذ (لا فكر من دون يوتوبيا بإطلاق الحكم من دون استكشاف للممكن والمحال) ص٢٥٨.

ورأى بعضهم الآخر نهاية التاريخ من خلال صراع الحضارات، ففوكوياما صاحب كتاب (نهاية التاريخ) يستخدم جدلية هيغل وماركس لكي يبرهن أن الإسلام هو العدو للغرب وليبراليته، وأن عدو التاريخ هو الفراغ، ولابد للولايات المتحدة وحلفائها من استمرار الفعل التاريخي، وللأمانة فإن فوكوياما انقلب على أفكاره في كتابه الجديد وهاجم اليمين المحافظ الذين همهم ضمان (أمن إسرائيل ولو على حساب المصالح الأمريكية) ص١٦١.

وطالب بالتمييز بين المجموعات الإسلامية كل على حدة، وأن المسلمين الأتقياء ليسوا من يهدد البشرية (بل هم الشباب الذي يعاني التهميش وانقطاع الجذور والاغتراب، في هامبورغ، ولندن، وأمستردام، ممن ينشدون في الأيديولوجية إجابة عن بحثهم عن الهوية) ص٢٦٣.

أما صموئيل هنتنغتون صاحب كتاب (صدام الحضارات) فهو يرى أن صدام الحضارات آتٍ لا محالة، وعلى الغرب أن يبقى على أهبة الاستعداد للدفاع عن حضارته، ولا وجود لنهاية التاريخ، كما قال فوكوياما، والصراع هو بين الغرب والإسلام. وهو يرى أن لا إمكانية للتعايش مع الحضارة الإسلامية؛ لأنها - حسب رأيه - لها آراؤها في قيم الغرب، وحقوق الإنسان، وسيادة الحق، والنظم الديمقراطية، ولذلك يجب التصدي لها.



## عبدالله الفيصل

# فارس الشعر العربي

مطيع النونو

الرياض - السعودية

في الحقيقة أن الأمير عبدالله الفيصل فارس الشعر العربي، قد بلغ في حياته قمة الأدب، وقمة الثقافة، وقمة اللغة، وقمة الحس الوطني لأن الواجب يقضي الدفاع عنه شعراً ونثراً، فهو يمتلك مستلزمات أدوات الشعر العربي، وأسلوب اللفظ والنغم والموسيقا، يتلألأ حباً متطلعاً إلى المستقبل لنشر اللغة العربية وثقافتها الأصيلة.

كان الفقيد يعرف مكانته وقدره، وكونه شاعر العربية الفصحى وأديبها، لذلك طلع على الدنيا شاعراً عبقرياً، إنه شاعر مرموق من رواد الشعر النبطي متقن لغتها، إنه رجل المسؤولية في المهمات الصعبة، ورائد من رواد الحركة الرياضية،

**رحيل الأمير الشاعر العملاق أوقع هزة عميقة لدى جميع أفراد الأسرة الحاكمة، وبين جميع أطياف المجتمع السعودي**

بل هو الرائد الأول في حياة الشباب السعودي منظماً شؤونهم، وهذا ما دفعهم إلى رحلة التطور والبناء في وطنهم.

الأمير عبدالله الفيصل أحد رجالات المملكة العربية السعودية، ومن سلالة الأسرة السعودية العريقة بتاريخها، إنه حفيد الملك عبدالعزيز، فهو الابن الأكبر للملك فيصل ابن عبدالعزيز حافظ على الثوابت التي وضعها مؤسس الدولة السعودية الحديثة وباني كيانها على أرض الجزيرة العربية، أرض الآباء والأجداد والتزم تلك الثوابت أسلوباً وعملاً وتوحيداً كما أرادها الخالق العظيم للإنسانية.

لقد وصف الأمير عبدالله الفيصل بشاعر الجمال والعاطفة المرهفة، فهو يتمتع بمكانة الصدارة بين شعراء المملكة والعالم العربي.

ويتذكر الأمير الشاعر عبدالله الفيصل ظروف طفولته فيقول: «كانت مراحل الدراسة في الماضي محدودة جداً على أرض المملكة العربية السعودية، وهذا ما خولني أن أحمل الشهادة الابتدائية من مدارس مكة المكرمة، وكانت أعلى المستويات العلمية في تلك الأيام، لقد كانت طموحاتي واسعة فلم اكتف بالشهادة الابتدائية المتواضعة، مما دفعتني المسؤولية لأنكب على التحصيل والمطالعة، وكنت مدمناً على المطالعة معتمداً على نفسي، متابعاً الثقافة من دون معين، مطالعاً مؤلفات اللغة العربية وكتبها؛ للتعمق بأصول ثقافتها

صورته مع الملك فيصل



لكونها لغة القرآن الكريم، كما أقرأ في الأدب والتاريخ والعلوم السياسية، ولكن كان الشعر أحب الفنون إلى نفسي، وكنت مجداً في المطالعة من دون كلل أو ملل ملتزماً المثل: (من جد وجد).

ويقول الأمير عبدالله الفيصل - رحمه الله - في لقاء جمعني معه: «لقد درست أشعار قدامى فطاحل الشعر الذين أحببت شعرهم، وكان إعجابي بهم، وتأثرت بثقافتهم من أمثال: أبي الطيب المتنبي، وأحمد شوقي، والشاعر القروي السوري الذي يطلق عليه (بدوي الجبل) واسمه محمد سليمان الأحمد من جبال العلويين في سورية، إضافة إلى عنترة بن شداد، وامرئ القيس، وعمر بن أبي ربيعة، وعلي محمود طه، والشاعر السوري عمر أبو ريشة، وغيرهم من شعراء لبنان المعاصرين، الذين تطعمت ثقافتهم وشعرهم بالثقافات الأجنبية، وبالحركات التجديدية بصورة عامة».

**اختار المطربين في المملكة كبار قصائد شعرية للأمير عبدالله الفيصل، ولحنت لهم، أشادوها غناء في عدة مناسبات**

## السيرة الذاتية للشاعر الفقيد

كان مولد الأمير الشاعر العربي عبدالله الفيصل يوم الثلاثاء الخامس من شهر ذي القعدة سنة ١٣٤١هـ الموافق ١٩ يونيو/حزيران عام ١٩٢٣م في مدينة الرياض، عندما كان جده الملك عبدالعزيز يقوم بحملاته العسكرية الشجاعة لينظف أرض الجريرة العربية من كل دخيل عليها، وليعيد تاريخ الأسرة السعودية الأصيلة لماضيها التليد وأمجادها العريقة في هذه البقعة المقدسة التي هي مهبط الوحي، وأرض الرسالات السماوية.

وقدر الله أن ينتقل إلى جوار ربه يوم الثلاثاء أيضاً في ٢٢ ربيع الآخر سنة ١٤٢٨هـ الموافق ٩ أيار/مايو عام ٢٠٠٧م، وكانت حياته مملوءة بالحب والثقافة والأدب، وكان فارساً من فرسان الشعر العربي بالعربية الفصحى، ورائداً من رواد الشعر النبطي، ورائداً في كلمة النثر الرفيع الأنيق المسلسل بفصاحة اللغة العربية المتينة.

لقد مات هذا الفارس، تاركاً بصماته الثقافية الأدبية الرائعة بأحرف من نور في رحلة طويلة على تراب

الأمير عبدالله الفيصل مع الملك فيصل لحضور افتتاح منظمة الأمم المتحدة




الأمير عبدالله الفيصل في حديث مع الملك فهد



المجد في الجزيرة العربية.

فالموت حق على كل إنسان مؤمن بربه وبعقيدته، إنه الراحة البرزخية لكل مخلوق كما في قوله تعالى: ﴿إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ يونس: ٤٩.

ويتذكر الشاعر الفارس أيام طفولته في السنوات الأولى من عمره فيقول: «كان والدي نائباً عن الملك عبدالعزيز في منطقة الحجاز، لذلك كنت أعيش برعاية جدي، وقد كان يحبني كثيراً، وقد شملني بالعطف الأبوي، والرعاية السامية».

ويضيف قائلاً: «إن والدتي الأميرة سلطانة السديري قد أحاطتني بحنانها وعطفها، وأشرفت على تربيتي وتنشئتي من دون الاستعانة بمربية، لا عربية ولا أجنبية، بل أرادت أن تعدني لمتطلبات الحياة في المستقبل، وهذا ما وثق علاقتي بها بصورة حميمة، وبحنانها الذي لم ينقطع في حياتي».

وأسرة والدته هي من الأسر العريقة لكونها متلاصقة عضوياً بالأسرة الحاكمة لآل سعود، ولها تاريخ مجيد ومشترك.

وفي سؤال للأمير الشاعر العربي عن سبب تسميته - عبدالله - فقال: «يبدو أن والدي قد التزم الحديث الشريف المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال:

الأمير عبدالله الفيصل مع الأمير خالد الفيصل



## أكد الأمير فيصل للمجتمع الدولي أن الإسلام قد أقام العلاقات البشرية على قواعد الحق والعدالة والسلم والرخاء

(تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله: عبدالله، وعبدالرحمن).

ويتابع الأمير عبدالله حديثه عن فضائل مدرسة جده العلمية، ثم مدرسة والده الثقافية، اللتين ساهمتا في نشأته فيقول: «لقد بنت المدرستان تربيتي على أسس قويمة، والتمسك بالدين والاعتزاز به، وحب الوطن والتزام المصلحة العامة للدولة، وعدم الاكتراث للمصالح الخاصة، إلى جانب الإيمان بالأخوة العربية، مع الإيمان بالتضامن والتعاضد مع الشعوب الإسلامية، مع الاحتكام لشرع الله تعالى، ثم احترام نظام الدولة، والتمسك بمكارم الأخلاق، وتوقير الكبير، والعطف على الصغير، والمساواة بين أبناء الوطن دون النظر بين حاكم ومحكوم.

وقال الأمير: «إن مدرسة جدي، ثم مدرسة والدي لهما أسلوبهما الخاص في التربية والأخلاق الإنسانية؛ لذلك تعلمت منهما كما تعلم أشقائي تلك الأساليب الأدبية في التحدث والنقاش عند اللزوم، في كل مجالسنا الرسمية والخاصة». وأضاف: «لقد تعلمت منهما أيضا أدب الجلوس سواء في القصور الملكية، أو في المجالس الأخرى، كنت أشاهد جدي ووالدي - رحمهما الله - ولم نشاهد أيّاً منهما قد وضع رجله فوق ركبته احتراماً لكل من يحضر في مجالسهما».

## انشراح الملك فيصل بمناداته : أبا عبدالله

ومن هنا أقول: لقد كان الملك فيصل - رحمه الله - ينشرح في مجالسه المفتوحة يومياً عندما يناديه مواطن ما، (أبا عبدالله)؛ لأن مخاطبة الرجل المسؤول وغيره بكنية ابنه البكر، إنما هي عادة عريقة شائعة في الجزيرة العربية، وخصوصاً عند القبائل. كما يحب الملك فيصل أيضاً مناداته «يا فيصل». وكنت ألاحظ شخصياً هذا الانشراح الملازم من خلال حضوري جلسات الملك فيصل المفتوحة، وكما علمت بأن زعماء العشائر في الجزيرة العربية كانوا يخاطبون الملك عبدالعزيز أيضاً بـ «عبد العزيز»، وهو ينشرح لمثل هذه المناداة.

أما لقب الملك فيصل عند مبايعة العلماء والمواطنين له بالملك والإمامة أصبح إمام المسلمين، وهذا اللقب هو لقب آبائه وأجداده؛ لأنهم يجمعون بين الزعامتين: الدينية والدنيوية. أما لقبه الشعبي بعد البيعة فهو (فيصل العظيم)، وهو تعبير عفوي عن المحبة والإعجاب بشخصيته وحكمته السياسية.

## أول رحلة سياسية للأمير الشاب

في يوم ٢٥ أبريل/نيسان عام ١٩٤٥م احتفلت دول العالم بنهاية الحرب العالمية الثانية والانتصار على النازية، وأناب الملك عبدالعزيز نجله الأمير فيصل لتمثيل المملكة بهذه المناسبة، التي أقيمت في مدينة سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة، واختار فيصل ابنه الأمير عبدالله ليكون ضمن عضوية الوفد السعودي، وكان الأمير الشاب لا يتجاوز من العمر ٢٢ سنة. وكانت أول رحلة سياسية للأمير المتطلع إلى العالم الخارجي، حيث وقف على دهاليز السياسة الدولية وعلى صنع القرارات الدولية التي تقرر مصير العالم.

واستمع الأمير الشاب إلى الكلمة السامية التي ألقاها والده أمام المجتمع الدولي وقال فيها: «إن المملكة العربية السعودية تؤمن إيماناً صادقاً بالمبادئ السامية التي



الرئيس شيراك والملك الحسن كرّما الأمير عبد الله الفيصل

ناضلت الأمم المتحدة في سبيل صيانتها، ولإقامة السلم والعدالة، التي يجب أن تسود أنحاء العالم». وأكد الأمير فيصل للمجتمع الدولي أن الإسلام قد أقام العلاقات البشرية على قواعد الحق والعدالة والسلم والرخاء.

وكانت هذه الرحلة للأمير الشاب في العالم الخارجي قد فتحت آفاقاً واسعة أمام تطلعاته للمستقبل، وزادت من علومه الثقافية، وإبداعه في الأدب والشعر والسياسة الدولية.

كان الفقيد في مقام والد إخوانه بعد استشهاد والدهم العظيم.

إن رحيل الأمير الشاعر العملاق قد أوقع هزة عميقة لدى جميع أفراد الأسرة الحاكمة، وبين جميع أطياف المجتمع السعودي، ومن عرفه أو سمع باسمه، وذلك لمكانته وفلسفته للشعر لكونهما الإرادة الظاهرة من القلب، فهو يمتلك الخيال والعاطفة، واللفظ واللغة، والألفاظ الأنيقة



من لغته المتينة التي تتناسب مع أقواله وأفعاله.

ولكن كان حزن أشقاء الفقيد أليماً بوصفه أخاهم الأكبر، وهو الذي أصبح بعد استشهاد والدهم بمقام الوالد الثاني، يحترمون مشورته من دون تردد لما يصدر عنه، وما يصب في مصالحهم جميعاً.

لذلك كانت خطوات الجميع مشتركة في حياتهم

**كان الأمير عبدالله الفيصل فارساً من فرسان الشعر العربي بالعربية الفصحى، ورائداً من رواد الشعر النبطي**

ومن أهمها إنشاء مؤسسة الملك فيصل الخيرية العالمية تخليداً لذكرى الوالد العظيم. وتم تشكيل مجلس أمناء منهم جميعاً برئاسة الأمير عبدالله الفيصل.

وتعد مؤسسة الملك فيصل الخيرية أول مؤسسة إسلامية عالمية تقام على أرض الجزيرة العربية، وآلت على نفسها أن تكون مؤسسة حضارية عصرية على نطاق واسع، تتبع رسالتها من مكارم شريعة الإسلام الأخلاقية؛ لأنها تحمل اسم واحد من قادة عظام أنجبتهم الأسرة السعودية، حاملاً لواء الدعوة للتضامن الإسلامي، تلك الدعوة البناءة التي أضحت المحور الأساسي لسياسة المملكة ومرتكزاتها، التي بنت عليها كل علاقاتها الخارجية. وأصبحت من أكبر المؤسسات الخيرية الإنسانية عالميًا، وأثبتت وجودها بما حققته من أعمال إنسانية خيرية عظيمة، من خلال سياستها التي لا تفرق في أعمالها وأهدافها ومشروعاتها بين إنسان وآخر، بقدر ما يهمها التفوق العلمي البارز لكل من يحمل جوائزها العالمية. وهذا ما عمق صفة جائزتها، وأكسبها مزيداً من الشهرة والاستقرار والنجاح في منح الجائزة، عامًا بعد عام منذ تأسيسها سنة ١٣٩٩هـ الموافق عام ١٩٧٩م بعد استشهاد الملك العظيم فيصل بأربع سنوات.

ومنحت الجائزة إلى شخصيات عربية وإسلامية وعالمية، شملت جميع دول العالم. لذلك ساهمت المؤسسة مساهمة جليلة في سعادة البشرية في هذا العالم الإنساني، إذ أصبحت هي الجائزة المفضلة لدى كثير من العلماء الغربيين عن جائزة (نوبل) للسلام؛ لأن جائزة الفيصل نزيهة وغير متحيزة، كما قال الأمير خالد الفيصل رئيس الهيئة: «إن عظمة الأمم لا تقاس بما تملكه من وسائل الحضارة المادية، إنما تقاس بمواقفها الإنسانية من أعمال الخير والبر».

وهنا أقول: إن سيرة الشاعر الكبير الأمير عبدالله الفيصل لا يمكن أن يستوعبها مقال عابر، بل تحتاج إلى مؤلفات لإعطاء سيرته الذاتية حقها، ومجال أنشطته الأدبية والثقافية،

وقصائد شعره، ودوره السياسي في الوطن السعودي.

### اللقاء الأول مع شاعر العربية

في الحقيقة لم أكن أعرف الأمير الشاعر من قبل، ولكن كنت ألمحه في مناسبات رسمية، وجاءت المعرفة واللقاء الأول معه في سنوات متأخرة عندما بلغ سن الشيخوخة وكما بلغتها أيضاً. ولهذا أمتلك سلة مملوءة عن شخصيته ومواهبه المتعددة، إذا كنت أتابع كل أنشطته، وما يكتب عنه في الصحافة السعودية والعربية؛ لأن الأمير الشاعر قد دخل معترك الأدب والشعر والثقافة والسياسة والمجال الرياضي منذ أن كان يمارس مسؤولياته في الدولة، التي أقامها جده الملك عبدالعزيز، ثم انتقاله إلى العمل التجاري الخاص، المشروعات المالية والسياحة والنقل البحري؛ ليشارك رجال الأعمال في مرحلة التطور الذي شهدته المملكة في القرن الماضي.

شاء الله أن ألتقي الأمير الشاعر في الأسبوع الأول من شهر أغسطس (آب) من عام ١٩٩٢م في العاصمة الفرنسية باريس، بينما كنت بصحبة صديقي العزيز معالي الدكتور منير العجلاني - رحمه الله - نجلس في مقهى الفوكية في شارع الشانزلزيه، وفجأة دخل الأمير المقهى مع مرافقيه وهو من المقاهي الراقية، وروادها من كبار الشخصيات العربية والعالمية.

### جلست بين عالمين من فطاحل الأدب

وبعد أن اختار الأمير طاولة أخذ يلتفت يميناً ويساراً ليقف على رواد المقهى، وعندما شاهد الدكتور العجلاني ترك الطاولة، وانتقل إلى طاولة صديقه العجلاني، وتبادل معه التحية وجلس إلى جانبه. وكانت لفتة كريمة من سمو الأمير تعبر عن تقديره لرجل العلم والثقافة - أعني الدكتور العجلاني - وصافحني الأمير بعد أن قدمني الدكتور العجلاني بعبارات مملوءة بالإطراء، ولن أسمح لنفسي أن أردد ما قاله عني الدكتور العجلاني، حيث أصابني الخجل من تلك العبارات التي لا أستحقها، وخصوصاً وقد كنت أجلس بين عالمين من فطاحل الأدب والثقافة. علماً بأن العجلاني كان أستاذي، وتعلمت منه كثيرًا، وهو مدرسة في الأخلاق إلى جانب تخصصاته العلمية.

وشكرت الدكتور العجلاني على هذا الإطراء، وأصبحت بينهما أستمع إلى حديثهما الأدبي، والإفادة من مدرستهما الثقافية.

ثم دعانا الأمير إلى مرافقته لتناول الطعام في منزله الواقع على نهر السين الذي يشطر باريس إلى شطرين، وكانت جلسة ممتعة مع طعام فاخر.

وتفضل الأمير، وقدم ليّ رقم هاتفه في باريس، وقال: إن هاتفي في جدة معروف لدى الجميع، ونرحب بزيارتك سواء للقاء في جدة أو باريس؛ لأن مجالسنا مفتوحة أمام الجميع.

وفي عام ١٩٩٣م كنت في زيارة باريس وكان اللقاء الثاني مع الأمير عبدالله الفيصل بعد اتصال هاتفي معه، وتم الاتفاق على اللقاء في مقهى الفوكيه، وسألني سموه عن سبب عدم حضور الدكتور العجلاني، فقلت للأمير: إن الدكتور العجلاني قد اختار هذا العام مدينة إيفيان على

**نال شاعر العربية الأمير عبدالله عددًا من الجوائز التقديرية تكريمًا لأدبه وثقافته، وكانت تلك الجوائز من مراكز عربية ودولية**



الأمير عبد الله الفيصل إلى يمين خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في أحد احتفالات توزيع جائزة الملك فيصل العالمية

بحيرة جنيف للراحة، وليتمتع بجمالها، ويشرب مياهها العذبة من مصدرها مباشرة. وعندها علق الأمير على أفكار الدكتور العجلاني واصفاً أياها بأنها تتلألأ أشعة ومواهب عالية، وهذا ما جعله يتبوأ أعلى الدرجات بسبب علومه وثقافته وأدبه.

وسألني الأمير: هل لك صلة مهنية مع صحف فرنسية؟

فأجبته نعم: إنني أتعاون مع الصحفي اللبناني الأستاذ ياسر هواري الذي يصدر مجلة اربيز (عربيات) باللغة الفرنسية، وإنني مستشار لها. لذلك زياراتي متكررة لباريس بهدف التعاون مع هذه المجلة وقضاء فترة الراحة في الصيف؛ لأنني أتحدث الفرنسية التي فرضت علينا كلغة ثقافية في سورية، بسبب استعمار فرنسا الوطن السوري في العقد الثاني من القرن الماضي.

### حديث الشاعر عن والده العظيم

وكانت هذه الجلسة مع الأمير ممتعة جداً، تحدث فيها عن مجرى حياته، وعن مكانته بين أفراد الأسرة السعودية، وعن دور والده العظيم في تعزيز الروابط بين دول العالم الإسلامي لإعلاء كلمة الله تعالى في خضم المؤامرات التي يتعرض لها العالمان العربي والإسلامي؛ بهدف طمس كلمة التوحيد، وخصوصاً في القارة الإفريقية، وعن أسلوب تعامله مع الآخرين من قادة العالم العربي، الذين ركبوا تلك المبادئ الهدامة التي أساءت إلى الإسلام ومبادئه السماوية.

وقال: «إن مولاي الملك فيصل قد آثر - رحمه الله - مصلحة الأمة العربية والإسلامية ووضعها فوق أية مصلحة أخرى، وضرب المثُل العليا أمام قادة العرب، لينظر كل واحد منهم إلى مصلحة وطنه وشعبه؛ لأن في تقديره أن الأشخاص زائلون، ومن واجب القادة المحافظة على سيادة بلادهم، وأن يوطدوا الأمن والاستقرار في ربوع الوطن العربي».

وأضاف: كانت سياسة الملك فيصل إنما تمثل المبادئ الراسخة للقيادات السعودية التي رسخها الملك عبدالعزيز، رحمه الله، وهي تقوم على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، ولم يسجل التاريخ أن تحرشت المملكة، أو قامت بعدوان على أي من حدود الدول المجاورة لها، بل كانت علاقاتها مع الجميع

علاقات أخوية تنشد المحبة والسلام والإخاء.

## مكانة الشاعر مع فن الغناء

وتلبية لرغبة سموه رافقته لتناول الغذاء في منزله، وأهداني ديوانه الشعري «وحي الحرمان»، الذي طبع عام ١٩٥٤م وبعض القصائد الشعرية الأخرى التي جادت بها عبقريته في مناسبات مختلفة، ومنها قصائد وطنية تعبر عن همسات ونجاوى، وهموم وأطياف أحبة، ودموع، وعمق في شعره تتلألأ إيماناً؛ لأن شرع الحياة يقول: «يرحل شاعر ويظل بعد رحيله ديوان».

والشاعر العبقري الأمير عبدالله ترك أكثر من ديوان لشعره، فكان ديوانه الثاني «حديث القلب» الذي طبع عام ١٩٨٢م.

لذلك كانت له مكانة خاصة مع فن الغناء واختارت السيدة أم كلثوم (مطربة الشرق) قصيدة من قصائده بعنوان «ثورة الشك» وغنتها بصوتها العذب ولحنها الفنان المصري رياض السنباطي. كما اختارت قصيدة أخرى بعنوان «من أجل عينيك».

وجاء في قصيد «ثورة الشك»:

«أكاد أشك في نفسي لأني
أكاد أشك فيك وأنت مني
وقد كان الشباب لغير عود
يولي عن فتى في غير أمن
وها أنا فاتني القدر الموالي
بأحلام الشباب ولم يفتني»

وجاء في قصيدته «من أجل عينيك»:

«من اجل عينيك عشقت الهوى
بعد زمان كنت فيه الخلي
وأصبحت عيناي بعد الكرى
تقول للتسهيد. . . . لا ترحل»

وغنى المطرب العندليب عبد الحليم حافظ قصيدة الشاعر بعنوان «سمراء» وجاء فيها:

«سمراء يا حلم الطفولة
يا منية النفس العليلة»

كما أن كبار المطربين في المملكة قد اختاروا قصائد شعرية للأمير عبدالله الفيصل، ولحنت لهم، أشادوها غناء في عدة مناسبات، واستمتع بها الشباب السعودي والعربي، ومن هؤلاء المطربين: طلال مداح، ومحمد عبده، وعبدالمجيد عبدالله.

وللشاعر العربي قصيدة بعنوان على ضفاف النيل قال فيها:

«يا حبيبي هل نسيت الأمس لما
كنت نجمي بين سمار الليالي؟

الشاعر علي محمود طه





الأمير عبدالله الفيصل الإنسان

وضفاف النيل مهوى حبنا
وعلى شطيه ساعات الوصال
يا حبيبي ! بالذي آتاك حسنا
ياسر القلب بألوان الدلال»

وقال في قصيدة بعنوان: «إلى الله»:

إلهي يا رباً عبدتك طاعة
وتقوى وإيماناً بأنك تُعبد

إليك فؤادي خاشعاً وجوارحي
إذا سرت أو وقفت أو أتجهد
وما دمعت عيناي إلا توسلاً
وشكرًا لنعماك التي لا تحدد»

وللشاعر الأمير عبدالله الفيصل قصيدة غزلية بعنوان: «حلم الهوى العذري» قال فيها:

«. . . يا ابنة البدر وينبوع الشذى العطري
وملهمتي تسابيحي وآياتي من الشعر
وساحرتي بعينيها وروح كالسنا يسري
وبالبسمات من ثغر شهي بالهوى يغري
. . . أنت ألحاني وحلمي في الهوى العذري»

وفي قصيدة أخرى بعنوان: «يا ناعس الطرف» قال فيها:

«يا ناعس الطرف قد فازت أعادينا
واستبشروا بمناهم في تجافينا
وكف عنا كؤوس الصفو ساكبها
وعاد بالشجو والأحزان يسقينا

**عندما استشهد والده العظيم الملك فيصل يوم ٢٥ آذار عام ١٩٧٥م، رثاه بقصيدة حزينة عبر فيها عن ألمه بالحادث المفجع الأليم**

وكان بالأمس شادي الورق يطربنا
لكنه إذ يغني اليوم يشجينا
إنا وإياكم نجمان في فلك
يديره الحب في آفاق ماضينا
مهما اختصمنا فإن الشوق يجمعنا
أو افترقنا فإن الحب يدنينا»

وقال في قصيدة أخرى بعنوان «أمل يخيب»:

«ودعت أيام الربيع الناضر
ودفنت آمالي ووحي وخواطري
ووأدت ما في القلب من ذكر الصبا
ونفضت عن ذهني خيال الشاعر
لا حب والغدر الخؤون يحوطه
ولى الغرام مع الحبيب الغادر
هي وردة ظمأى وقد رويتها
- إذ قل عنها الغيث - ماء نواظري
يا قلب لا يحزنك ما ضيعته
من حبك الوافي لعهد غابر
بل لا يروعك ذا الزمان بمكره
إن الكريم ليبتلى بالماكر
كم ذا بذلت صداقة ومحبة
وجنيت ما يجني فقيد بصائر»

وقال في قصيدة أخرى بعنوان «حطام الحب»

«أنا في حيرتي أموت وأحيا
كل يوم، وأدمعي لي شهود
أنا بين الأمس المضيع واليو
م غرام عن الهنا مبعود

الشاعر عمر أبو ريشة





فلممت الهوى وأقسمت ألاّ
ينشد الحب خافقي المكدود
وطويت الأحلام خوف مزيد
من شقاء شراعه ممدود»

### قصيدته «قل للفدائيين»

وللشاعر العملاق قصيدة حماسية بعنوان «قل للفدائيين» حيث يبشرهم بقرب النصر في معركتهم مع عدوهم اللدود قال فيها:

«قل للفدائيين قد آذنت
شمس العدا بعد العدا بالغيابْ
وبان فجر الأمل المشتهى
زاهي الرؤى تشرق فيه الرغابْ
وحرمة الدين تقول افتدوا
أرض القداسات ودكوا الصعابْ
قل للفدائي: هنيئاً له
معارك تنطق فيها الحرابْ
يا قدس بعد اليوم لا تجزعي
واستبشري بعد النوى باللقاء»

### كيف أنساك يا أبي

وعندما استشهد والده العظيم الملك فيصل يوم ٢٥ آذار عام ١٩٧٥م، رثاه بقصيدة حزينة عبر فيها عن أمله بالحادث المفجع الأليم، وقد استخدم فيها المرادفات اللفظية للتعبير عن صورة معينة، واصفاً السيف الذي كان دائماً مشهراً لا يتوانى عن نصرة الحق وعنوانها: «كيف أنساك يا أبي» وهي مؤلفة من واحد وعشرين بيتاً. وقال فيها:

"أي ذكرى تعود لي بعد عام
لم تزل فيه نازفات جراحي
أي شهر ربيع عمري ولّى
فيه وارتاح في ضلوعي التياحي
أي خطب مروع كنت أخشا
ه فأبلى عزمي وفل سلاحي
أي يوم ودعت فيه حبيبي
ثم أسلمت مهجتي للنواح
إنه يوم (فيصل) خر فيه الـ
ـطود لله ساجداً، غير صاح
ليتني كنت فدية للذي ما
ت فماتت من بعده أفراحي
فيصلي يا مهنداً ما أحب الغمـ
ـد يوماً، ولا ارتوى من طماح
راح «عبد العزيز» ملحمة العـ
ـز وأسطورة العلى والكفاح
كيف أرثيك يا أبي بالقوافي
وقوافيّ قاصرات الجناح
كيف أبكيك والخلود التقى فيـ
ـك شهيداً مجسماً للفلاح
كيف أقوى على احتباس دموعي
وأنا لا أخاف فيك اللاحي؟
كيف أنساك يا أبي.. كيف يمحو
من خيالي خيالك الحلو ماحي

**مؤسسة الملك فيصل الخيرية أول مؤسسة إسلامية عالمية تقام على أرض الجزيرة العربية**

ليس لي، والذهول أمسى نديمي
والأسى، رغم وأده، فضاحي
غير ربي... أرجو مدي بالصبـ
ـر... ولقياك في الجنان الفساح"

### قصيدته عن البيعة للملك فهد

ومن عبقريات الشاعر العربي الأمير عبدالله الفيصل كانت قصيدة رائعة عن شخصية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - طيب الله ثراه - عندما بويع لتولي قيادة المملكة العربية السعودية يوم الأحد الحادي والعشرين من شعبان سنة ١٤٠٢ هـ الموافق الرابع من آب/أغسطس عام ١٩٨٢م بعد رحيل الملك خالد - رحمه الله - وكانت بعنوان «منار الهدى» لأن حياة الملك فهد حافلة بكل ما تحفل به حياة زعيم تاريخي، وقائد ملهم حيث مرت عليه أحداث الزمان، وتقلبات الأيام، وحفت طريقه بالورود والأشواك. وقد أهداني الأمير عبدالله الفيصل نسخة من هذه القصيدة وقد كتبها بخط عربي جميل، واحتفظ بها حتى هذا اليوم.

وقال الشاعر في مطلع القصيدة المؤلفة من ١٨ بيتاً:

«ليلة ذات بهجة وجلال
قد تسامت على جميع الليالي
حل فيها الفهد المليك المفدى
وحواليه نخبة من رجال
فانبرى الشعر في اعتزاز يغنيـ
ـه بأشهى ما طاف عبر الخيال
يا بن عبد العزيز يا من حمى اللـ
ـه به الدار من ضروب الوبال
كان عبد العزيز بارقة الخيـ
ـر لشعب مشتت الأوصال
جمع الشمل بعد طول فراق
فزكا الأصل بعد شر انفصال

**سيرة الشاعر الكبير الأمير عبدالله الفيصل لا يمكن أن يستوعبها مقال عابر، بل تحتاج إلى مؤلفات**

وتولى أبناؤه سدة الحكـ
ـم فعزت بهم باسنى الفعال
وحملت اللواء من بعد يا فهـ
ـد فحققت أعظم الآمال
موكب من أصالة وفخار
ومنار الهدى إلى الأجيال»

وفي الخاتمة قال:

«جمع الله زينة الدين والدنـ
ـيا به في جلائل الأعمال
وحباه من شعبه كل فضل
يتناهى به لأفضل حال
وحمانا وأمة العرب والإسـ
ـلام من شر عاديات الضلال»

### أهمية الكلمة مقولة أم مكتوبة نثراً

وعندما يستعرض الإنسان العبارات التي يستخدمها الأمير الشاعر في كتابة النثر، يجد أن ميوله الأدبية تمثل لوناً رائعاً، إنه يتحدث عن أهمية الكلمة مقولة كانت أم مكتوبة، من حيث القيمة التي تنفرد بها الكلمة على صاحبها، ويجب أن يكون معها، وأن ينظر إليها من حيث أن تقام على وفاق والتحام، حتى لا يكون المنطق شيئاً والناطق شيئاً آخر.

وجاء هذا التعبير اللائق في كلمة كتبها الأمير عبدالله



الفيصل في مقال مختصر مفيد في العدد الأول الذي صدر عن المجلة العربية السعودية في شهر آب/ أغسطس عام ١٩٧٥م، وكان ذاك المقال بمنزلة تقديم لصدور المجلة، ولتكون على مستوى الكلمة الهادفة التي من أجلها أنشئت، ولأجلها استنفرت خلاصة من رجال الفكر - كما قال في مقاله -. وعبرت كلمة النثر عن تصور الشاعر لما يجب أن تكون عليه المجلة الأولى بتاريخ المملكة، لتتحدث عن ثقافة المجتمع الإسلامي ونشرها في أرجاء المعمورة لكون المجلة ستقول كلمة الحق.

وقال الأمير: «إذا كان لكل زهرة عبيرها الفواح، وإذا كان لكل شيء قيمته في هذا الوجود، تبعاً لضرورته، وكثافة وجوده أو قدرته، فإن للكلمة عبيرها وقيمتها وضرورتها، بحيث لا يستغنى عنها، ما دام موجوداً في ساحة الوجود، له كيان ووجود. وأن مسؤولية الكلمة، هي أكبر من أن يصفها اللسان، أو أن يستوعبها وجدان، إلا بمقدار ما يكون لهما من الوعي والإيمان واليقظة نصيب».

وقال: «من هنا، تتكون أهمية الكلمة، مقولة كانت أم مكتوبة. وتبنى عليها الأهرام، أو تتكسر على أقدامها السيوف، حتى لكأنها نياط المجد، تجزر وتمتد، حسبما تحمل في مضمونها من جواهر المضمون وقيم المكنون، أو من الفراغ والتبدد والتمويه. وهكذا تتوالى قوافل المفكرين على حمل الكلمة وبثها على الناس في صور شتى، ما بين الرمز والقول والكتابة، حتى لكأنهم لا يرون في ما عداها وسيلة للتعبير عن النفس ومكوناتها، في عالم تتسع أبعاده مع الزمن، وتخفت أصداء الصوت فيه مع تكرار الأيام».

وختم كلمته المعبرة عن شخصيته الفذة التي تؤمن بوطنها العزيز فقال: «أتمنى على (المجلة العربية)، مجلة بلادي الحبيبة، أن تكون على مستوى الكلمة الهادفة حتى يكتمل الإطار والصورة، وحتى تتكامل الأهداف الخيرة التي نحوها نتطلع، وإذ ذاك فقط، تفرض وجودها - وضمن المستوى الكريم - بين أرتال الصحف والمجلات التي يختلط

حابلها بنابلها، على الرغم من القسم الكبير الذي أكبر، وتصبح رسالتها القوية متكافئة مع ينابيع الخير والحق والحكمة التي منها نرتوي، وتروي أقلام كتابها».

والمعلوم أن المجلة العربية قد أنشئت بقرار ملكي من الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - عام ١٩٧٤م لتكون هدية جديدة إلى أمة العرب، وأرض المقدسات، ومنطلق الفتوحات، وفجر الوحدة، وإشراقة النهضة؛ لتشارك بقوة في نشر الثقافة الرفيعة بين أبناء العروبة والإسلام.

وفكرة إنشاء المجلة كان باقتراح كريم من معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ - وزير المعارف - رحمه الله - وهو حفيد مؤسس الدعوة السلفية الإصلاحية الإمام محمد بن عبدالوهاب، وواحد من ألمع رواد النهضة العلمية الحديثة في المملكة، وعلم من أعلامها. كما اختار الملك فيصل معالي الدكتور منير العجلاني حيث يشغل منصب كبار المستشارين في وزارة المعارف، وهو يحمل الليسانس ودكتوراه الدولة في الحقوق العامة والخاصة من باريس، وشهادة في الصحافة، وشهادة في فقه اللغة، وشهادة في الأخلاق والاجتماع، من جامعة السوربون، وهو عضو في المجمع العلمي العربي في دمشق، وكان وزيراً للإعلام والمعارف والعدل في سورية، كما أصدر في دمشق صحيفة باسم «النضال» مع السياسي الدكتور سامي كباره.

### أثر التاريخ العربي في لغة القرآن

وبعد اطلاعي والتعمق في قراءة نثر الأمير عبدالله الفيصل في ذاك التاريخ يظهر بوضوح أن تاريخ الأدب العربي له الأثر البالغ في حياة الأمة، وأنه وثيق الصلة بالتاريخ السياسي والاجتماعي لكل امة.

لذلك أدب اللغة ما أثير عن شعرائها وكتابها من بدائع



القول المشتمل على تصور الأخيلة الدقيقة وتصوير المعاني الرقيقة، مما يهذب النفس، ويرهف الحس، ويثقف اللسان.

إن الآداب العربية أغنى الآداب جميعًا؛ لأنها آداب الخليقة منذ طفولة الإنسان إلى اضمحلال الحضارة العربية. فالقرآن العظيم نزل على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم بالعربية، لذلك كانت لغة الضاد لغة أمة واحدة، ولغة جميع الشعوب التي دخلت في دين الله الواحد، أودعوها معانيهم وتصوراتهم، ثم جابت أقطار الدنيا تحمل الدين، والآداب، والحضارة، والعلم، فصرعت كل لغة نازلتها.

### جوائز تقديرية لأدبه وثقافته

لقد نال شاعر العربية الأمير عبدالله عددًا من الجوائز التقديرية تكريمًا لأدبه وثقافته، وكانت تلك الجوائز من مراكز عربية ودولية، ومنها الدكتوراه الفخرية في العلوم الإنسانية من مجلس أمناء الأكاديمية الثقافية عن مؤتمر الشعراء العالميين عام ١٩٨١م.

وفي عام ١٩٨٤م نال جائزة سولاتراز الدولية للثقافة الفرنسية من جامعة السوربون في باريس، وهي تمنح كل عام لأحد كبار الشعراء الأجانب من خارج فرنسا.

وفي عام ١٩٨٥م منحه جاك شيراك عمدة مدينة باريس في ذاك التاريخ اللوحة الفينيسية لمدينة باريس؛ تقديرًا لثقافته وعلومه الأدبية.

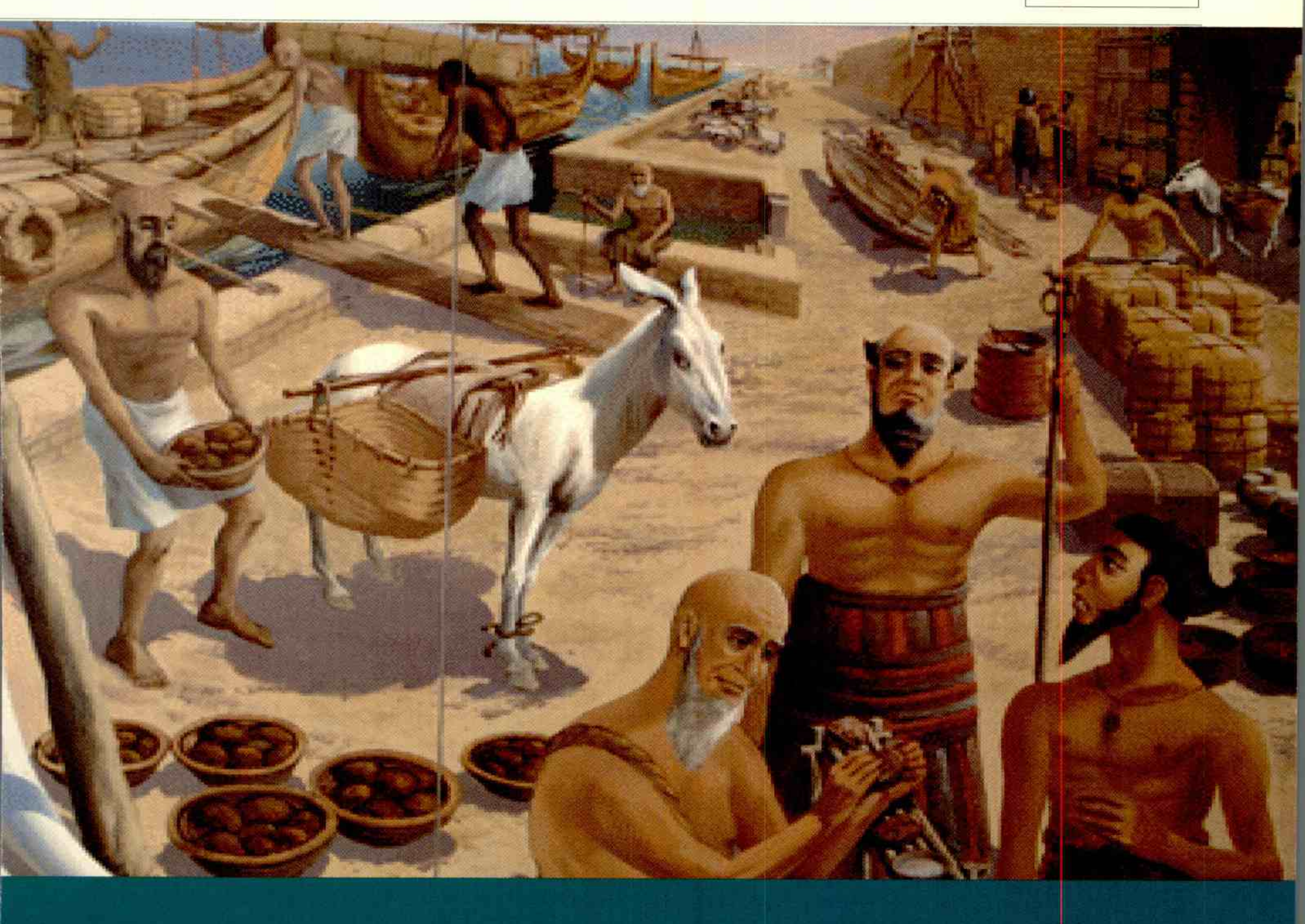
وفي عام ١٩٨٦م منحه الملك الحسن الثاني عاهل المغرب العضوية في الأكاديمية المغربية.

وقد ترجم ديوان الشاعر «وحي الحرمان» إلى اللغات الفرنسية والإنكليزية والروسية. كما أن السيدة منيرة ابنة الدكتور منير العجلاني قدمت رسالتها الجامعية باللغة الفرنسية في السوربون عن شخصية الشاعر الأمير عبدالله الفيصل، وعن أدبه وشعره الأصيل، وديوانه «وحي الحرمان»، وناقش تلك الرسالة المستشرق الفرنسي المعروف (مسيو ماسيه)، وهو من كبار أساتذة السوربون. وكانت تلك الدراسة لبنة في بناء صرح الأدب السعودي في مختلف اتجاهاته، وتنوع أساليبه وأشكاله وفنونه، وكان له في شعر الأمير عبدالله نموذج محبب من الشعر العربي الأصيل وهو ما يغري العالم الغربي، ويستزيدون من قراءته؛ لأن أدبنا العربي قد بلغ المكانة الرفيعة، التي تهفو لها كل أشواقنا بين الآداب العالمية.

وأوضحت السيدة العجلاني في رسالتها أن الأمير الشاعر العربي له مزايا كثيرة، فهو يجمع بين ملكتين قلما تجتمعان بالمستوى الرفيع نفسه في شاعر واحد، أولاهما ملكة الشعر العمودي الفصيح، وثانيتهما ملكة الشعر النبطي.

رحم الله الملك فيصل، وابنه البكر الشاعر «أبا محمد»، وأسكنهما فسيح جناته. ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

فنون



# الأختام الدلمونية

## صناعة طابعها الفن

صفية أحميد الزايد

الحسكة - سورية

شغلت دلمون في الأساطير السومرية، والبابلية، والآشورية القديمة، دورًا متميزًا، وحظيت بمكانة دينية مقدسة بين تلك البلاد التي ورد ذكرها في الكتابات المسمارية. غير أن ذكرها لم يقتصر على الناحية الأدبية الميثولوجية فحسب؛ بل إن أهميتها الرئيسة تجلت في كونها إحدى الكيانات الاقتصادية الثلاثة، إضافة إلى ماجان وملوخا، الواقعة إلى الجنوب من بلاد الرافدين التي أمدتها بأهم المقومات المادية التي ساعدت على ازدهارها منذ فجر التاريخ. وكان عالم المسماريات «هـ. رولنسون» أول من قال: إن دلمون هي جزيرة البحرين.

وقد حظيت جزيرة البحرين - وما زالت - بأهمية خاصة بسبب موقعها المتميز، وتشير الدراسات الأثرية لتاريخ أقطار الخليج العربي إلى أنه توضعت على رمالها عناصر مختلفة من حضارات مجاورة وبعيدة منذ السنين الموغلة في القدم، حتى الحديثة.

وقد أسفرت التنقيبات الأثرية في المنطقة عن حيازة البحرين قصب السبق في كثرة المواد الأثرية التي وجدت على أرضها، والعائدة إلى الفترة التي نحن بصددها، وهي النصف الثاني من الألف الثالث ق. م وما بعدها، مقارنة مع ما وجد من تلك المواد الأثرية في مناطق الخليج الأخرى.

ومن أهم المواقع الأثرية في البحرين: رأس القلعة، ومعابد باربار، ومدافن سار، وبعض مدافن الرفاع.

## أختام دلمون

تعدّ الأختام الأثرية المكتشفة في جزيرة البحرين، التي يبلغ مجموعها الآن أكثر من ألف ختم، أهم الآثار التي خلفتها الحضارة الدلمونية، وأهم المظاهر الثقافية البارزة التي أخذ وجودها يترسخ باستمرار من خلال ما تظهره الحفريات الأثرية، التي ما زالت جارية في معظم أقطار الخليج العربي.وقد ظهرت أختام دلمون في زمن عمّ استخدام الختم الأسطواني في المناطق الحضارية المجاورة لها، أي: في نحو الألف الثالث ق. م، وبداية الألف الثاني ق. م. ففي بلاد الرافدين - التي كانت سباقة إلى ابتكار هذه الأداة لإثبات الملكية، وإلى استخدامها في وظيفة أخرى كتميمة، أو حرز - وجد أن ظهور الختم الأسطواني يتزامن مع فترة اختراع الكتابة المسمارية. وقد سبق ظهور هذا النوع من الأختام ما عرف بالختم الدائري المنبسط المشابه للزر، الذي يعتقد أن أصول أختام دلمون ترجع إليه.

في عام ١٩٥٨م نشر (ج. بيي) عددًا من الأختام التي اكتشفتها في البحرين البعثة الدانماركية تحت اسم «أختام ذات أسلوب هندي في البحرين».

وفي عام ١٩٦٥م أضاف الباحث (ب . بوخنان) مصطلحًا جديدًا هو: (أختام دلمون) عندما قدم دراسته عن طبعة ختم دلموني على الرقيم الطيني، العائد إلى السنة العاشرة من حكم الملك جونجونوم ملك سلالة لارسا (نحو ١٩٢٣ ق.م). وتعد طبقة الختم السابقة الذكر أول وثيقة مؤرخة بدقة لأختام دلمون، التي توالى الكشف عن نماذجها في عدد من المناطق المجاورة، وفي دولة الإمارات العربية المتحدة فقد كشف عن ختم دلموني في موقع فريد.

## أشكال الأختام المكتشفة في مواقع دلمون ومادتها

أثبتت الدراسات التي أجريت على الأختام الدائرية المنبسطة، المكتشفة في كل من البحرين وفيلكا، وجود مجموعتين رئيستين من بين مختلف الأنواع التي عثر عليها في المنطقة، إحدى هاتين المجموعتين قديمة مبكرة، أرخ زمن ظهورها في نهاية الألف الثالث ق. م، حتى بداية الألف الثاني ق.م، والأخرى المتأخرة منذ بداية الألف الثاني ق. م، فترة آسين - لارسا حتى نهاية البابلية القديمة نحو ١٥٣٠ ق. م.

## أشكال الأختام الدلمونية الأخرى

❖ أختام على شكل قرص Disc، ذي وجهين منقوشين،



من أشكال الأختام الدلمونية

وأحيانًا ينقش وجه واحد فقط، ويحاط قرص الختم بإطار من معدن ثمين. وقد وجد وجه أحد هذه الأختام - ولا يزال - محتفظًا بإطاره الذهبي في حفريات جزيرة فيلكا، ويتميز الختم القرصي بكثرة معثوراته، التي تحتل المرتبة الثانية بعد المجموعتين المبكرة والمتأخرة، ومن الملاحظ أن أختام المجموعة المتأخرة هي الأكثر عددًا.

❖ أختام مربعة، أو مستطيلة الشكل، تشبه - إلى حد ما - معظم أختام السند، وهي منقوشة الوجه والظهر، ويتميز بعضها بوجود الخطوط المستقيمة، والنقط المحاطة بالدوائر، أي: ما يشبه نموذج الختم الدلموني المتأخر، ويخترق جسم الختم ثقب يمر من خلاله خيط، أو سلك؛ لتعليق الختم، وهناك أختام مربعة منقوشة في كلا الوجهين، أو أحدهما فقط، وأما الظهر فلا يحمل أي علامات، وجميعها يخترقها ثقب التعليق.

❖ أختام أسطوانية، وتقسم إلى نوعين، هما:

- أختام أسطوانية: نقشت عليها موضوعات عرفت، أو اشتهرت بها الأختام الدائرية الدلمونية، وقد وجد أحدها في مقبرة في عهد سلالة لارسا في مدينة أور في بلاد الرافدين.
- أختام أسطوانية رافدية: تعود إلى الفترة من سلالة أور الثالثة حتى العهد البابلي القديم، كما وجدت أختام تعود إلى العهدين الكاشي والميتاني، وهنالك أختام أخرى تتخذ الشكل المخروطي، أو الهرمي، أو على شكل الجعران المصري، لكنها نادرة وقليلة.

## طريقة صناعة الأختام الأثرية الدلمونية

صنعت معظم الأختام المكتشفة في الخليج العربي من مادة الحجر الصابوني (الإستياتيت) بمختلف ألوانه: الأخضر، والرمادي، والأسود، ووجد بعض الأختام من مواد أخرى كالعقيق، أو حجر المرو، أو حجارة عادية، وفي سوزا وجدت أختام دلمونية صنعت من مادة القار.

وقد سيطر الحجر الصابوني على صناعة أختام دلمون، وقد استوردت هذه الحجارة كمادة خام إلى أماكن تصنيعها في دلمون، ويرجح أن استيراد هذه المواد الصلبة قد تم من مناطق قريبة مثل: ماجان، وقد أظهرت الاكتشافات الحديثة في شبه الجزيرة العربية مصادر أخرى لهذا الحجر في كل من مناطق نجد، واليمن، وعسير. وتمر صناعة الأختام بعدة مراحل من التصنيع، وبعد أن تقطع، وتشذب، وتنقش عليها موضوعاتها المختارة تتم عملية الشي في أفران حتى تكسبها بعض الصلابة، ولإضفاء طبقة من التزجيج على سطح الختم التي لم تُر فيها إلا ما ندر من الأختام المتأخرة.

وهنالك نوع آخر من الأختام الدائرية الدلمونية المصنعة من الأصداف، التي وجدت بأعداد كبيرة نسبيًا، فقد بلغ تعدادها في دولة البحرين فقط ما يقارب من (٢٥٠ ختمًا)، وكان يعتقد حتى وقت قريب أنها تسبق - في مسألة التسلسل الزمني (الكرونولوجي) - مثيلاتها من الأختام الحجرية، وقد توصل (هـ الصفدي) إلى أن هذه الأختام الصدفية تعاصر الأختام الصابونية في دلمون، ولا تسبقها، وذلك من خلال دراسته هذه الأختام في متحف البحرين عام ١٩٨٧م.

وأما السبب في رداءة الزخارف والنقوش وبدائيتها، فيعود إلى اختلاف مادة الصدف عن مادة الحجر، فكان الصانع ينشر قاعدة الصدفة أو الجزء الداخلي؛ للاستفادة من الشكل الطبيعي للحلزون كوجه للختم.

وأحيانًا، يحاول أن يدخل على هذا الشكل بعض الدوائر المتشابكة على هيئة حيوان كالغزال، أو دوائر متفرقة، وكان - في الأغلب - أن يبقى الشكل الحلزوني هو السائد في هذه الأختام، أما الجزء الخارجي للصدفة فيشكل على هيئة مدببة يثقب أفقيًا للتعليق.

### أختام الحقبة المبكرة.. الخصائص والتأثيرات

تتكون هذه الأختام من أجسام دائرية محدبة الظهر، يخترقها ثقب بقصد التعليق، ويقاطع مسار الثقب خط محزوز على الحدبة، وتراوح أقطارها بين ١ و٢ سم وارتفاعها بين ١ و ١،٥سم. ومن الخصائص الأخرى التي تميزت بها هذه المجموعة، ما نقش على وجه الختم من عناصر تصويرية مجردة لحيوانات: الغزال، والوعل، والثور، والعقرب، وأحيانًا قدم الإنسان، وقد وجد مؤخرًا أن بعضها يحمل رسمًا لإنسان، خلافًا لما كان يعتقد في السابق.

وقد قدم د. بوتس قائمة بالأختام الدلمونية المبكرة المنشورة حتى عام ١٩٩٠م، وتبلغ تسعة وعشرين ختمًا، يحمل أحد عشر ختمًا منها كتابات تصويرية سندية، وهناك ختم وحيد من بين هذه الأختام الأحد عشر مكتشفة في جزيرة فيلكا، ويحمل كتابات سندية، ولكنه لا ينتمي إلى هذه المجموعة المبكرة. وتنطوي هذه الأختام على موضوعات متعددة، مثل: رسم الحيوانات، والزواحف، ورموز أخرى تتعلق بعبادة الخصب، التي كانت منتشرة في الشرق وقتذاك.

### أختام الحقبة المتأخرة.. الخصائص والتأثيرات

تتألف هذه الأختام - التي تشكل الأغلبية العظمى من أختام دلمون - من الجسم الدائري للختم المنبسط المعروف في الختم المبكر، ويظهر الاختلاف في شكل ظهر الختم، أو قبته التي أصبحت أعرض وأقل ارتفاعًا، وراوحت أقطارها بين ١،٥ و٢،٥ سم، وتميزت بوجود ثلاثة خطوط متوازية ومحزوزة، تقع عمودية على ثقب الختم الأفقي، ونقش على جانبيها زوجان من الدوائر تتوسطهما نقطة تشبه ما عرف من زخرفة الدوائر المنقوشة على أواني الحجر الصابوني، في كل من أواني السلسلة الحديثة والمتأخرة، وتوحي زخرفة الدوائر على ظهر الختم على شكل المسامير التي تثبت بها السيور في الترس الذي يحمله المقاتل في ذراعه، وبذلك تتحقق الحماية لحامل الختم، أو الحرز من حيث الشكل والمضمون.

**تعدّ الأختام الأثرية المكتشفة في جزيرة البحرين، أهم الآثار التي خلفتها الحضارة الدلمونية**

### تصنيف مجموعات أختام الحقبة المتأخرة

يرجع فضل تصنيف مجموعات الأختام الدلمونية المتأخرة إلى ب. كجاروم، الذي كان قد صنف هذه الأختام إلى نوعين: مبكرة ومتأخرة، وقد صنف ٤٢٨ختماً دلمونيًا قسمها إلى أربع مجموعات، شملت المجموعة الأولى نحو ٢٩٢ ختمًا من أختام دلمون المتأخرة، والمجموعة الثانية تضمنت الأختام أحادية الوجه مثل سابقاتها، مع اختلاف في الظهر الذي اتخذ الشكل الهرمي، أو غيره، والمجموعة الثالثة كانت للأختام الثنائية الوجه، أو القرص، والمجموعة الرابعة للأختام الأسطوانية التي سبق الحديث عنها.

### المراجع


- هيا علي جاسم آل ثاني، الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٧م.
- هشام الصفدي وآخرون، الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ط ١، الرياض، ١٩٨٨م.
- البحث عن دلمون، بيي جيوفري، سلسلة الجزيرة العربية، ترجمة أحمد عبيدلي نيقوسيا، دلمون للنشر، ١٩٨٥م.
- هشام الصفدي، دراسة مقارنة لأختام الخليج العربي، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٩٨٣م.


الحركة الأدبية
في مجالس هارون الرشيد
١٧٠ ـ ١٩٣هـ
إعداد
د. محمود بن سعود بن عبدالعزيز الحليبي
المجلد الأول
المجلد الثاني
المجلد الثالث
الدار العربية للموسوعات
الشيخ
محمد بن عبدالوهاب
رائد الدعوة السلفية في العصر الحديث
مع أشهر الأئمة السعوديين
المؤسسين للمملكة العربية السعودية
إعداد
د. محمد أحمد درنيقة
دكتوراه دولة في الفلسفة
تقديم
د. عبدالله بن محمد المنيف
صدر حديثاً
تطلب هذه المطبوعات من:
الدار العربية للموسوعات
الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - بيروت - لبنان
ص.ب : ٥١١ الحازمية - هاتف : ٠٠٩٦١ ٥٩٥٢٥٩٤ - ناسوخ : ٠٠٩٦١ ٥ ٤٥٩٩٨٢
هاتف نقال : ٠٠٩٦١ ٣ ٣٨٨٣٦٣ - ٠٠٩٦١ ٣ ٥٢٥٠٦٦
الموقع الإلكتروني : www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني : info@arabenchouse.com




## أسماء الفائزين

**العدد (٣٧٠)**

**ربيع الآخر ١٤٢٨هـ. أبريل/ مايو ٢٠٠٧م**

**الفائز الأول:** محمد أحمد حامد منصور - المنيا - مصر.

**الفائز الثاني:** نهى نجيب شكري - صنعاء - اليمن.

**الفائز الثالث:** مصطفى محمد أحمد - الزرقاء - الأردن.

**الفائز الرابع:** خالد محمد يحيى - بني مسوس - الجزائر.

**الفائز الخامس:** مجيدة محمد حلاق - حلب - سورية.

**الفائز السادس:** سوسن سعيد الربيعي - دبي - الإمارات.

**الفائز السابع:** عبدالرحمن علي المذن - الرياض - السعودية.

**الفائز الثامن:** أمحمد محمد أبتواب - المنستير - تونس.

## حل مسابقة

**العدد (٣٧٠)**

١. مؤدب أبناء الخليفة عمر بن عبدالعزيز هو: صالح بن كيسان أحد علماء المدينة.

٢. الانفجار العظيم هو: الانفجار الذي يعتقد بعض الفلكيين أنه كان بداية الكون.

٣. الفلوكْس هو نبات بستاني ذو أزهار زاهية الألوان.

## أسئلة مسابقة

**العدد (٣٧٥-٣٧٦)**

أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) متى كان اختراع أول دراجة بخارية؟ ..........................................

..........................................

(٢) ما الطَّيثار؟ ..........................................

..........................................

(٣) من هو مؤسس الصليب الأحمر الدولي؟ ..........................................

..........................................

الاسم: .................... المدينة: .................... ص.ب: .................... هاتف: ....................

العنوان: .................... الدولة: .................... الرمز البريدي: .................... ناسوخ: ....................

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

## مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة التي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

**تنويه**

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.




## شروط المسابقة

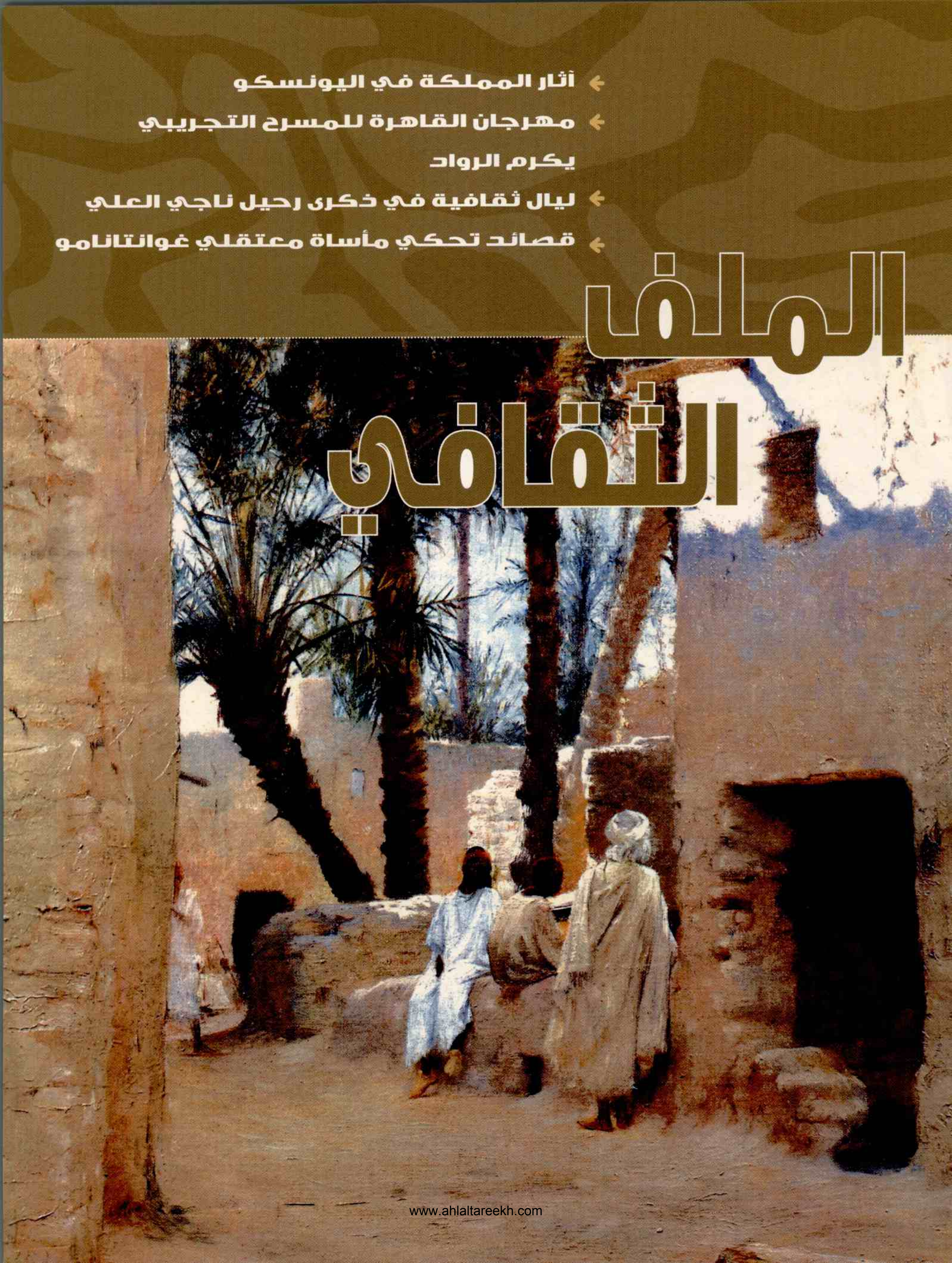
- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد ......)

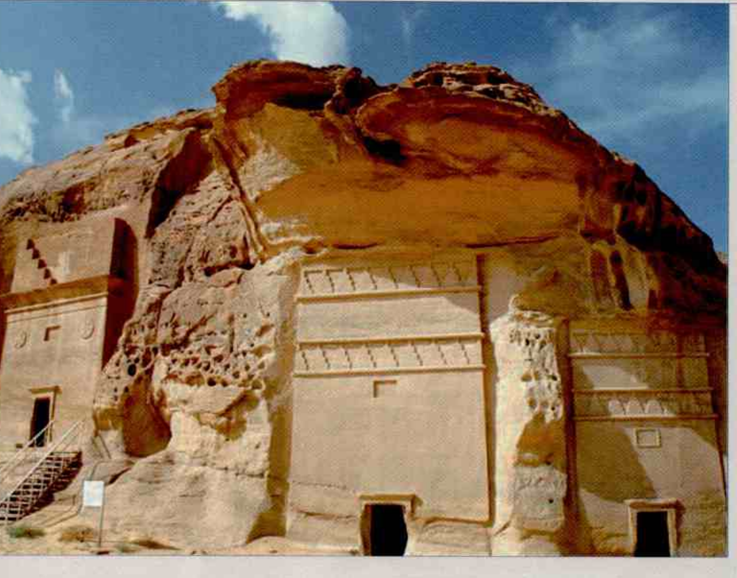
## طريقة اختيار الفائزين

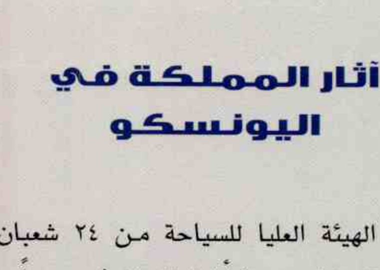
- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

## عنوان المجلة

ص ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥/ ٤٦٥٣٠٢٧ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١


أثار المملكة في اليونسكو
مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي يكرم الرواد
ليال ثقافية في ذكرى رحيل ناجي العلي
قصائد تحكي مأساة معتقلي غوانتانامو
الملف الثقافي





## آثار المملكة في اليونسكو

نظمت الهيئة العليا للسياحة من ٢٤ شعبان حتى ٢رمضان ( ٦- ١٤سبتمبر/أيلول ٢٠٠٧م) معرضاً عن آثار المملكة بمقر المنظمة الدولية للثقافة والفنون (اليونيسكو) في باريس، بناء على موافقة المقام السامي الكريم بإقامة هذا المعرض.

وقد قام بافتتاحه صاحب السمو الملكي الأمير سلطان ابن سلمان بن عبدالعزيز الأمين العام للهيئة العليا للسياحة، بحضور الأمين العام لمنظمة اليونسكو ماتسورا، ونائب وزير التربية والتعليم الدكتور سعيد بن محمد المليص، والمندوب الدائم للمملكة لدى اليونسكو الأستاذ زياد بن عبدالله الدريس، وعدد من المسؤولين والمهتمين بالآثار، وهدف المعرض إلى التعريف ببعض المواقع في المملكة المرشحة للتسجيل في قائمة التراث العالمي التابعة لمنظمة اليونسكو.

وقال سمو الأمين العام للهيئة العليا للسياحة إن إقامة هذا المعرض في مقر اليونسكو تأتي ضمن خطة الهيئة للتعريف بالمواقع الأثرية التي تزخر بها المملكة، وإبراز الثروات الوطنية على المستوى العالمي.

كما هدف هذا المعرض إلى دعم تسجيل بعض المواقع المهمة، مثل: موقع مدائن صالح ضمن قائمة التراث العالمي، وهو الأمر الذي إذا تحقق سيتيح التعريف بالموقع وتطويره وفق الضوابط المتعارف عليها دولياً، ويتيح

★ الحجي، أبو زكريا صالح بن سليمان/ رحلة إذاعية في عالم المخطوطات العربية، قدّم له: عائض ابن بنيه الردادي ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ١٦٧ص.

تنبع أهمية هذا الكتاب من أنه تجربة مجرب، مارس العمل في مجال المخطوطات عدة سنين، والكتاب عبارة عن حلقات إذاعية كان يعدّها المؤلف لإذاعة الرياض، ويقدمها تحت عنوان: «عالم المخطوطات».

وقد عرّف المؤلف في هذا البرنامج بالمخطوطات العربية، وبمكانها قديمًا وحديثًا، وبطريقة حفظها، وصيانتها وتصنيفها، وخزائنها القديمة، ومكتباتها الحديثة، وأشكالها، وأنماطها، ومفرداتها، ومجلداتها، ومجاميعها، وفهرستها، كما عرض أمثلة ونماذج منها. وقد جعل المؤلف الموضوعات التي تضمنها البرنامج المذكور الجوهر الأساسي لهذا الكتاب، وأدخل عليها بعض التعديلات لتصبح أكثر ملاءمة من حيث المضمون، والسياق لمادة مطبوعة لمثل هذا العمل.

وأضاف بعض الزيادات في محتوى بعض الحلقات طلبًا للفائدة، ورغبة في إثراء المادة، كما زود الكتاب باثنتين وأربعين صورة

الفرصة للتعريف بالمواقع الأثرية في المملكة.

وأوضح سموه أن المعرض الذي أسهم في التحضير له عدد من الجهات الحكومية، تضمن لوحات تشتمل على صور عالية الجودة، وخرائط، ونصوصاً تعريفية باللغتين العربية والإنجليزية عن آثار المملكة.

كما نوه سمو الأمير سلطان بن سلمان بأن الهيئة بعد ضم قطاع الآثار إليها، وفي إطار تطوير المواقع الأثرية أعلنت مؤخراً عن منافسة عامة لتنفيذ أعمال ترميم مباني سكة حديد الحجاز وتأهيلها بالقرب من مدائن صالح، بغرض توظيفها، والاستفادة منها في خدمة زوار الموقع، ووضع لوحات إرشادية، ومعلوماتية للزائرين، كما تعمل الهيئة بالتعاون مع وزارة النقل على تحسين مسار الزيارة داخل الموقع.

من الجهات التي أسهمت في تنظيم هذا المعرض مع الهيئة العليا للسياحة وزارة التربية والتعليم، ووزارة الثقافة والإعلام، وسفارة المملكة في باريس، ومكتب المملكة الدائم لدى اليونسكو.

## فتح باب الترشيح لجائزة الأمير سلطان بن سلمان

أعلنت الأمانة العامة لجائزة الأمير سلطان بن سلمان للتراث العمراني بدء الدورة الثانية للجائزة، وفتح باب الترشيح لها حتى ١٩ذو القعدة ١٤٢٨هـ (٢٩ نوفمبر ٢٠٠٧م)، وتمنح الجائزة للمشروعات الجديدة، التي تعكس نجاحاً في استلهام التراث العمراني استلهاماً حقيقياً وفاعلاً، ولمشروعات إعادة تأهيل مناطق عمرانية، أو مبانٍ تراثية، أو أثرية، أو مشروعات إعادة استخدامها



«منها ستة وثلاثون نموذجًا بالألوان» عن أصول المخطوطات التي ورد ذكرها ووصفها، سواء الكتب والرسائل المفردة، أو المجاميع، وأضاف إلى المواد السابقة موضوعًا حيويًا يتعلق بفهرسة المخطوطات العربية، مثل من خلاله بعض التطبيقات العملية التي سنحت له خلال ما يربو على ثلاثة وثلاثين عامًا من المعايشة اللصيقة للتراث المخطوط. وقد نبه المؤلف على الفرق الواضح في سياق المخاطبة والعرض بين المادة المذاعة والمادة المقروءة، كما نوه إلى ما قد جد حول ما يرد من إشارات حول نشر بعض المخطوطات وتحقيقها، خلال الفترة التي فصلت بين إذاعة البرنامج وظهور هذا الكتاب.

★ الحطّاب، أبو زكريا يحيى بن محمد بن محمد الرعيني/ رسالة في حكم بيع الأحباس، دراسة وتحقيق: إقبال عبدالعزيز المطوع.. الكويت: الأمانة العامة للأوقاف في الشارقة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ١٠٩ص (سلسلة إصدارات الأمانة العامة للأوقاف بالشارقة؛ ٢).

يتناول المؤلف في هذا الكتاب مسألة بيع الوقف، وإبداله، واستبداله، والمناقلة، والإجارة، وذلك بعرضه لأقوال علماء المالكية المعتمدين في المذهب من دون ترجيح قول بعينه، وإنما يلخص المسألة المختلف فيها بقوله: «فحاصل كلامهم». فجاء عمله بمنزلة نقل ما لأهل المذهب المالكي من الخلاف

بشكل يؤكد استمراريتها وفائدتها، كما تمنح للأبحاث المعنية بدراسة التراث العمراني وأسسه، وخلفيات الأنماط التقليدية، ومشروعات التوثيق العمراني، ومشروعات تطوير المواد المحلية، وتطويع التقنيات المعاصرة لخدمة التراث العمراني وتطويره، على أن تكون هذه الأبحاث ذات علاقة بالتراث العمراني السعودي. والتقديم للجائزة يكون من قبل الأفراد، أو المؤسسات الخاصة والعامة، وذلك من أجل مشاركة وتفاعل أكبر، ودعم أفضل لدور الجائزة، ويتم الحصول على نموذج الترشيح لفروع الجائزة من خلال موقع التراث الإلكتروني، وهو www.al-turath.com وذلك بتعبئة النموذج المخصص لكل فرع من فروع الجائزة، ومن ثم ترسل النماذج بالبريد الإلكتروني، أو بالفاكس إلى مؤسسة التراث.

وصرح د. زاهر بن عبدالرحمن عثمان الأمين العام للجائزة أنه يشترط في الأعمال المقدمة للترشيح أن تكون منفّذة في المملكة العربية السعودية، وأن تكون ذات علاقة بتراثها العمراني، وأن تمر على المشروعات المقدمة سنتان من تاريخ إشغالها للتمكن من إدراك الآثار المجتمعية والعمرانية لها.

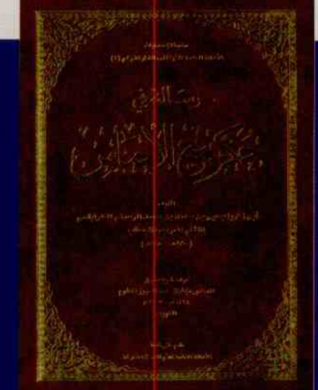
## «لغتي هويتي» في دبي

أعلنت هيئة المعرفة والتنمية البشرية في دبي عن مشروع «لغتي هويتي»، الذي يتكون من مجموعة مراحل، بهدف نشر ثقافة المطالعة بين طلبة المدارس، وتنمية مهارة القراءة بلغتهم الأم.

وبدأت مؤسسة التعليم المدرسي التابعة للهيئة بتنفيذ المرحلة الأولى في المشروع، بالتعاقد مع دار «سكولاستك»، وهي أضخم ناشر لكتب الأطفال في العالم، لتعميم سلسلتها «مكتبتي العربية» على مكتبات الصفوف والمدارس بمرحلة التعليم الأساسي بحلقتيها الأولى والثانية.

وتهدف هذه المرحلة إلى تشكيل مكتبات صفية ومدرسية توزع على المدارس الحكومية بإمارة دبي.

وتتكون تلك السلسلة المترجمة من قصص تغني المناهج، وترسخ كثيرًا من القيم الإنسانية، مثل الإيثار والتعاون،



في حكم البيع والاستبدال بثمنه غيره من نوعه، والمناقلة به، أو كرائه المدة الطويلة، منعًا، وإجازة، كما أشار لذلك في مقدمة كتابه.

وتناولت المحققة ما ذكر في المذهب المالكي من مسائل تتعلق بتلك القضية، ثم وازنتها بالمذاهب الفقهية الأخرى، ثم قامت بالترجيح بين أقوال الفقهاء.

وجاء الكتاب في مسألتين: الأولى «حكم بيع العقار الوقف القائم المنفعة»، والثانية «حكم بيع العقار الموقوف المنقطع المنفعة».

وقدمت المحققة في مقدمة الكتاب: منهجها في التحقيق، ووصفًا للنسخة المعتمدة في التحقيق، إضافة إلى ترجمة للمصنف شملت: شيوخه، وتلامذته، وأهم مصنفاته، وما أضافه إلى مؤلفات والده.

★ القحطاني، منى بنت قائد/ التنظيمات الداخلية في مكة المكرمة بعد دخول الملك عبدالعزيز آل سعود (١٣٤٣ - ١٣٥١هـ/ ١٩٢٤ - ١٩٣٢م).. الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ٦٨٦ص.

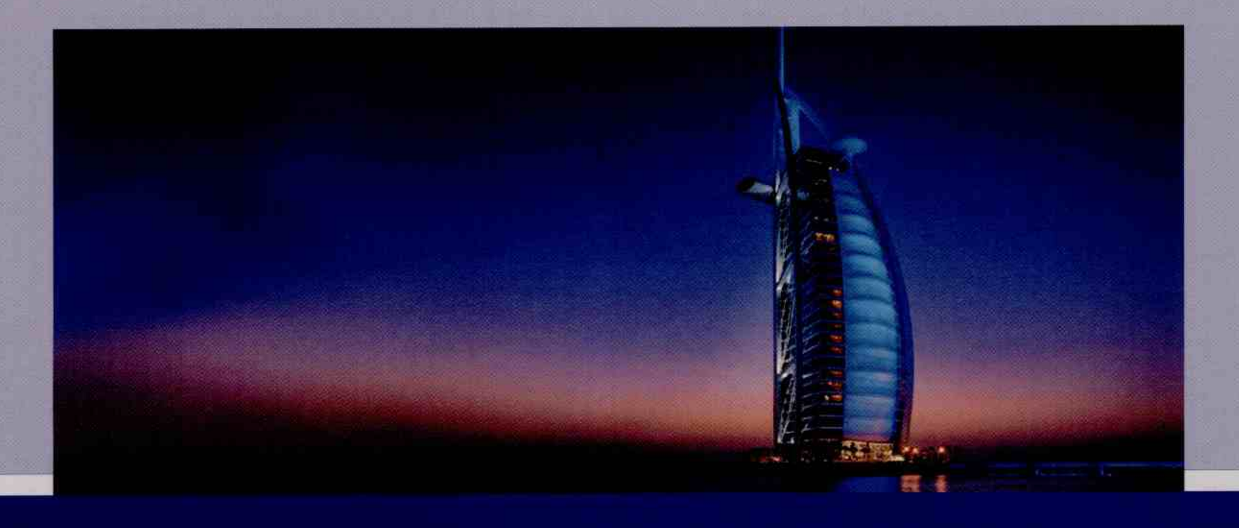
يأتي هذا الإصدار ضمن الإصدارات الخاصة بالاحتفاء بمكة

وهي مأخوذة من ثقافات مختلفة، كالإفريقية، والآسيوية، والأمريكية، والأوربية.

وتتناول السلسلة مجالات كثيرة كالرياضيات، والطبيعة، والحيوانات، والكواكب، والشمس، والعائلة، وقد اختيرت من مجموعة من التربويين، والاختصاصيين العرب، وترجمت إلى العربية، وصادقت عليها وزارات التربية في عدد من الدول العربية.

وقبل اعتمادها بمدارس دبي تم تقويمها من خلال مجموعات عمل تشكلت من معلمين، ومعلمات، وموجهي الحلقة الدراسية الأولى، إضافة إلى المتخصصين في مناهج اللغة العربية، والتربية الإسلامية.

ويتضمن عقد شراء المجموعة - التي تتكون من نحو ٤٠ عنواناً - قيام المؤسسة بتدريب المتعاملين مع السلسلة المكتبية، من معلمين، ومعلمات، وأمناء مكتبة، حول الوسائل التعليمية التي يمكن من خلالها ضمان الإفادة القصوى من السلسلة.



المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ويتناول الكتاب بين دفتيه التنظيمات الإدارية التي سنّها الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بعد دخوله مكة المكرمة، وذلك بتشكيل الحكومة، والإدارات التي تنظم العمل فيها، إلى جانب ما أمر به من تنظيمات اقتصادية ومالية، وما سعى إلى تحقيقه من تنظيمات تعليمية وثقافية طموحة، ولم يكتف بذلك بل سعى إلى تنظيم أمور الحج، والتيسير على حجاج بيت الله الحرام، ويختم ببيان أثر تلك التنظيمات الداخلية في مجتمع مكة المكرمة. وتأتي أهمية هذا الإصدار من كونه أحد المؤلفات التي درست النقلة الحضارية والتاريخية التي شهدتها مكة المكرمة في عهد موّحد المملكة العربية السعودية، وباني نهضتها الحديثة الملك عبدالعزيز، رحمه الله. وجاء الإصدار في خمسة فصول، تناول الفصل الأول «التنظيمات الداخلية في مكة قبل دخول الملك عبدالعزيز»، وجاء الفصل الثاني عن «التنظيم الاقتصادي والمالي»، وخصص الفصل الثالث لـ «التنظيم التعليمي والثقافي»، واختص الفصل الرابع بـ «تنظيم أمور الحج والحجاج»، وختم بالفصل الخامس الذي تناول «تأثير تنظيمات الحكومة في المجتمع».

## مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي يناقش قضايا المسرح ويكرم الرواد

بحضور عربي وأجنبي مكثف يتقدمه فاروق حسني - وزير الثقافة المصري - افتتح في الأول من سبتمبر بدار الأوبرا المصرية مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، الذي شاركت في دورته التاسعة عشرة ٦١ فرقة مسرحية تمثل ٨٤ دولة، منها ١٣ دولة عربية، هي: سورية، والأردن، والسعودية، وقطر، والبحرين، والكويت، واليمن، والسودان، وليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب، إضافة إلى مصر، ومثلتها ٣٩ فرقة مسرحية، واستمر المهرجان حتى ١١ سبتمبر.

وقد ألقت الأمريكية مارثا كوانييه - رئيسة لجنة المشاهدة والرئيس الشرفي لمركز المسرح العالمي مدى الحياة كلمة أكدت فيها أهمية المسرح في التواصل الإنساني، ودور مهرجان القاهرة في جمع كثير من رجال المسرح في العالم، مضيفة أنه بدلاً من إشعال حرب فلنقم مهرجاناً.

واشتمل المهرجان على ندوة بعنوان: «التجريب وتقاليد الكتابة المسرحية»، وشارك فيها باحثون ومخرجون عرب وأجانب، منهم: السوري نديم المعلا، واللبناني أسامة العارف، والسوداني خالد مبارك، والعماني عبدالغفور البلوشي، والمغربي عبدالرحمن بن زيدان، والتونسي أحمد السنوسي، والأردني خالد الزيودي، والجزائري مخلوف بكروح، والمصريون سامي خشبة، ونهاد صليحة، وسعد أردش، والعراقي فاضل سوداني.

ونظم المهرجان مائدة مستديرة حول المسرح والوسائط الرقمية، وخمس ورش فنية، شارك فيها نقاد ومخرجون في طرح موضوعات للنقاش أمام الجمهور.

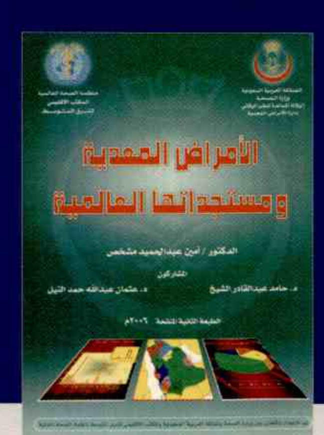
وكرم المهرجان في هذه الدورة تسع شخصيات مسرحية، أسهمت في إغناء الحركة المسرحية على مستوى العالم، وهم الكاتبة الصحافية المسرحية آمال بكير، والمؤلفة والمخرجة والممثلة التونسية رجاء بن عمار، والناقد والمخرج الأرجنتيني

★ مشخص، أمين عبدالحميد (وآخرون) /الأمراض المعدية ومستجداتها العالمية. - ط٢. - الرياض: وزارة الصحة في المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٦م، ٣٧٥ص.

هذه هي الطبعة الثانية المنقحة من هذا الكتاب، الذي يهدف إلى إلقاء الضوء على التغيرات العالمية في الأمراض المعدية، والأوضاع الوبائية لأهم الأمراض في المملكة، إضافة إلى إدراج فصول عن لقاحات الأمراض المعدية، وواجبات المستويات المختلفة في المكافحة والوقاية من الأمراض المعدية، والإجراءات الوقائية الخاصة بالأمراض المعدية، والمراقبة الوبائية للأمراض المعدية، وآخر التطورات في هذا المجال، وهو نظام الخرائط الصحية.

كذلك هدف المؤلف إلى تضمين الكتاب عددًا كبيرًا من الوثائق الوطنية، والمعلومات الوطنية، والعالمية، حتى يستفيد منها العاملون في مجال المكافحة والوقاية من الأمراض المعدية بشكل خاص، والباحثون في هذه المجالات في الجامعات ودور البحث بشكل عام.

ويقع الكتاب في سبعة فصول، جاءت كالآتي: «التغيرات العالمية



أوسالدو بلتيري، والممثل المسرحي الإيطالي باولو لوريمر، والكاتب الأمريكي جون أونيل، والكاتب والمخرج الإسباني خوان أنطونيو أورميجون، والمخرجة المسرحية البولندية دروتا فيتسون، والكاتب الإنجليزي ديك ماكاو، والمخرجة كلير جرانت من استراليا.

وتشكلت لجنة التحكيم من ١١ عضوًا هم المخرج البولندي إدوارد فويتاجيك، والكاتب الألماني توماس انجل، والممثلة الأمريكية سوزان كارلسون، والمخرج البورتريكي كارلوس كاناليس، والمنتجة الروسية ليلا كراشينوفا، والمخرجة ماري كروجر من جنوب إفريقية، والمخرجة الإيطالية مارينا رافانيني، والمخرج الفرنسي ارفيه فان ديرمولان، والمخرج اللبناني رفعت أسعد طربية، والمخرج المصري عصام السيد، إضافة إلى رئيسة اللجنة الناقدة الإيرلندية كارين فريكر.



والإقليمية للأمراض المعدية والأمراض المستجدة والمنبعثة»، و«الوضع الوبائي للأمراض المعدية ذات الأهمية في المملكة»، و«المراقبة الوبائية للأمراض المعدية ونظام الخرائط الصحية»، و«الإجراءات الوقائية للأمراض المعدية»، و«لقاحات الأمراض المعدية الأساسية واللقاحات المتعلقة بالسفر الدولي»، و«واجبات المستويات الصحية المختلفة تجاه الأمراض المعدية»، و«الاستعداد المبكر والتصدي للأوبئة».

وجاء في خاتمة الكتاب صور للمؤلف الرئيس الدكتور أمين عبدالمجيد مشخص في مقار منظمة الصحة العالمية الرئيسة، والإقليمية، واجتماعات المنظمة، واجتماعات محلية.

★ ضلع، جمال محمد السيد/ المسلمون في إثيوبيا في ظل سياسات الاندماج القومي والتحول الديمقراطي.- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ٨٠ص (سلسلة دراسات معاصرة؛ ٢١).

يعدّ هذا البحث محاولة تعرف حالة المسلمين في إثيوبيا، والعوامل التي دفعت ومكنت أنظمة الحكم المتعاقبة من استمرار محاولات التأثير في أوضاعهم، ومدى انعكاس ذلك على النظم السياسية، والحياة بكاملها داخل إثيوبيا، كما أن هذا البحث هو محاولة لاستشراف مستقبل المسلمين في إثيوبيا على ضوء التطورات السياسية التي تشهدها البلاد



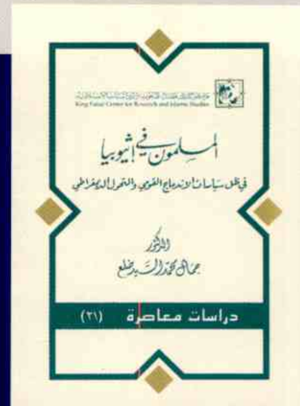
## اليمن تفوز بجائزتين في العمارة

تسلم في الثاني من سبتمبر / أيلول الدكتور محمد المفلحي - وزير الثقافة اليمني - في العاصمة الماليزية كوالالمبور جائزتين دوليتين من جوائز الآغا خان، فازت بهما اليمن لنجاح جهودها في الحفاظ على معلمين أثريين إسلاميين.

وعلق الوزير على ذلك بقوله: «إن هذه ليست المرة الأولى التي تفوز بها اليمن بجائزة الأغاخان، فقد سبق أن فازت بالجائزة عام ٢٠٠٤م، إثر نجاحها في إعادة ترميم مسجد العباس في منطقة أسناف خولان بمحافظة صنعاء».

وأشار المفلحي إلى أن أعمال ترميم مدرسة العامرية تمت باستخدام مواد طبيعية من المواد نفسها التي شيدت بها المدرسة عند إنشائها في عهد السلطان عامر بن عبدالوهاب عام ١٥٠٤م، واستمر العمل فيها خمسة وعشرين عامًا بتمويل يمني ودعم هولندي. وأضاف أن وزارته ستركز جهودها خلال المرحلة القادمة في الاهتمام بمفردات تراثها المهم جدًا، مثل المساجد، والمدارس، والمدن القديمة، والحصون، والقلاع، والتعريف به على المستوى الدولي.

يذكر أن الجائزة الأولى كانت من نصيب مدرسة العامرية التاريخية بمدينة رداع التابعة لمحافظة البيضاء؛ تقديرًا لأهميته التاريخية، ونجاح أعمال الترميم التي خضع لها الجامع ومدرسته، فيما كانت الثانية من نصيب مدينة شبام حضرموت؛ لجهودها في الحفاظ على ملامحها التاريخية والحضارية. يذكر أن جائزة الأغاخان تأسست عام ١٩٧٧م، وتهدف الجائزة إلى تشجيع فن العمارة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وكذلك فن المباني المنجزة في الدول غير الإسلامية، والمخصصة لخدمة الجاليات المسلمة.




منذ مطلع التسعينيات. وقد تم تناول هذه الدراسة على أساس فرضين أساسيين، هما:

- المسلمون في إثيوبيا يمثلون الركيزة البشرية الرئيسة، ومن ثم أن أية عملية حقيقية للاندماج القومي لن تتحقق من دونهم.

- المسلمون في إثيوبيا يمثلون الأغلبية بين سكان الدولة، ومن ثم فإن أية عملية حقيقية للتحول الديمقراطي ينبغي أن تكون تجسيدًا لهذا الواقع.

وجاء الكتاب في مقدمة وفصلين وخاتمة، تناول الفصل الأول «المسلمون في إثيوبيا في ظل سياسات الاندماج القومي»، وتناول الفصل الثاني «المسلمون في إثيوبيا في ظل سياسات التحول الديموقراطي».

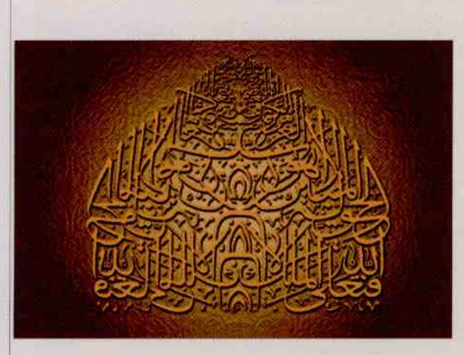
★ العنقري، سليمان بن عبدالرحمن/ البحث العلمي التربوي: طبيعته.. مشكلاته.. معوقات تطبيقه.- الرياض: المؤلف ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٢٥٩ص.

يجمع موضوع هذا الكتاب بين محورين مهمين ومتكاملين من محاور البحث العلمي التربوي وقضاياه، يتعلق المحور الأول

# معرض للفنون الإسلامية في أبو ظبي

تقيم هيئة أبوظبي للثقافة والتراث في الخامس والعشرين من شهر سبتمبر/أيلول الجاري، معرضًا فنيًا بعنوان «في رحاب التاريخ الإسلامي»، يحتوي على مقتنيات نادرة من أنماط الفنون الإسلامية لمجموعة الدكتور عبداللطيف كانو، وذلك برعاية نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة ولي عهد أبوظبي الفريق أول الشيخ محمد بن زايد آل نهيان.

ويضم المعرض مجموعة منتخبة تمثل مختلف نواحي الفنون الإسلامية التي تتميز بالشمولية، والعالمية وتتميز مجموعة الدكتور كانو للفنون الإسلامية بكونها إحدى أهم المجموعات التي توثق للموروث الحضاري الإسلامي في منطقة الخليج العربي. وتتجاوز هذه المقتنيات خمسة آلاف قطعة من مختلف أنماط الفنون الإسلامية، التي تدل على ثراء الحضارة الإسلامية والقدرات الخلاقة للفن الإسلامي من حيث الإبداع ومواكبة اختلاف الزمان والمكان.

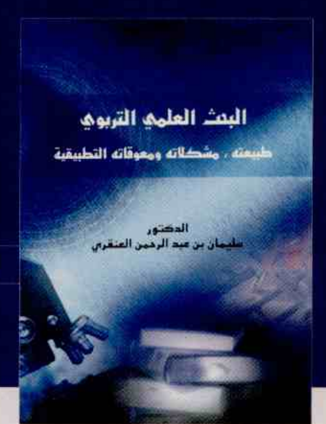


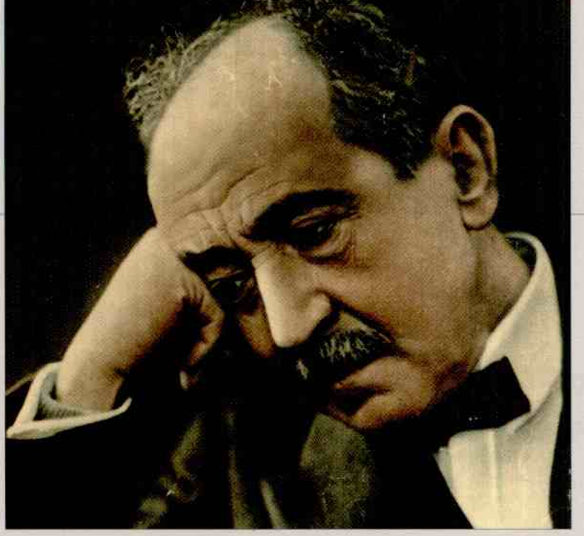
وتشكل المخطوطات الإسلامية وخصوصاً القرآنية النواة الأولى لمجموعة كانو للفنون الإسلامية فضلاً عن المخطوطات العلمية في مختلف الفروع كالطب، والهندسة، والكيمياء، وفي مجال التاريخ، والجغرافيا، والمخطوطات الأدبية في الشعر والقصة. كما تشتمل المجموعة على المشغولات الحرفية اليدوية الفخارية والمعدنية والزجاجية وغيرها، وتنويعات مختلفة من المنسوجات، والملابس، والسجاد، ومشغولات الزينة، والمجوهرات، وكذلك كثير من الأجهزة العلمية في مجال علم الفلك، ومجموعة نادرة من المسكوكات الإسلامية الذهبية، والفضية.

بالمعوقات والمشكلات التي تواجه إجراء البحوث التربوية، سواء في الجامعات، أو مراكز البحوث، ويتعلق المحور الثاني بمعوقات الاستفادة من نتائج البحوث الاجتماعية والتربوية وتوصياتها.

وتنبع أهمية هذا البحث من أهمية البحث التربوي نفسه، إذ إنه يعدّ وسيلة للتطوير والتحديث والتجديد في الميدان التربوي، ومحاولة للتنمية الفكرية في هذا الميدان، ووسيلة للكشف عن المشكلات التربوية والعمل على حلها، كما يمكن أن يكون هذا الكتاب نواة لدراسات تشمل قطاعات أوسع من الدارسين، والباحثين سواء في كليات التربية، أو في مراكز البحث التربوي، ضمن خطة شاملة تتناول البحث التربوي بصفة عامة، ومشكلات البحث التربوي بصفة خاصة.

ويشتمل الكتاب على سبعة فصول، جاءت كالآتي: «لماذا طبيعة البحث العلمي التربوي»، و«طبيعة البحث العلمي التربوي»، و«معايير البحث العلمي التربوي»، و«مشكلات البحث العلمي التربوي»، و«معوقات الاستفادة من البحث العلمي التربوي»، و«الإسهامات العربية والأجنبية في مجال البحث العلمي التربوي». وتضمن الفصل السابع خلاصة ما تم التوصل إليه من نتائج وتوصيات.




أحمد شوقي

# احتفاء مصري بالرواية وبالشاعرين شوقي وحافظ

اختارت اللجنة العلمية لمؤتمر الرواية العربية التي يرأسها علي أبوشادي - أمين عام المجلس الأعلى للثقافة في مصر - موضوع: (الرواية العربية الآن) محوراً للمؤتمر الذي سيعقد في فبراير المقبل.

وتشمل محاور النقاش: شهرزاد الجديدة، وصياغات الرواية في روايات الكاتبة العربية، العجائبي والمرجعي في الرواية، والسخرية، وأسئلة الكتابة الجديدة، وتحولات اللغة الروائية، وخصائص الرواية الجديدة، وتداخل أجناس الرواية الرقمية، الرواية والسيرة الذاتية.

وتم الاتفاق على دعوة مئة روائي وناقد من خارج مصر، وخصوصًا أولئك الذين لم تتم دعوتهم من قبل.

وسوف يتم اختيار ناقد من كل قطر عربي ليقدم قراءة في المشهد الروائي في بلده.

كما يستعد المجلس الأعلى للثقافة للاحتفال بالذكرى الخامسة والسبعين للشاعرين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم في شهر نوفمبر المقبل، وينظم المجلس في إطار هذا الاحتفال ندوة علمية ومهرجانًا شعريًا، كما يصدر الأعمال الكاملة للشاعرين، وكتاباً يضم مختارات من الدراسات النقدية حول إبداعهما. ويرأس اللجنة العلمية للاحتفال الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي عضو المجلس الأعلى للثقافة، ومقرر لجنة الشعر، وتضم اللجنة في عضويتها د. أحمد درويش مقرر لجنة الدراسات الأدبية واللغوية، والفنان سعد أردش مقرر لجنة المسرح بالمجلس، ومجموعة من الشعراء والنقاد والباحثين، منهم فاروق شوشة، ومحمد إبراهيم أبوسنة، ود. حسن طلب، ود. محمد عبدالمطلب، ود. حماسة عبداللطيف، ود. محمد فتوح أحمد.

★ الضويحي، عبدالله بن عبدالعزيز/ النجديون وعلاقتهم بالبحر «الجزء الثاني».- الرياض: المؤلف، ١٤٢٨هـ. ٣٠٣ص.

يعدّ هذا الكتاب تتمة لما نشر في الجزء الأول، مع استدراك بعض المعلومات الواردة فيه، وتصويبها، وإضافة ما استجد من موضوعات ومعلومات. وقد اعتمد المؤلف في إعداده هذا الجزء على عدد من المصادر الأولية، هي: مرويات بعض كبار السن من الرجال الذين عاشوا تلك الفترة، وبعض المصادر والموسوعات المتخصصة، وبعض ما بقي في ذاكرته من خلال معايشته بعض أولئك الرجال، إضافة إلى الكتب والدوريات التي تناولت جوانب الموضوع.

وأجاب المؤلف في هذا الكتاب عن عدد من الأسئلة، منها: هل هو الجوع؟، أم هو الفقر؟، أم هي روح المغامرة؟، أم هي الأقدار التي حدت بكثير من النجديين إلى ترك أهلهم والذهاب إلى الغوص، وتجرع مرارة الغربة وفراق الأحباب؟، وكيف تعاملوا مع البحر، وأصبح بعضهم من أعظم تجار اللؤلؤ في منطقة الخليج.

وما الغوص؟ ومتى مواسمه؟ وما أدواته؟ وكيف هي الحياة على ظهر السفينة؟، وما هي أمراض البحر؟ .. وما هي ويلات البحر وأخطاره؟ ما هي قصائد أهل الغوص وبكائياتهم ؟

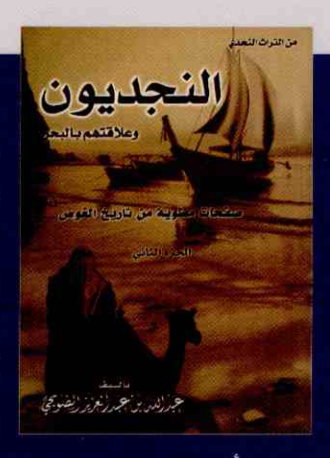
ويقع الكتاب في سبعة فصول، جاءت كالآتي: «البحر والغوص»، و«الحياة على ظهر السفينة»، و«النجديون

## تكريم درويش في مقدونيا ورام الله



اختار مهرجان الشعر العالمي الذي عقد في منتجع ستروغا غربي مقدونيا في شهر أغسطس/آب الماضي الشاعر الفلسطيني محمود درويش شاعر العالم المبدع لعام ٢٠٠٧م. وقُلِّد درويش جائزة المهرجان التي تسمى (الإكليل الذهبي) بحضور كبار الشخصيات السياسية والاجتماعية المقدونية، إضافة إلى أكثر من خمسين شاعراً شاركوا في المهرجان.

ويعد درويش ثاني شاعر عربي يحصل على الإكليل الذهبي لهذا المهرجان، الذي سبق أن ناله الشاعر أدونيس قبل عشر سنوات. ومن جهة أخرى، قررت بلدية مدينة رام الله في الضفة الغربية إطلاق اسم الشاعر الفلسطيني على أحد الميادين العامة في المدينة، وسيتم الإعلان عن مسابقة لإعادة تصميم هذا الميدان، ثم تنفيذه، وسيكون الافتتاح بحضور درويش شخصيًا.




وعلاقتهم بالبحر»، و«تأثير رحلات الغوص في الحياة الاجتماعية والثقافية في نجد»، و«الطبعة وأشهر حكايات أهل الغوص»، و«أشهر قصائد أهل الغوص»، و«المستدرك من الجزء الأول».

وأورد في نهاية الكتاب الملاحق الخاصة بصور بعض من مارس مهنة الغوص من أهالي مرات، رتبت هجائيًا وفقًا لأسمائهم، وكذلك عرضًا للوثائق الخاصة بالغواصين.

★ الظفيري، تركي بن خالد/ الفضائيات العربية التنصيرية: أهدافها - وسائلها - سبل مقاومتها.- الرياض: مجلة البيان، ١٤٢٨هـ. ٤١٤ص.

يقدم هذا الكتاب دراسة مستفيضة لدور القنوات الفضائية في خدمة أعداء الإسلام، بالعمل على تنصير المسلمين، ومحاربة الإسلام، والطعن في عقيدته، وشريعته، وبث الشبهات حوله، وتجيب الدراسة عن ثلاثة أسئلة مهمة، هي: ما المراد بالفضائيات العربية التنصيرية؟ وما خطورتها؟، وما أهداف المنصرين ووسائلهم في هذه القنوات؟، وما سبل مقاومة هذه الفضائيات التنصيرية؟.

## حرب العراق في مهرجان دوفيل السينمائي

عرض فلم «أن ذي فالي أوف إيلاه» (في وادي إيلاه) للمخرج بول هاغيس عن فظاعات الحرب على العراق في الدورة الثالثة والثلاثين لمهرجان السينما الأميركية في دوفيل (غرب فرنسا)، وهو يروي قصة اختفاء عسكري خلال مأذونية.

وعندما عاد من العراق خلال مأذونية، عدّ الجندي مايك ديرفيلد هاربًا من صفوف الجيش بعد اختفائه قرب قاعدته في ولاية نيومكسيكو.

ويحاول والده العثور عليه من خلال إقامة علاقة صداقة مع الضابط المكلف بالتحقيق في القضية.

ولا يبدي الجيش الأميركي أي تعاون لكشف الحقيقة، في حين يكتشف والده بفضل لقطات فيديو صورها ابنه على هاتفه النقال الفظاعات التي يرتكبها الجنود الأميركيون بحق المدنيين العراقيين في هذه الحرب.

ويكشف هذا الفلم مشاعر الوالد التي تتحول من الإحساس بالفخر؛ لأن يكون ابنه يخدم في صفوف الجيش الأميركي، إلى الحسرة على هذا الدور الذي قام به الابن.

وأوضح المخرج الكندي بول هاغيس إنه فكر في تصوير الفلم بعد مشاهدته على الإنترنت لقطات فيديو




والقنوات الفضائية العربية التنصيرية المستهدفة بالدراسة هي: قناة الحياة، وقناة سات٧، وقناة نورسات، وقناة معجزة. وقد حاول المؤلف جاهدًا أن يعطي صورة وصفية واضحة عن الفضائيات العربية التنصيرية، من دون الخوض في نقاشات عقدية مطولة، فقد يذكر بعض العقائد النصرانية، أو بعض الافتراءات، والشبهات عن الإسلام، ويرد عليها ردًا مجملاً. وقد توصل المؤلف في خاتمة الدراسة إلى عدد من النتائج والتوصيات المهمة.

★ مجلة البحوث والدراسات في الآداب والعلوم والتربية (س٤، ع٨، جمادى الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

مجلة نصف سنوية تصدر عن كلية المعلمين/جامعة الملك عبدالعزيز بمحافظة جدة.

حفل هذا العدد من المجلة بعدد كبير من البحوث والدراسات التي تهتم بشؤون التعليم والتربية، بدأت ببحث أعده الدكتوران مصطفى أحمد صادق والسيد سعد الخميسي بعنوان: «دور أنشطة اللعب الجماعية في تنمية التواصل لدى الأطفال المصابين بالتوحد»، وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تتناول فئة الأطفال التوحديين خلال تنمية التواصل

حول الحرب على العراق.

وأشار هاغيس إلى غياب «الحقائق حول الحرب على العراق في وسائل الإعلام الرئيسة في الولايات المتحدة؛ لأنها خلافاً للحرب في فيتنام تطبق تعليمات الحكومة التي تؤكد أن نشر صور القتلى غير وطني.

ونفى أن يكون قد قام بعمل سياسي، مؤكدًا أنه وضع أولاً في فلمه «الجميع أمام مسؤولياتهم».

كما نفى المخرج الكندي تحمل الرئيس جورج بوش المسؤولية كاملة عن فظاعات الحرب على العراق؛ لأن الديمقراطيين والجمهوريين معاً وافقوا على شن هذه الحرب، وأن الأغلبية العظمى من الأميركيين في حينها كانوا وراء حكومتهم.

وهذا الفلم هو الثاني عن الحرب على العراق الذي يعرض خلال مهرجان دوفيل بعد «ريداكتد» (حرر) الذي يروي فيه المخرج براين دي بالما الآثار الناجمة عن الاحتلال العسكري الأميركي للعراق، ويكشف القصة الحقيقة لحادثة اغتصاب فتاة عراقية وقتلها على أيدي جنود أمريكيين.

## ليال ثقافية في ذكرى رحيل ناجي العلي

شهدت الأراضي الفلسطينية المحتلة احتفالات إحياء للذكرى العشرين لاستشهاد رسام الكاريكاتير الفلسطيني ناجي العلي، واشتملت على أمسيات، ومعارض متجولة لرسوماته. فقد نظمت مؤسسة توفيق زياد للثقافة الوطنية للإبداع في مدينة الناصرة ندوة عن الفنان الشهيد، وأقامت معرضًا ضخمًا لأعماله الفنية.

وأحيت جمعية السباط للحفاظ على التراث أمسية فنية، ونظمت معرضًا ضخمًا لرسومات ناجي العلي.

وقال رسام الكاريكاتير الفلسطيني نهاد بقاعي خلال الأمسية: إن ناجي العلي يرمز لحالة تمرد كبير لا في المضمون فحسب، بل في الأسلوب الفني، مشيرًا إلى أن إسهابه في استخدام الكلمات خلافًا لما هو مألوف في رسوم الكاريكاتير بشكل عام. وقدم عدد من الفنانين قراءات لما قيل عن ناجي العلي على لسان مشاهير الثقافة العرب والأجانب.

لديهم عن طريق برنامج لأنشطة اللعب الجماعية، وهذا البرنامج يسهم في تأهيلهم ومساعدتهم على التفاعل الجيد مع أقرانهم العاديين من جهة، وزيادة مستوى التواصل بينهم وبين أفراد المجتمع من جهة أخرى، مما يمكنهم من القيام بدورهم الاجتماعي، ومن المشاركة في تنمية المجتمع وتقدّمه.

وقدّم الدكتور مالك نظير يحيا دراسة مقارنة عن «جموع التكسير عند الصرفيين والمفسرين»، كما قدّم الدكتور عبد الرؤوف إسماعيل محفوظ موضوعًا بعنوان: «أثر برنامج علاجي في معالجة الاضطرابات الصوتية والنطقية في إحدى رياض الأطفال في محافظة الزرقاء بالأردن»، وقد هدفت الدراسة التعرف إلى أثر برنامج علاجي لمعالجة الاضطرابات الصوتية والنطقية التي يواجهها الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة، ومرحلة رياض الأطفال في محافظة الزرقاء في المملكة الأردنية الهاشمية.

وتناول الدكتور خليل سالم البسيوني في آخر بحوث العدد «نموذج حل تقريبي لمعادلات تفاضلية غير الخطية الحدية من الرتبة الثانية». إضافة إلى الأبواب الأخرى: «قراءات

## احتفال عراقي بسامراء

احتفل العراق بإدراج مدينة سامراء الأثرية الدينية في لائحة التراث العالمي بمهرجان فكري وثقافي وتراثي في بغداد. واشتمل المهرجان على محاضرات عن تاريخ المدينة قدمه مختصون بالتراث والتاريخ من الجامعات العراقية، ومعرض لآثار المدينة العراقية التي تضم مرقدي الإمامين العاشر والحادي عشر لدى الشيعة الإمامية علي الهادي والحسن العسكري، اللذين كانا تعرضا لتفجيرين دمرا قبتيهما بالكامل، ومئذنتيهما، إضافة إلى العشرات من المواقع الأثرية من قصور عباسية ومساجد. كما عرض في المهرجان الذي اقتصر على المختصين مخطوطات مهمة عن تراث المدينة، ونهضتها الثقافية، والعلمية، عندما كانت عاصمة للدولة العباسية. ويذكر أن لائحة التراث العالمي تضم ٨٥١ موقعاً آخر من مختلف أنحاء العالم، وتحتضن مدينة سامراء، التي كانت يوماً عاصمة للدولة العباسية في عهد الخليفة المتوكل، مرقدين دينيين مهمين وجامعاً شهيراً بمئذنته الملوية، وشيدت الآثار الثلاثة في القرن التاسع الميلادي.

## قصائد تحكي مأساة معتقلي غوانتانامو

أصدرت دار النشر الجامعية في أيوا الأمريكية ديوان «قصائد من غوانتانامو: المعتقلون يتحدثون»، والتي كتبها ١٧ معتقلاً، ويبلغ عددها ٢٢ في كتاب من ٨٤ صفحة، ويباع مقابل ١٤ دولاراً.

ويتضمن الكتاب أبياتاً شعرية مترجمة لسامي الحاج، موجّهة إلى نجله محمد، كشف فيها عن عرض أمريكي بالإفراج عنه مقابل موافقته على التجسس على مواطنيه.

في الكتب»، قدّم فيها الدكتور ياسر محمد عمار قراءة في كتاب «تدريس مهارات التفكير مع مئات الأمثلة التطبيقية» للدكتور جودت أحمد سعادة، و«ملخصات الرسائل الجامعية»، وجاء فيها عن رسالة الدكتور أحمد نبوي عبده عيسى «فاعلية الألعاب التعليمية في إكساب بعض المفاهيم العلمية لأطفال مرحلة رياض الأطفال المعاقين سمعياً بالمملكة العربية السعودية»، ورسالة الأستاذ هاني صديق حمزة محمد علي عن «تقييم السمية الوراثية للمادة اللبنية لنبات العشار باستخدام اختبار طفرات العوز الغذائي في فطر أسبرجلليس ترس»، و«المحاضرات والندوات»، وفيها تقرير عن «المؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية» المنعقد في الرياض خلال الفترة ١٣ إلى ١٧ صفر سنة ١٤٢٨هـ/ ٤ إلى ٧ مارس/آذار عام ٢٠٠٧م»، إعداد الدكتور حسن بن عايل أحمد يحيى.

العنوان:

مركز البحوث والدراسات - كلية المعلمين في محافظة جدة - المملكة العربية السعودية

ص.ب: ١٥٧٥٨ جدة ٢١٤٥٤

هاتف: ٢٥٧٢٩٣٥

E.mail: bohooth@jtc.edu.sa



سامي الحاج

كما كتب البحريني جمعة الدوسري، الذي حاول أن يقتل نفسه ١٢ مرة، والأردني أسامة أبو خبير، الذي كان يعمل سائقاً لشاحنة مياه في أمانة عمان الكبرى قبل أن يتوجه إلى أفغانستان، ويعتقل هناك.

القصائد الاثنتان والعشرون كتبت باللغات العربية والإنجليزية والبشتونية، وقام بجمعها ونشرها باللغة الإنجليزية مارك فالكوف أستاذ القانون بجامعة بنسلفانيا، وقد عقب على الكتاب اريل دورفمان، وأشرف على نشره فالكوف صاحب الفكرة.

ويروي المعتقلون معاناتهم في هذا المعتقل في مجموعة قصائد قاموا بتسليمها الى محاميهم، وكتبوها في بعض الأحيان بمعجون الأسنان، أو حفروها على أطباق فناجين بلاستيكية، مستخدمين الحصى؛ لأنه لم يكن مسموحاً للسجناء في السنة الأولى من المعتقل الحصول على ورقة وقلم.

ومنذ تسليم هذه القصائد، خرج أربعة أو خمسة معتقلين من السجن، لكن الآخرين ما زالوا معتقلين في السجن الذي أنشئ في القاعدة الأمريكية البحرية في كوبا في الأشهر التي تلت اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١م، ومعظم هؤلاء معتقلون منذ أكثر من خمسة أعوام من دون اتهام أو محاكمة.

وولدت هذه المجموعة الشعرية بفضل محام يدعى مارك فالكوف الذي يدافع عن معتقلين يمنيين، وكتبت جميع القصائد باللغة العربية، وقام بترجمتها مترجمون معتمدون في وزارة الدفاع الأمريكية، بعد أن رفعت السرية

★ كشاف مجلة البحوث الفقهية المعاصرة (من العدد الأول إلى العدد الثامن والستين) ١٤٠٩ - ١٤٢٦هـ/ إعداد: نجيب بن محمد الخطيب.ـ الرياض: مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٢١٠ص (إصدارات مجلة البحوث الفقهية المعاصرة؛ ٢٧).

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة مجلة فصلية علمية محكمة متخصصة في الفقه الإسلامي، أسسها ويرأس تحريرها معالي الدكتور عبدالرحمن بن حسن النفيسة، صدر العدد الأول منها في رمضان سنة ١٤٠٩هـ.

وقد كان الهدف من صدورها كما ورد في مقدمة العدد الأول «الإسهام في بيان قواعد الشريعة الإسلامية، وأحكامها الخالدة، فيما نزل به كتاب الله الكريم، ونبيه ورسوله الأمين، قولاً وعملاً وتقريراً».

وقد أصدرت المجلة عدة ملاحق.

ويمثل هذا الكشاف الموضوعات والأبحاث والدراسات والفتاوى التي نشرت في المجلة من العدد الأول إلى العدد الثامن والستين، من السنة الأولى إلى السنة السابعة عشرة.

وقد رتبت البحوث موضوعياً تحت

عن هذه النصوص.

وجاءت فكرة نشر هذه القصائد عندما بدأ فالكوف الذي يدافع عن معتقلين يمنيين، بتسلم قصائد من موكليه، وما لبث أن علم أن محامين آخرين يتلقون أيضًا قصائد من موكليهم.

ولم تسمح وزارة الدفاع الأمريكية بنشر بعض القصائد التي رأت أنها تتضمن معلومات تشكل تهديدًا محتملاً للأمن.

ومن صرخات السجناء قصيدة كتبها سامي الحاج مصور قناة الجزيرة السوداني، الذي تم اعتقاله في أثناء تغطية الحرب الأمريكية في أفغانستان عام ٢٠٠١م، ليسلم للقوات الأمريكية في يناير ٢٠٠٢م، وقد تعرض للتعذيب في قاعدة باجرام في قندهار قبل نقله إلى غوانتانامو في يونيو ٢٠٠٢م، وهو يقول في هذه القصيدة:

عندما سمعت هديل اليمام على الشجر
جرت الدموع على وجنتي دافئة
ولما صدح العصفور
أودعت أفكاري رسالة لابني محمد
صبوح أنا
وفي يأسي لا نصير لي سوى الله
يتلاعبون بي في محبسي
وهم يتحركون في العالم أحراراً طلقاء
يريدونني جاسوساً على أهلي
يقولون إنه شرف
يغرونني بالعطايا والمنح أرض ومال
وحريتي السليبة في أن أذهب حيث أشاء
إغراءاتهم تبدو لي كالبرق يلمع في السماء
لكن هبتهم كالحية الرقطاء
تحمل النفاق في فكها سماً زعافاً
لديهم أصنام لكل شيء للحرية والتعبير
شيء رائع قلت لهم
لكن العدل ليس بتمثال أو معمار يبنى
أمريكا ..
على ظهور اليتامى تركبين

رؤوس موضوعات مختارة من قائمة رؤوس الموضوعات العربية، الصادرة عن عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود، مع بعض التعديل في الحالات التي تطلبت ذلك.

العنوان:
المملكة العربية السعودية: الرياض
حي العقيق شارع التحلية.
هاتف: ٤٨٥٣٧٠٢/٤٨٥٣٧٠٥
ناسوخ: ٤٨٥٣٦٩٤
موقع المجلة على الإنترنت: www.fiqhia.com.s
البريد الإلكتروني: fiqhia@gmail.com

★ حولية كلية المعلمين في أبها (ع١١، ١٤٢٧ - ١٤٢٨هـ)

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز البحوث التربوية بكلية المعلمين في أبها. وقد اشتمل هذا العدد من المجلة على خمسة أبحاث علمية محكمة لباحثين في قطاع التعليم العالي.

وجاء البحث الأول بعنوان «انحراف القدوة وعلاقته بسلوك المراهقين في المرحلة المتوسطة للبنين بمكة المكرمة» للدكتور علي بن مصلح المطرفي، وقدّم الدكتور قاسم بن عائل الحربي في البحث الثاني تصورًا مقترحًا

ترهبينهم ليل نهار
وحذار يا بوش
فالعالم يراك كاذباً مغروراً
ولله أشكو بثي ودمعي
وظلم يكبلني وحنين لوطني
أيا محمد لا تنسني
ساندني وقل إن أبي
رجل يخشى الله

وكتب البحريني جمعة الدوسري:

خذوا دمي
خذوا كفني
وبقايا جسدي
والتقطوا الصور لجثماني في قبره وحيداً
أرسلوها للعالم
إلى القضاة
وأصحاب الضمائر
أرسلوها إلى أصحاب المبادئ وأولي الألباب
ودعوهم يتحملوا وزر موت روح بريئة
أمام العالم
دعوهم يحملوا الوزر أمام أبنائهم وأمام التاريخ
عن تلك الروح التي لم ترتكب إثماً
وراحت هباء
تلك الروح التي عذبتها أيادي حماة السلام

ويتساءل أسامة أبو كبير، وهو سائق شاحنة مياه أردني سافر إلى أفغانستان مع جماعة التبليغ، واحتجزته قوات مناهضة لطالبان، وسلمته للقوات الأمريكية:

هل صحيح أن العشب ينمو ثانية بعد المطر؟
هل صحيح أن الطيور ستهاجر عائدة لأوطانها؟
هل صحيح أن أسماك السالمون ستعود عكس التيار من جديد؟
هل صحيح؟
صحيحة تلك المعجزات كلها؟
ولكن هل صحيح أننا يوماً سنغادر غوانتانامو؟
هل صحيح أننا يوماً لأوطاننا نعود؟

لـ «التخطيط الاستراتيجي لمؤسسات التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية في ضوء مدخل إدارة الجودة الشاملة». وتناول الدكتور عبداللطيف بن عبدالقادر محمد الحفظي في البحث الثالث «الإرجاء في الإيمان، وآثاره على الأمن».

وقدّم الدكتور عيسى بن علي محمد عسيري في البحث الرابع «مسوغات تقديم المعمول على عامله في النحو العربي».

وختم الدكتور المعتصم بالله سليمان الجوارنة بحوث العدد ببحث عنوانه «درجة صعوبة ممارسة إدارة إقليم الشمال في الأردن». إضافة إلى عرض لعشرة ملخصات لرسائل تقدم بها أصحابها لنيل درجات علمية عليا في تخصصات علمية وأدبية مختلفة.

العنوان:
ص . ب: ٢٤٩ كلية المعلمين أبها.
هاتف: ٢٢٧٠٤١٩
ناسوخ: ٢٢٧١١٠٣ - ٢٢٨٥٥٦٥
www.tcabha.info

# نازك الملائكة رائدة غيرت مفاهيم العربية وعروضها

**يوسف عزالدين**

**ويلز - بريطانيا**

كثير من الأدباء والنقاد في العالم يمرون في الحياة الأدبية، ومع إبداعهم لا نجد لهم أثراً في الحياة الفكرية، وقد زخر الجيل الماضي بعدد كبير من هؤلاء: أحمد شوقي، ومطران، وحافظ، وأولهم البارودي. ثم ترك المازني والعقاد وأستاذهما شكري أثراً في الاتجاهات الشعرية وتجديدها.

وفي هذا الجيل عدد من الشعراء والمفكرين، الذين لا يمكن حصرهم، خصوصاً في مصر، التي تأتي كل يوم بالجديد الحديث، وقد أثر في الجيل الماضي في العراق معروف الرصافي، والزهاوي، والشبثي، ثم جاء بعدهم محمد مهدي الجواهري. وفي الشام بدوي الجبل، والأخطل الصغير، ومن هؤلاء الرواد الشاعرة المبدعة نازك الملائكة، التي كان أثرها واضحًا في الجيل الذي جاء بعدها، وسار في هديها، ومنهم من تجاوز الحد الفني وأسرف في التجديد.

كانت صلتي العلمية والفكرية موصولة في الجامعة، وكانت هي عضو هيئة جمعية المؤلفين والكتاب، وزاملتها في إخراج مجلة «الأقلام» التي صدرت زمن الوزير عبدالكريم فرحان، شفاه الله من سقمه، ولما أصدرت كتابي (شعراء العراق في القرن العشرين) كتبت إلي سيرتها، ولعلها الوحيدة التي نشرت في حياتها، قالت فيها:

«ولدت في بغداد في الثالث من شهر أغسطس/آب عام ١٩٢٣م، ثم دخلت دار المعلمين العالية، وتخرجت بدرجة الامتياز عام ١٩٤٤م».

وعرفت الشاعرة وهي صغيرة السن فقد كانت الجرائد العراقية تنشر شعرها، وكان والدها صادق يدرّس اللغة العربية في الثانوية الشرقية، وهو الذي حبب إليها النحو، وكانت أمها شاعرة نشرت ديوانها باسم (أم نزار الملائكة) وفي الأسرة عدد من الأدباء والعلماء، منهم الدكتور جميل الملائكة الشاعر العالم.

نشأت في بيت علم وأدب وأصالة، وكانت تلقي شعرها في مواسم العكير، ويزاحمها بدر شاكر السياب، وقد فصّلتُ هذه المزاحمة في كتابي (التجديد في الشعر الحديث).

وكان أول ديوان صدر لها (شظايا ورماد) أصدرته عام ١٩٤٩م.

ومن الطريف أنها دخلت معهد الفنون الجميلة في بغداد، وتعلمت العزف على العود على يد أشهر الأساتذة الشريف

# خاتمة المطاف

محيي الدين حيدر، الذي امتاز بأسلوب فريد في العزف، لكنها لم تعزف أمام الجمهور إلا في أمريكا حسب قولها عندما ذهبت لدراسة النقد المقارن، ووسعت معلوماتها عندما درست اللغة اللاتينية والفرنسية. وهي محاضرة مؤثرة، فقد ألقت محاضرة بعد عودتها من أمريكا عن حرية المرأة، أثارت ضجة فكرية، وكانت تنشر في «الآداب» و«الأديب» في بيروت وفي صحف أخرى، وكانت شديدة التعلق بالوطن العربي وقضاياه، وكثر في شعرها الجهاد والشهادة والبطولة والفداء، ولها عدد من الدواوين منها:

أنفاس السحر ولألاء القمر، ولها مسرحية شعرية عن (مجنون ليلى)، وعرفت ناقدة عندما كتبت عن قضايا الشعر العربي.

### مظاهر الحزن العميق

في شعرها ألم عميق وحزن دفين من جراء مصائب الأمة ومعاناتها الفردية طوال حياتها، وتلك ظاهرة واضحة على شعر أهل العراق، وقد رسمت هذا الحزن بصورة فنية رائعة قالت:

كنزنا الغالي دفناه هنا
لحظات ثم أسرعنا إليه
والتمسناه وراء المنحى
وعلى التل ولم نعثر عليه
وسألنا عنه في الغابة ربوة
فأجابت إنها قد نسيته
وهمسنا باسمه في أذن سروة

تزوجت من الأستاذ الفاضل الدكتور عبدالهادي محبوبة - رحمه الله - الذي توفي في القاهرة، ورزقت ولداً سمته (البراق).

### العراق المقصر

للأسف الشديد لم تقم الدولة العراقية برعاية الأستاذة مع وجود سفارة في القاهرة، وأهل الكنانة يكرمون الأدباء والمفكرين ويقيمون لهم التماثيل، التي يهدمها أهل العراق دائماً، مثل: طه حسين، وشوقي، ونجيب محفوظ، وآخرهم الأستاذ أنيس منصور، ورواد العراق مشردون في العالم ومنهم يوسف عزالدين.